
الدوحة
ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية
الإسلام دين المفكرين
بقلم: محمد الغزالي
محتال المقامة يجد لنفسه رواية
بقلم: الدكتور علي الراعي
قصة جديدة: بقلم: ليلى العثمان

بين الكاوبوي الأمريكي والدّبّ الروسي

١ الكاوبوي



بقلم: الدكتور محمد عبده يماني

هناك اجماع ، لاجدال حوله ، على تقسيم القوى العالمية فى عصرنا الراهن الى قوتين اثنتين ليس غير : القوة الامريكية ، والقوة السوفييتية .

اما باقي القوى ، مهما بلغت ، فانها تصنف إما على اساس دورانها فى فلك احدى القوتين الكبريين ، او على اساس اوضاعها « الاقليمية » فى المناطق التى توجد فيها .

ولقد ذهب المعلقون والمحللون الى وصف القوتين الكبريين بكلمات توحى وكانه ليس فى الدنيا سواهما ، فقيل « القوتين الاعظم » وقيل « القوتين الأكبر» وقيل « القوتين العظميين » .. وقيلت اوصاف كثيرة اخرى ..

ونحن لانجادل فى مدى صـــحة تلك الاوصاف ، ولا فى مدى استحقاق كل من القوتين لهما ، اذا ما اخذنا بعين الاعتبار مابلغتاه من مستوى متقدم سواء فى غزو الفضاء ، والوصول الى الكواكب ، واستخدام الاقمار الصناعية ، وانتاج الاسلحة الاستراتيجية الكونية ، العابرة للفضاء والقارات ، بما تحمل من قنابل للتدمير الشامل : ذرية وهيدروجينية وربما نيترونية ..

ولكننا نجادل ، بل ونعترض ، تجاه هذه الحالة الغريبة من التسليم بتلك الأوصاف وكان « القوتين الاعظم » قد استباحتا الارض وما عليها لاطماعهما ، وكانه ليس على السطح سواهما ، وكان الوقوف فى وجهيهما امر مستحيل ، وان على الدول الاخرى ان تختار بين هذه وتلك من القوتين لتنضوى تحت لوائها ، وتحتمي بظلها ، او يكون مصيرها الضياع والدمار ..

ذلك ان سبب قوة امريكا وروسيا هو ـ بالذات وفى نفس الوقت ـ ســبب ضعفهما ، مادام ليس باستطاعة اى منهما ان يستخدم قوته النووية الهائلة ، خضوعا لمبدأ « الردع المتبادل » فكان تلك القوى

– اذن – غير موجودة ، وكان الدولتين الكبيرتين لا تزيدان الا من حيث الامكانات المادية على الدول الاخرى .. فهما قوتان عظيمتان ولكنهما ليستا القوتين الاعظم ، وهما دولتان كبيرتان ، ولكنهما ليستـــا الدولتين الاكبر ..

ولا سبيل الى الشك ، ولا الى الانكار بالتالى ، ان امريكا قد بلغت من التقدم الحضارى والتكنولوجي مبلغا عظيما جدا ، ربما لا نجد له – كثافة وعمقا – مثيلا فى العالم ..

ولهذا التقدم اسبابه الكثيرة ، ولكن اهم تلك الاسباب – فى نظرى – هو بعد القارة الامريكية عن مسارح الصراع العالمى ، ابان احتدامها فى اوربا واسيا وافريقيا خلال القرنين الحالي والسابق وهما القرنان اللذان يعادلان – بالضبط – عمر الحضارة الامريكية .

وبحكم الوضع الجغرافى الخاص ، هذا ، استطاعت امريكا – دوما – ان تختار المكان والزمان الملائمين لحركتها ، فهى لم تدخل الحربين العالميتين السابقتين الا بعـــد نشوبهما بزمن ، وعلى ضوء معطيـات وحسابات ما كان لها ان تصيب لو ان « الولايات المتحدة » كانت فى القـارة الاوربية ، حيث دارت الاحداث بعنف دون ان تحسب حسابا لاراء ومواقف الدول الاوربية المختلفة .

ولقد ظل هذا الوضع الجغرافى الخاص اساسا تلقائيا من اسس السياسة الامريكية ، بصورة جعلت كل ما هو امريكى مختلفا – بشكل او باخر – عما هو موجود فى بلاد العالم الاخرى .

وكانت هذه العزلة الجغرافية ، سببا فى نشوء النمط الفريد للحياة الامريكية ، وهو النمط الذى بدأ بظهور من يسمى « راعي البقر » – الكاوبوى – والدور الذى لعبه رعاة البقر فى جميع مناحي الحياة الامريكية ، منذ ذلك الحين والى يومنا هذا ..

الى يومنا هذا ؟

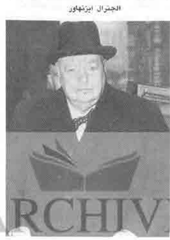
اجل ..

لأن اثار الكاوبوى الامريكى التقليدية قد حفرت فى اعماق الشخصية الامريكية العادية ، بدليل ان تلك الآثار ما تزال مادة رئيسية فى الافلام والمسلســــلات التليفزيونية والكتب والقصص التى تطلع علينا – ايامنا هذه – كل يوم ..

فالكاوبوى ليس مجرد راعي بقر كما هو شان الرعاة فى العالم ..

الراعي فى البلاد الاخرى يرتبط فى الاذهان بالهدوء والسكينة والوداعة ، وقد تضاف الى صورته لمحة اخرى هى « ناى »


الجنرال ايزنهاور


مستر ونستون تشرشل


الجنرال ديجول

يعزف عليه خلال ساعات نهاره الطويلة ، وقد يصبح شاعرا يستلهم الطبيعة التى يعيش فى احضانها معظم ايامه ..

اما الكاوبوى الامريكى فشيء اخر ..

ان صورته النموذجية معروفة للجميع ..

فهو قد اشتهر بملابسه التى لا تخرج عن البنطلـــون والقميص المزركشـــين ، والملتصقين بجسمه التصاقا وثيقا ، والمنديل الملتف حول عنقه وعقدته متجهة الى اليمين أو اليسار ، والجزمة الطويلة اللامعة بمهمازيها اللذين يصدران صوتا معدنيا مميزا كلما سار .. ثم – وهذا هو المهم – المسدسان المشدودان على جانبي وسطه ، يتباهى بهما ويسير مختالا ، ويداه – دائما وابدا – قريبتان منهما ، مستعدا لان يتناولهما فى مثل لمح البصر ليطلقهما يمنة ويسرة دون أن يحاسبه احد على ما يفعل ..

كان المقياس الذى به تعرف قيمة الكاوبوى هو – بالتحديد – قدرته على تناول مسدسه بسرعة تفوق سرعة خصمه ، ثم على اصابة الهدف بدقة ، وعلى هاتين النقطتين تتوقف حياته ، كمـــا تتوقف « سمعته » فى اوساط « الكاوبويز » جميعا عبر القرى والمدن والولايات .

وحول هذا المحور دارت جميع اقاصيص « الكاوبويز » واساطيرهم : كتبا ، وافلاما ، ومسلسلات مازال ينتج منها ، حتى اليوم ، شيء كثير .

وفى هذه الاقاصيص اسماء لامعة يعرفها الامريكيون كبارا وصغارا ، حق المعرفة ، وهى لا تقل اهمية عندهم عن اهمية واشنطن وجيفرسون ولنكولن وسواهم من الرؤساء التاريخيين .

وبطبيعة الحال ، نشات الاجيـــال الامريكية وهى مشبعة بروح الكاوبويز التى تؤمن بالمسدس وسيلة للتعبير عن الذات ، دفاعا وعدوانا لا فرق ، وبسرعة تناول المسدس واطلاقه مقياسا للبطـــولة و « العظمة » .

وحتى بعد ان سارت الولايات المتحدة على طريق التمدن والتحضر اشواطا بعيدة

بين الكاوبوي الأمريكي والدب الروسي

وعرفت ما عرفت من وسائل الحضارة ، ظلت صورة الكاوبوى تسيطر على عقول الامريكيين وضمائرهم سواء وعوا ذلك ام لم يعوه .

فالجريمة العصرية التى تعتمد على المدافع الرشاشة ، والقنابل ، والعنف المدمر هى من الابتكارات الامريكية التى ظلت ـ الى اليوم ـ عنوانا من عناوين الحياة الامريكية العادية ، ومع ان بعض البلاد الاوربية قد اقتبست ذلك الأسلوب ، الا انه ظل ابتكاراً وممارسة امريكيين لم يصل الى مستواهما اى شعب من الشعوب .

انه الكاوبوى الجديد الذى استبدل « مسدس الطاحونة » بالمدفع الرشاش ، ولكنه ظل ـ كما كان ـ الرجل الذى يقيس الأمور بمدى القدرة على سرعة استخدام السلاح واتقان الاصابة .

انه ـ هو نفسه ـ الكاوبوى الامريكى التقليدى ..

وهى ـ نفسها ـ عقلية « رعاة البقر » التى مازالت مترسبة فى أعماق الامريكى ، كبيراً كان ام صغيراً ..

واذا كانت امريكا قد ضربت ارقاماً قياسية كثيرة فى مجالات حضارية متقدمة لا تنكر ، فانها قد ضربت ـ كذلك وبجدارة تامة ـ ارقاماً قياسية فى معدلات الجرائم والحوادث التى تستخدم فيها المدافع الرشاشة والبازوكا والقنابل فى وضح النهار ، وفى اكثر المناطق والمدن رقياً وازدحاماً .

ومع خروج امريكا من عزلتها التى كانت قد التزمتها حتى بداية الحرب العالمية الأولى راى سكان العالم القديم الكاوبوى الامريكى القادم من العالم الجديد راى العين .

راوه بسلاحه الفتاك .. وشعوره العميق بالتفوق والتميز ، وبقدراته المادية العظيمة يقاتل الى جانب الحلفاء ويرجح كفتهم لتحقيق النصر ، ثم يستمرىء اللعبة فيجد نفسه ، برغبته او بدونها ، احد محاور الأحداث فى الكرة الأرضية جمعاء ..

وما ندرى .. اكان هذا « الظهور » من حسن حظ البشرية ام لا .. ولكن من الثابت ان الكاوبوى الامريكى قد بات رقماً رئيسياً فى معادلات السياسة الدولية ..

ومن هنا بدات المأساة .. او المشكلة ..

ان الأمر الذى يؤسف له حقا ، ان الكاوبوى الامريكى قد ظهر على المسرح بنفس صورته الأسطورية المثالية التى ظهر بها « الكاوبويز الطيبون » فيما مضى ..

انه الكاوبوى الشهم ، البطل ، المقدام ، الذى يلقي بنفسه فى المهالك لانقاذ الشعوب المستضعفة والمغلوبة على امرها

تاريخه ناصع البياض ، فلا تشوبه لطخات استعمارية بغيضة كتلك التى تملأ تاريخ الدول الأوربية الاستعمارية : بريطانيا وفرنسا والمانيا وبلجيكا وهولندا وايطاليا وروسيا ..

وقصة كفاحه ـ هذا الكاوبوى ـ قد وصلت الى شعوب العالم القديم ، فملأتها اعجاباً وتقديراً ، وبهرتها باضوائها وتهاويلها ..

بل ان الأمر بلغ ببعض الشعوب ان اختارت « الانتداب الامريكى » اذا كان لابد من فرض الانتداب عليها بعد الحرب العظمى ..

وكان السبب فى ذلك ، كما قلنا ، هو امتلاء الافكار بشهامة الكاوبوى الامريكى البطل ، وترفعه عن ممارسة الأساليب الاستعمارية الدموية التى اشتهرت بها الدول الأوربية العريقة فى تلك الأساليب .

لقد بدات نفس الفكرة التى ولد وعاش الكاوبوى عليها تصبح سياسة ثابتة له ..

فكما كان ، فى الماضى ، يؤمن باحقيته فى امتلاك اية مساحة من الأرض بمجرد وضع يده عليها ، ثم بضرورة القدرة على الدفاع عنها ، بدأ الكاوبوى الامريكى الجديد يمد نفوذه هنا وهناك الى مسافات قريبة ، نسبياً ، منه ، فاصبح بعض بلاد الشرق الاقصى منطقة نفوذ امريكية ، ومعظم بلاد امريكا الوسطى والجنوبية كذلك ..

ومع تتابع الاحداث فى القارة الاوربية ، كان الكاوبوى الامريكى بعيداً عن المشاركة فيها ، وقد عبر تشرشل فى مذكراته عن غيظه من هذا الموقف الذى جعل بريطانيا تقف شبه وحيدة فى مواجهة العملاق الالمانى الذى اطلقه هتلر فى الثلاثينات من هذا القرن ، والذى بدأ فى التهام اقطار اوربية واحداً تلو الاخر غير مكترث لشيء .. ولكن الكاوبوى الامريكى لم يبد كثير اهتمام ، فى الواقع ، بما كان يجرى فى الوجه الآخر من الكرة الارضية ..

وفجاة نزل الى الساحة كاوبوى اخر ، كان الأسرع فى اطلاق مسدسه ، وابرع فى احكام اصابته ، ولكنه ـ فى الواقع ـ لم يكن « كاوبوياً » تقليدياً وانما كان من « الساموراى » اليابانى ..

لقد جاء الكاوبوى ، هذه المرة ، من اليابان .. فكانت حادثة « بيرل هاربر » ـ ٧ ديسمبر ١٩٤١ م ـ نقطة تحـــول فى التاريخ ..

كانت ضربة الكاوبوى اليابانى موجعة وقاسية ، حين غزا « بيرل هاربر » جواً وبحراً ليقضي على اعداد كبيرة من سفن الأسطول الامريكى ، ولينبه الكاوبوى الامريكى الى ان هناك من يستطيعون تطبيق نفس الأساليب التقليدية للكاوبويز

العجيب حقا ، ان الامريكيين مازالوا ـ حتى الآن ـ معجبين بالاميرال اليابانى « ياماموتو » الذى اعد وقاد ضربة بيرل هاربر التى اصابتهم فى الصميم ..

لقد الفوا عنه كثيراً من الكتب وما زالوا ، وانتجوا عن الحادثة اكثر من فيلم سينمائى ضخم .

كانوا مبهورين ـ ومعجبين ـ بالكيفية التى شهر بها الكاوبوى اليابانى مسدسه ليطلقه على الكاوبوى الامريكى ..

قالوا ـ باعجاب ـ ان الكاوبوى اليابانى هو الأسرع فى اطلاق مسدسه ..

وسارت الأحداث على النحو الذى نعرفه وباتت امريكا بعد الحرب العالمية الثانية القوة الكبرى الوحيدة فى العالم ..

وهنا بدأ فى التاريخ عهد جديد تسلمت امريكا فيه ـ راضية ام مكرهة ـ زمام السياسة الدولية ..

وكان دهاقنة السياسة الاوربيين يشددون شعورهم غيظاً واستنكاراً ..

فاذا كانت الامبراطورية البريطانية قد انشئت بالذكاء والخبث والدهاء ، فان الامريكيين انشـاوا امبراطوريتهم بالمال والقوة والعنف ..

ـ ومرة اخرى يعرب لنا تشرشل عن غيظه ودهشته لما كاد ان يسميه ضيق الافق الامريكى .. مثال ذلك ، ان رئيس الوزارة



احدى المظاهرات التى عمت أوروبا الغربية رافضة زرع الصواريخ الامريكية النووية فى اوروبا .

البريطانية الاسبق قد بذل المستحيل لاقناع ـ او لافهام ـ القائد الاعلى للقوات الحليفة الجنرال الامريكى ايزنهـــاور ، بان من الضرورى ان تسارع تلك القوات الى احتلال برلين ودول البلقان واوربا الوسطى قبل السوفييت ..

كان تشرشل يفكر كسياسى محترف يتطلع الى ماوراء الاحداث ..

وكان ايزنهاور يفكر ك « كاوبوى » محترف يريد ان يحقق نصراً عسكريا كاملا دون نظر الى الخلفيات السياســـــة للمعـــارك العسكرية ..

وكانت نتيجة ذلك ان وقعت برلين ونصف المانيا ودول اوربا الوسطى فى قبضة الشيوعية واضطرت امريكا ، بعد ذلك ، لبذل جهود هائلة لحماية ما تبقى من اوربا تجاه المطـــــامع والتهــــديدات السوفييتية .

لقد استخدم الكاوبوى مسدسه ولم يستخدم عقله .. وكانت النتيجة ما نرى ..

وكان بوسع امريكا ان تفــــرض على السوفييت ما شاءت بعد القاء القنبلة الذرية على هيروشيما ، وانفرادها إذ ذاك بامتلاك هذا السلاح التدميرى الفتاك ..

ولكن الكاوبوى ربت على مسدسه ـ وهو هذه المرة قنبلة ذرية ـ واكتفى من الغنيمة بما حقق ..

ونفس القول ينطبق على الممارسة الامريكية فى الصين ..

لقد حاول الزعيم الصينى « تشـــان كاى تشيك » عبثا اقناع ـ او افهام ـ امريكا نتائج تخليها عنه وتركها الصين نهبا لماوتسي تونج واصدقائه السوفييت ..

ولكن الكاوبوى لم يفهم .. وكان ما كان ..

لقد وجد نفسه ، كما كان فى الماضى ، فى ساحة خالية من الاقوياء ، سواء ، فاعاد سيرة جده الذى كان يسيطر على بلدة باكملها بواسطة مسدسه سريع الطلقات ..

ولكن الوضع كان قد اختلف كثيراً ..

كانت هناك دول اخرى ، ليست عظمى فى الواقع ، ولكنها ذات تراث ثقافى وحضارى وسياسى عريق ..

وكان فى مقدمة تلك الدول فرنســـا الديجولية التى كانت أول من قال للكاوبوى (لا) وتصرفت فى معزل عن ارادة هذا الكاوبوى ..

لقد فسر ديجول سياسته ، بكل بساطة ، انها دفاع عن الثقافة الاوربية ، والفرنسية منها بشكل خاص ، وانه لا يرضى لدولة عريقة مثل فرنسا ان تصبح تابعاً للولايات المتحدة حتى ولو كانت تملك الســـلاح والدولارات .. كانت تلك السلســـلة من الاجراءات التى اتخذها ديجول والتى كان لها وقع عميق فى امريكا لم تغفره للجنرال الفرنسى قط .. فقد استبدل ديجول الدولارات التى تملكها فرنسا بالذهب ، واخرج قيادة حلف الاطلسي من ارض فرنسا ، وبدأ بتطبيق سياسة تقارب مع السوفييت والصينيين ، ووضع مصلحة فرنسا فوق مصلحة امريكا ..

ولا يتسع لنا المجال هنا لاستعراض كافة الصدمات التى اصيب بها الكاوبوى الامريكى حين واجه مقاومة من صغار ، وضعفاء ، وفقراء ، وكان فى ظنه انـــــه لا يوجد على وجه الأرض من يجرؤ على مواجهته وهو : الكبير ، والقوى ، والغنى .

ونكتفي بالاشارة الى نموذج واحد وهو النموذج الفييتنامى ..

فعندما ، اقيم احتفال لذكرى ضحايا الحرب الامريكية فى فييتنام وكشف الستار ـ لأول مرة ـ عن الرقم الحقيقى للضحايا الامريكيين فى تلك الحرب ..

كان الرقم سبعين الف قتيل خسرتهم امريكا فى فييتنام من اجل « قضية » لم يعرف احد ، حتى الآن ، ما هى على وجه التحديد ..

ففى ايام تصاعد الحرب الامريكية فى فييتنام قالت امريكا انها تدافع عن «أمنها» مع ان امريكا تبعد الاف الاميـــــال عن فييتنام ..

بين الكاوبوي الأمريكي والدب الروسي

لقد مارست امريكا نفس المنطق الهتلري في التمسك بما سماه هتلر « المدى الحيوى » والذى ، بحجته ، غزا تشيكوسلوفاكيا وبولندا . والنمسا ثم تعداها الى معظم ارجاء اوربا ..

ولكن الشعب الامريكى لم يقتنع .. وبات التساؤل عن معنى وفائدة حرب فيتنام مادة رئيسية للحديث ..

بل ان نيكسون فاز بتلك الاغلبية الساحقة على اساس برنامجه لانهاء الحرب فى فيتنام .

وسواء شئنا ام ابينا ، او بالاصح : شاءت امريكا ام ابت ، فقد انتهت الحرب الفيتنامية بهزيمة امريكا ..

والغريب انه عندما نقضت « هانوى » اتفاقية انهاء الحرب واكتسحت فيتنام الجنوبية باكملها لم تحرك امريكا ساكنا .. اى ساكن .. فلقد كان الكاوبوى الفيتنامي اشد مراسا واصلب عودا . واكثر مقاومة . ولقد قالها نيكسون مرة فى رسالته الشهيرة لعبد الناصر : « نحن قوم نحترم الرجولة ونصفق للبطولة » ..

وهكذا اصبح الانفراد بسياسة « غير امريكية » سياسة رسمية فى كثير من بلاد العالم ومنها اوربا الغربية التى بدات فى تطبيق سياسة مستقلة ، كثيرا او قليلا ، عن السياسة الامريكية وخاصة عبر السوق الاوربية المشتركة والبرلمان الاوربى ..

وكل يوم ، تقريبا ، نسمع عن المظاهرات الشعبية الرافضة لزرع الصواريخ الامريكية النووية فى اوربا ، والمنادية بسياسة لاتنحاز الى اى من القوتين الكبريين ..

وفى الشرق الاقصى : من كوريا الى فيتنام الى لاوس الى كمبوديا لاقت السياسة الامريكية هزائم اخرى ..

فلقد ادرك العالم كله ، من خلال واقع التطبيق السياسي الامريكى العملى ، ان امريكا ليست مستعدة لان تقاتل من اجل احد سواها ، وان على الجميع ان يقاتلوا من اجلها ..

وتثق اوربا الغربية ، اليوم ، ان امريكا لن تحرك ساكنا اذا ما هاجمها السوفييت مادام هذا الهجوم بعيدا عن الاراضي الامريكية ..

وان استخدام الصواريخ النووية - التى يقوم الخلاف حول زرعها فى اوربا الآن - هو للدفاع عن امريكا ذاتها وليس عن اوربا ..

وان الامريكيين لو كانوا جادين حقا فى الدفاع عن اوربا لفعلوا شيئا - اى شيء - للدفاع عن المجر وتشيكوسلوفاكيا و .. بولونيا ..

اى ان امريكا تريد ان تاخذ دون ان تعطي ..

وهذه هى - بالضبط - عقلية الكاوبوي الذى يعتمد على مسدسه اكثر مما يعتمد على عقله ..

ومن المؤكد ان اوربا فى توجهها المزدوج نحو دولها فيما بينها من جهة ، ونحو السوفييت من جهة اخرى انما تمارس حقها فى الدفاع عن نفسها ومصالحها ، تماما كما تفعل امريكا ..

وليس عهدنا بعيدا بالازمة التى اثارها مشروع انبوب الغاز السوفييتي الذى تحدت به اوربا حليفتها الكبرى امريكا واصرت على تنفيذه ..

والطريف ان الكاوبوى الامريكي قد « اعجب » بالصلابة الاوربية فى التصميم على تنفيذ المشروع فكف عن معارضته واعلن عن موافقته الضمنية ..

انه منطق الكاوبوى الذى يؤمن بان الحديد لا يفله الا الحديد ..

ولو انتقلنا الى الشرق الاوسط لوجدنا ان العقلية الامريكية لم تتغير قط .. امريكا تقول انها زرعت اسرائيل فى قلب المنطقة العربية لحماية مصالحها .. مع انها تعلم ان شعوب المنطقة ، اعني الشعوب العربية اقرب الى التعاطف مع امريكا منهم الى التعاطف مع السوفييت لأسباب كثيرة اهمها ان السوفييت شيوعيون ملحدون ..

ومن المؤكد انه كان - ولازال - بالامكان اقامة علاقات طيبة متكافئة بين امريكا والعرب تحفظ فيها مصالح الطرفين دون وجود اسرائيل .. وان هذه العلاقات قابلة للتوثق والقوة اكثر بكثير من علاقات تقام - اذا قامت - بسبب وجود اسرائيل ..

ولا ندري اى كمبيوتر ذاك الذى أوحى للامريكيين ان بامكانهم ان يحفظوا مصالحهم فى المنطقة العربية بالقهر والعنف والعدوان التى تمثلها اسرائيل ..

واى الحالتين افضل : علاقة بريئة صادقة قائمة على الثقة .. ام علاقة ملطخة بدماء ضحايا الاعتداءات الاسرائيلية بالسلاح الامريكي ..

لقد وقف الامريكيون مبهورين امام روعة القتال الذى أداه العرب ايام حرب رمضان وقد اعترف نيكسون بذلك بصراحة تامة فى مناسبات عديدة ..

فالعربى كان اسرع الى سحب مسدسه ، وابرع فى اطلاق نيرانه ، فاستحق اعجاب الكاوبوى الامريكى ..

- هل يجب ان يصبح العالم كله « كاوبويا » لكى يتمكن من التعامل مع امريكا والتفاهم معها ؟ ..

وبعبارة اخرى :

- هل نعيش حياة الغاب .. وشريعة العدوان .. واسلوب المسدسات سريعة الطلقات لكى نحمل امريكا على تفهم قضايانا وقضايا سوانا من الشعوب ؟ ..

ترى ..

ما ضر الكاوبوى الامريكى لو استخدم قوته التى لا ينكرها احد فى نصرة الشعوب المظلومة ومساعدة الدول المغلوبة على امرها ، وردع المعتدين والضرب على ايدى الاشرار ؟ .. وهلا يعتقد الكاوبوى ، هذا ، ان مصالحه تكون فى امان اكثر ، وضمان اكبر ، بدل اساليبه الحالية التى اثبتت فشلها وجعلت امريكا مكروهة فى بلاد .. وغير محبوبة فى بلاد .. وغير مرغوب بها فى بلاد ثالثة ؟ ..

انها ماساة العصر التى لم يسبق لها مثيل ..

ففى زمن يفترض فيه ان تجني البشرية ثمار التكنولوجيا المذهلة التى وصلت اليها لتعيش بسلام ودعة واطمئنان .. نجدها تعيش حالة من الذعر الدائم والرعب المستمر .. فالكاوبوى يقف فى الساحة شاهرا مسدسيه ، يطلق النار جزافا وعلى غير هدى ..

اما فى الطرف الآخر من الساحة فيجثم دب ابيض ، ضخم الجثة ، بطيء الحركة ، قوى الضربة ، يعرفه العالم باسم « الدب الروسي » ..

وما بين الكاوبوى الامريكى .. والدب الروسي .. تعيش البشرية اسوا فترة مرت عليها منذ مئات السنين .. وذاك حديث اخر موعدنا معه - ان شاء الله - فى القسم التالى .. حيث نلقى الضوء على سلوك « الدب الروسى » وتحركاته .. وعقليته .. وممارساته فى العالم ..

محمد عبده يمانى

الإسلام دين المفكرين

صور من التراث الغربي تجمع بين نابليون وفولتير

بقلم: محمد الغزالي

راقبت اناساً يدخلون فى الاسلام ، ويتركون اديانهم الأولى ، وتاملت فى البواعث التى تدفعهم الى ذلك ، فرايتها شتى ! قد تكون الاستنارة العقلية ، وقد تكون الاستراحة النفسية ، وقد تكون اسباباً شخصية او اجتماعية .

ولم ار لمشاعر الرغبة والرهبة آثارا تذكر فى اعتناق الاسلام ! ذلك ان الهزائم السياسية والاقتصادية التى تحيط بالعالم الاسلامى تجعل ذلك مستبعداً ..

وقد لاحظت امرين جديرين بالدراسة : ان المسلمين يزيدون ببطء ولكن بثبات ! وان الوافدين الجدد على عقيدة التوحيد لا ينقطع مددهم فى قارات كثيرة ..

اما الأمر الآخر فهو ان الغزو الثقافى يلقى مقاومة شديدة ، وان محاولات الفتنة ، واخراج المسلمين عن دينهم تلقى مقاومة اشد . ! وذلك برغم القصور والخلل اللذين يسودان ميادين الدعوة والتربية فى عالمنا الاسلامى المترامى الاطراف .. وقد ينجح الاستعمار الشرقى او الغربى فى إفساد قلب ، وتخليته من اليقين ، بيد ان ذلك القلب المصاب يبقى كالبيت الخرب تصفر فيه الريح ولا يحتله ساكن جديد ..



نابليون فى الأزهر بلباس اسلامى

واحسب ان الدعاة الصادقين لو تمهد لهم الطريق فانهم يقدرون على استعادة كل هذه القلوب الفارغة ، وملئها بالحق مرة اخرى ، فان الاسلام كان ولايزال اقرب الاديان الى مواءمة العقل والقلب ، والى التجاوب مع اصالة التفكير وسلامة الضمير ..

ومع احتفائي بكل من يعتنق الاسلام ، فانى اتجه باهتمام خاص الى المفكرين الكبار الذين يهشون للاسلام ، وتنفتح له اقطار نفوسهم ! واتتبع بدقة مسارهم العقلى وهم يتجهون للاسلام .

واسوق هنا مثلين عرضا لى فى قراءاتى الأخيرة ، اخترتهما عن تعمد ووعى .. !

الأول : القائد الفرنسى نابليون بوناپرت والثانى الفيلسوف الفرنسى فولتير .. !

اقرا معى هذه العبارات من كتاب « نظرات سياسية لنابليون » وصدق أو لا تصدق ! واستنتج منها ما تشاء فسأذكر رأيي فى القضية كلها بعد اقتباسها من مرجعها .

مشروع نابليون الاسلامى

وهذا المرجع منشور فى فرنسا ، وافريقية ، وسائر اقطار العالم ، يتحدث فيه نابليون عن نفسه فيقول : انه كان مقتنعاً بان الاسلام هو اصلح قاعدة لبناء اعظم دولة فى التاريخ ! وان هذا الاقتناع صاحبه لدى اعداد الحملة الفرنسية على مصر ! كانت هذه الحملة – كما يقول – تمهيداً لاقامة دولة اسلامية يكون هو على راسها ! ويحكى انه استقدم معه جيشا من الخبراء والفنيين ليكونوا الجهاز العقلى المدبر لهذه الدولة ، وزودهم بوسائل التحضر الحديث ليعينوه على هدفه البعيد ..

وقال إنه اجرى احاديث مع علماء الأزهر اكدت له ان الاسلام عقيدة وجوهر وليس رسوما وظواهر .. وانه يستطيع التدرج فى بناء الدولة التى يؤمن بها ، وإظهار صورتها الاسلامية شيئا فشيئا . !!

وقال : إنه كان يعد لاعتناقه الاسلام رسميا عندما يصل إلى بغداد ، ويعلن انفصاله عن عقيدته الاولى ! واكد انه قبل حضوره إلى مصر درس الاسلام ، واطمان الى صدق تعاليمه ، واستقرت هذه الطمانينة فى نفسه ، غير انه لما فاتح معاونيه بدخيلته وامانيه اعترضه بعضهم وبين له وعورة الطريق فكان جوابه : إنه فى سبيل المصالح العليا تحول هنرى الرابع ملك فرنسا السابق من العقيدة البروتستانتية الى العقيدة الكاثوليكية ، ولا يوجد ما يمنعه بدوره من التحول الى الاسلام .. ثم قال : إن القاهرة والاسكندرية اجدر من عواصم اوربا - لتكونا على راس العالم كله .

ذلك حديث نابليون عن الاسلام ! ونابليون فى نظرى رجل من عشاق المجد وطلاب العلى ومواهبه الذاتية تجعله قديرا على إثارة الميادين وتحريك الجيوش وقهر الاعداء وامتلاك الدول وكان المتنبى كان يصف طموحه وتوثبه عندما قال :

ولا تحسبن المجد زقّاً وقينة ... فما المجد إلا السيف والفتكة البكر
وتضريب اعناق الملوك وان تُرى ... لك الهَبَوات السود والعسكر المجَرّ
وتركك فى الدنيا دويا كانما ... تداولَ سمعَ المرء انمُله العشرُ

ونابليون كالاسكندر المقدونى ، كخالد بن الوليد فى جاهليته ، قائد عبقرى عارم المواهب !

ويعلم الله طويته فى جنوحه الى الاسلام وإحساسه بعظمة عقائده وشرائعه وصلاحيته الفريدة فى انشاء دولة عظيمة ، وحضارة اعظم .. ! اكان بذلك يريد بناء نفسه ورفعة اسمه ؟ ام كان يضيء فؤاده بين الحين والحين شعاع من معرفة الحق والتجرد لنشره ؟ ..

لكن الذى لاريب فيه أن نابليون كان اسلم فطرة واصدق قيلا من بعض العسكر الذين ظهروا فى تاريخ امتنا الحديث ، فكرهوا الاسلام وهاجموا تعاليمه واهانوا اهله !!

هؤلاء القادة لا يرتفعون الى مستوى نابليون من الناحية الحربية ، او الادارية ، وقد ورثوا الاسلام عن آبائهم لم يقدروه حق قدره ، فكانت عقباهم الحرمان من توفيق الله ، وإصابة امتهم فى مقاتلها .

اما القائد الفرنسى الدارس البصير فقد ادرك عظمة الاسلام والقدرات الروحية والمادية التى يوفرها لمجتمعه فود لو يقيم باسمه دولة ، وان ينصب هو على راسها خليفة ..

وجدير بالذكر ان المطبعة العربية التى جاء بها إلى مصر كانت اول مطبعة تدخل القاهرة ! فان الاتراك لم يسمحوا للعرب بان تكون لديهم هذه الآلة الخادمة للغة الوحي .. !!

وماكتبه « نابليون » عن عظمة الاسلام سجله وهو منفى بجزيرة « سانت هيلانة » التى قضى فيها نحبه ، اى انها تجارب قائد معمر اثبتها بعد حياة عاصفة ديست فيها ممالك ونمت ثورات ..

فولتير وعقيدة التوحيد

اما المثال الثانى فمن فكر الفيلسوف الفرنسى « فولتير » الذى تزعم الدعوة فى عصره إلى عقيدة التوحيد بعد ما توفر امدا طويلا على دراسة العهدين القديم والجديد وبعد ما استبطن حصائل الفلسفة الانسانية عن الخالق .. لقد انتهت به سياحته العقلية الى الاعجاب بالاسلام ، واودع إعجابه هذا فى كثير من كتاباته ، واختار هنا شاهدين من مدارستى الأخيرة له ..

الشاهد الأول : من كتابه « يقين اساتيد الاسلام » فقد لفت نظرى فى اثناء هذه المدارسة مع الصديق المترجم ان المؤلف وضع آية منقولة عن السورة «٧٧» تحت عنوان الكتاب معناها « بماذا يؤمنون بعد ذلك » ؟ يراها القارىء على غلاف الكتاب !!

قلت للصديق المترجم : انتظر ! السورة السابعة والسبعون هى سورة المرسلات ، والآية التى يشير إليها هى قوله تعالى : « فباى حديث بعده يؤمنون » ؟ وهو معنى تكرر فى السورة الخامسة والاربعين ، سورة « الجاثية » « تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فباى حديث بعد الله وآياته يؤمنون » ؟

وفولتير فيلسوف ساخر ، وقد ادار محاوراته على السنة ابطال اخترعهم ، ومن الطريف انه خلق شخصية وهمية لشيخ اسمه علي جيرير عميد كلية الآذهبات بادرنة – وكانت يوم ذاك عاصمة اسلامية – وعضو اكاديمية العلوم بسمرقند ولم تكن يوم ذاك مستعمرة



LA CERTITUDE DES PREUVES DU MAHOMÉTISME, OU EXAMEN ... HAKIM ... ALI-GIER-BER ... SECONDE PARTIE. A LONDRES, MDCCLXXX.

فولتير .. وصورة لغلاف كتابه « يقين اسانيد الاسلام » الذى اتخذت اجراءات جادة لوقفه

روسية ..

ويقول فولتير لقرائه المسيحيين : كيف تحقرون كتاباً يدعو الى الفضيلة والزكاة والرحمة ؟ كتاباً يجعل الرضوان الاعلى جزاء لمن يعملون الصالحات وتتوفر فيهم الكمالات الذاتية ؟ ان الذين يهاجمون القرآن لم يقرءوه قطعاً .. !

اما الشاهد الثانى فننقله من القاموس الفلسفى لفولتير طبعة سنة ١٨٢٢ م الجزء السادس ص ٤ وهو يصف اتباع محمد ، ويرد التهم الموجهة إلى الاسلام بانه دين مادى !

اسمع إليه يقول لكارهى الاســـلام ومهاجميه : « اكرر لكم القول ايها الجهلة الأغبياء الذين غرر بهم جهلة أغبياء .

وافهموكم ان عقيدة محمد عقيدة لذات وجنس ، قوامها الشهوات المادية ! فى حين انها ابعد ما تكون عن هذا الوصف ! لقد خدعتم فى هذه الناحية كما خدعتم فى نواح اخرى عديدة .. » .

« ايها الاساقفة والرهبان والقسس ، إذا فرض عليكم قانون يحرم تناول الطعام من الرابعة صباحاً حتى العاشرة مساء فى شهر يوليو ـ اى فى وقدة الصيف ـ عندما يحل الصيام فى هذا الشهر .. اذا حرم عليكم لعب الميسر وإلا استهدفتم للعنة الله .. إذا حرم عليكم شرب الخمور والانبذة تحت التهديد بالجزاء نفسه .. اذا فرض عليكم الحج فى صحراء محرقة .. اذا فرض عليكم اعطاء ½ ٢٪ من مـــالكم للفقراء .. اذا كنتم تتمتعون بزوجات تبلغ ثمانى عشرة زوجة احياناً فجاء من يحذف أربع عشرة من هذا العدد .. هل يمكنكم الادعاء مخلصين بان هذه الشريعة شريعة لذات وجنس .. ؟؟ » .

ثم يقول فولتير مشيراً الى الهزائم التى وقعت بالمسلمين على عهـــــده : « ان المسيحيين الآن يتفوقون على المسلمين فى ميادين شتى ، وقد انتصروا عليهم مؤخراً ما بين ســـنة ١٧٦٩ وســـنة ١٧٧٣ (مشيراً الى الحروب التى نشبت بين الاتراك والأوربيين) لكن الامر لا يدعو الى الاسراف والتهور فى النقد الظالم للاسلام نفسه ! لكن الافتراء على المسلمين اسهل لديكم من استرداد البلاد التى فتحوها ! » .

ويقول « فولتير » : « اننى امقت الافتراء ولا اقبل الصاق التهم بالاتراك رغم كراهيتى لهم ! اننى اكرههم لسوء معاملتهم للنساء ، ولأنهم يحاربون الفن .. » .

ولما كان الأوربيون يتندرون برحلة قام بها محمد فى السماء ، ويتخذون من ذلك الخبر مجالا للهزء والتكذيب فان « فولتير » يقول : « ان هذه الرحلة لم يتحدث عنهـا القرآن ، ومن ثم فلا مجال للاستناد اليها فى انكار رسالته ! (١) وقد هدم محمد الضلال السائد فى العالم على عهده ، وقام بالكفاح المفروض على الانسان لبلوغ الحقيقة ! ولكن يبدو انه يوجد دائما من يعملون على استبقاء الباطل وحماية الخطأ ! » .

اننى اعرف أن قراراً بابوياً صدر بحرمان فولتير لهذه المواقف النزيهة ! وقد احتال ابن اخيه فوارى جثته التراب بعد موته ، وكان المفروض ان تترك نكالا لأمثاله !

حتى قامت الثورة الفرنسية فنقلت رفاته الى مقبرة العظماء ، وقدرت عبقرية رجل عاش عشرات السنين يكتب ويؤلف ، وبلغت بحوثه المئات من الرسائل والكتب !

فلاتجـاوز هذا التاريخ المثير الى شيء اخر ! اريد ان اسال ناساً من جلدتنـــــا يتكلمون بالسنتنا وينتمون الى تراثنا ، شاء الله أن يعرفوا اللغات الأخرى ، ويقتبسوا منها ويترجموا .. اريد أن أسالهم ماذا افدتم من هذه المقدرة ؟ وماذا افادت امتكم منكم ؟ هل استصحبتم دينـــكم وتاريخكم وانتم تطالعون الثقـــافات الأجنبية ؟ هل استوقفكم صديق يحب العدالة او استثاركم خصم يكره الشرق ، ويزدرى العرب ، وينال من الاسلام .. ؟

إنكم لم تترجموا العلوم ، وكنا افقر اليها من الروايات الغرامية والجنائية التى زحمتم بها لغتنا وشغلتم بها اولادنا .. ونقلتم أكاذيب المستشرقين ومفتريات الناقمين على الاسلام وحضارته وتاريخه المديد ، دون رد ذكى أو عادى ، بل احياناً مع الرضا ! فكيف ساغ لكم هذا ؟

وفى الحضارة الغربية عباقرة كثيرون عرفوا للاسلام فضله وقدروا له ما اسدى للعلم وللعالم ، اما كان حقاً عليكم ان تعرفوهم وتشيدوا بصدقهم وتقدروا شجاعتهم بين قومهم ؟ اعتقد ان السكوت هنا لون من الغدر ، بل هو خدمة لكل القوى المعادية للاسلام .

محمد الغزالى

هوامش :

(١) يظهر ان الفيلسوف يشـــير الى « قصة المعراج » التى وردت فى بعض الاحاديث ولعلماء المسلمين فى هذه القصة كلام طويل لا محل لسرده هنا ، وما ننبه إليه أن الدعوة الى الاسلام تكون الى اصوله وما علم بالضرورة منه .. اما القضايا الخلافية والأحكام الظنية فليست موضوع الدعوة ، وتدبر الاثر الوارد : حدثوا الناس بما يطيقون ! اتحبون أن يكذب الله ورسوله ؟؟

مع الصحوة الثقافية



نحو فكر اجتماعي يرى الأزمة في جذورها

بقلم: الدكتور محمد جابر الأنصاري

اذا كانت الحاجة ماسة اليوم .. الى التامل طويلا فى الجذور الاجتماعية التاريخية للازمة العربية منذ عصر الانحطاط الى اليوم ، فان العلم القادر على التصدى لذلك هو علم الاجتماع او الفكر الاجتماعى التحليلى والنقدى المتسلح بالعلوم الاجتماعية كافة من تاريخ واقتصاد وسياسة وعلم نفس جماعى .

مثل هذا الفكر هو القادر على رؤية تلك العوامل الاجتماعية التاريخية التى طبعت الوجود العربى بميسمها .





ابن خلدون



محمود سامى البارودى

جرجى زيدان



محمد المويلحى





ابراهيم اليازجى

قيل الكثير ، وكتب الكثير عن أسباب التردى الراهن فى الحياة العربية .

وقد اختلفت وتفاوتت مذاهب تفسير المعضلة ، فمن قائل انها لقصور فى التربية ونظم التعليم ، ومن ذاهب الى انها تعود لطبيعة السياسة وأساليبها ونظمها ، ومن مفترض انها راجعـــة لنوعية النظـــام الاجتماعى الاقتصادى العربى ونوعية العلاقة بين الطبقات الاجتماعية فى هذا النظام . ومن معتقد انه بسبب الاخفاق فى تحقيق الوحدة التى يراها المدخل لأى تغيير نوعى فى الحياة العربية .

هذا بالاضافة الى من يقول ان المشكلة عائدة لتخلى العرب عن تراثهم وقيمهم الأصيلة ، ومن معترض عليه يقول له : بل المشكلة عائدة الى تقصير العرب فى استيعاب حداثة العصر واسرافهم فى التمسك بأهداف الماضى والخضوع لسلطة الأجداد .

ومن قائل ان العرب يحتاجون الى علاج واحد لا ثاني له هو الديمقراطية واحترام حرية الرأى والرأى الاخر ، ومن معارض له يقول : بل العرب بأشد الحاجة الى المستبد العـــادل الذى سيحقق لنـــا فى ســـنين ما عجزنا عن تحقيقه فى قرون ، (حسب تعبير الشيخ محمد عبده) .

ومن متيقن انه لا مخرج من التخلف إلا بالتصنيع الحديث لتغيير العقل والسلوك معا كما ذهب الى ذلك سلامة موسى وكما تؤكده اليوم المدرسة الانمائية العربية فى كثير من البلاد العربية النفطية وغير النفطية ، وتعقد من اجله الكثير من الندوات والمؤتمرات وتنشر عنه الكثير من البحوث والدراسات ..

ولأن الكوارث والتراجعات تستمر ، والأخطار تتزايد يوماً بعد يوم ، فلم يعد من الممكن التيقن من وجاهة اى تفسير من تلك التفسيرات العديدة والمتضاربة ، على ما فى كل واحد منها من وجهة نظر جـــديرة بالاعتبار ، وعلى ما يقوم بين عدد منها ، على الاقل ، من تكامل فى اعطاء تفسير اشمل ، وعلاج أعم للأزمة كلها .

وقد بلغ من خطورة الأمر اقتراب بعض

نحو فكر اجتماعي يرى الأزمة في جذورها

العرب من القبول بالنظرية الاستعمارية والصهيونية التقليدية التى نبتت فى دوائر الاستعمار البريطاني والفرنسي ثم دبنتها الدوائر اليهودية واخذت تعمل على تحقيقها ، والقائلة: ان التكوين العربى البشرى يعاني من خلل رئيسي فى بنيته يشمل العقلية والنفسية والسلوكية العربية ، وانه تكوين عاجز عن التفكير العقلي العلمي المنظم ، وعاجز عن العمل الفعال المخطط بسبب احتقار العرب لقيم العمل المهنى والعمل الجماعي المشترك ، واسرافهم فى الفردية والانانية والتنازع الداخلى فيما بينهم ، الأمر الذى ساعد ويساعد على تقسيم العالم العربى الى كيانات ودويلات صغيرة متناحرة تعتمد على الغرب ثم تضطر للقبول بالهيمنة الاسرائيلية التى هى استمرار ـ حسب زعم تلك النظرية ـ للحضارة الغربية وللتقدم الغربى فى هـــذه المنطقــة المتخلفــة والمتناحرة .

وقد ظهرت فى السنوات الاخيرة وثائق ودراسات اسرائيلية وغربية تؤكد هذا المعنى وتدعو لتعميقه وترسيخه وتحويله الى واقع نهائي لافكاك للعرب منه ، ويمكن لمن أراد التوسع فى الموضوع ان يعود الى تلك الوثائق ليطلع عليها مباشرة ويرى منطوقها الحرفى الذى اوردناه هنا معدلا ومخففا ، فبعض هذه الوثائق الاسرائيلية يذهب الى حد التحريض على وحدة الكيان المصرى الذى هو اقدم وأرسخ كيان عربى فى الماضى والحاضر ، واشد المجتمعات العربية انسجاما وتماسكا ، ليطالب بتفتيته اسوة بالمجتمعات العربية الاخرى التى اجتاحتها هجمة التقسيم ، (وذلك لادراك اسرائيل انه مادامت مصر باقية فى قلب العالم العربى ، موحدة ومتماسكة فلابد يوما ما من اجتماع الاجزاء العربية حولها من جديد ، طال الزمان او قصر . لهذا فان المخطط الاسرائيلي يريد ان يطال آخر امل وابقى رصيد واحتياط لامكانية توحيد العرب ..) .

ايا كان الامر ، فان تدافع الاحداث الماسوية قد ادى الى تشويش الرؤية العربية الى حد الاقتراب ، كما قلنا ، من قبول هذه النظرية المعادية المشـــــينة او ما يشبهها ويدور فى فلكها الفكرى والنفسي وهذا منتهى الهزيمة المراد إلحاقها بالوجود العربى فى الصميم ، فعندما يصل اى عربى الى القبول بالدونية التى يفرضها عدوه عليه فى داخل عقله ونفسه ، لا يبقى من مجال لاى انقاذ او خلاص .

وما يتوجب ايضاحه وادراكه بجلاء تام فى هذا المجال هو ان العدو استغل اخطاء وعللا واوضاعا كانت ومازالت موجودة فى الكيان العربى ، لان العرب اجلوا حلهـا ومواجهتها منذ بداية النهضة . وساعد الاستعمار على صرفهم عن علاجها وحسمها فبقيت هناك فى داخل الجسم العربى تضعف مناعته وتقلل من قدرته على مقاومة التحديات ، الأمر الذى سهل للجراثيم المعادية اقتحامه والتغلغل فيه واستيطانه وتفتيته كما يحدث اليوم .

فجذور المشكلة اذن ليست فى ضراوة الهجمة المعادية الشرسة على ضراوتها وشراستها وخطورتها . وانت لا تتوقع من عدوك الشرس الغادر الضارى ان يرسل اليك باقات من الورد . فمن طبائع الاشياء ان يكون العدو ضاريا شرسا اذا وجد جسم عدوه ضعيف المناعة قابلا للكسر .

والواقع ان ضعف المناعة كان ملازما للكيان العربى قبل قيام اسرائيل وحروبها ، وقبل وصول الاستعمار وعهوده . كما ان التشوش فى الرؤية العربية بشان تحديد اسباب الازمة المصيرية الوجودية ، وتحديد علاجها الناجع ، كان ايضا قائما بشكل او باخر وبصورة مقنعة (بتشديد النون) منذ بداية النهضة . فجعلته الهزائم والنكبات يظهر بصورة مكشوفة الآن حيث لم يعد بالامكان ستر مصائب قومية بهذا الحجم والاتساع . لكن التشوش فى رؤية العلاج كان قائما منذ البداية وقبل توالى احداث السنوات الاخيرة .

عندما حدثت نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ تصور الكثيرون من العرب ان اللوم يقع على عاتق انظمة عربية معينة كانت قائمة عندئذ ، وتولدت حركة واسعة لتغيير تلك الانظمة . وهذا ما حدث بالفعل .

وعندما حدثت النكبة العربية الثانية عام ١٩٦٧ اتضح ان المسالة لم تكن بمثل تلك البساطة . فهذه انظمة من نوع اخر تواجه هزيمة مماثلة ، ان لم تكن افدح .. وجرى البحث عن نوع اخر من الاخطاء والمسببات .

وعندما حدثت النكبة العربية باحتلال بيروت وذبح الفلسطينيين فى صبرا وشاتيلا . فى ظل اوضاع عربية تختلف عن اوضاع ١٩٤٨ واوضاع ١٩٦٧ ، جرى البحث عن نــــوع ثــالث من التنظـير والتفسيرات لاسباب الكارثة .. وهكذا ..

والخطا فى ذلك كله اننا ناخذ حدثا بعينه مفصولا عن مجرى تاريخنا الحديث كله ومجرى عصر الانحطاط الذى كابدته الامة العربية ايام المماليك والترك وغيرهم وننظر الى الحدث وكانه حجر ساقط علينا من السماء وليس خارجا ومنبثقا من مجرى واقع التخلف الذى عشناه ونعيشه والذى ورثناه من عصر انحطاط طويل يبلغ عمره عدة قرون منذ توقف الابداع الحضارى العربى فى القرن الرابع الهجرى . وتعرض المنطقة العربية للموجات الغربية الكاسحة التى اخذت تجتاحها منذ سيطرة الترك على الخلافة فى عهد المعتصم الى اجتياح المغول بقيادة هولاكو للشرق العربى ، الى تدمير مراكز الحضارة فى المغرب العربى على يد الموجات الصحراوية المتبدية ، كما لاحظ ذلك ابن خلدون واستمد منه نظريته

في تفسير التاريخ العربي على اساس الجدلية الماسوية بين البداوة والحضارة .

وتلك الفذلكات المجتزاة التى تاخـــذ حدثا بعينيه وتعتبره محـــور الكارثـة وتشبعه بحثا وتحليلا وكانه لا علاقة له بمجرى التاريخ الذى سبقه ، والواقع العميق الذى حضنه وولده (بتشديد اللام) يعود سر انتشارها الى شيوع الجرائد اليومية والكتابات الصحفية الحديثة العابرة ، والكتب السياسية التى تسعى للانتشار والضجيج ، يضاف الى ذلك النشرات الاخبارية المتتابعة والتغطيات التليفزيونية التى تنقل الوقائع والاحداث مجتزاة كامور منفصلة لايربطها رابط .

هذا الطوفان الاعلامي لاى حدث من الاحداث يجعل العقل العربى يضيع فى متاهة الوقائع اليومية المتعاقبة ، واذا ظهر تحليل سياسي فانه يربط احداث اسبوع واحد . واذا صدر كتاب سياسى فانه يغطى حقبة سنوات معينة ويدخل فى تفاصيلها ، بما يقطعها عما سبقها من فترات تاريخية تولدت تلك الحقبة منها ..

لذلك فان صحافتنا واعلامنا بحاجة الى نشر دراسات اجتماعية تاريخية تتناول جذور واصول المشكلة العربية منذ عصر الانحطاط الى الفترة المعاصرة بشرط ان تكون هذه الدراسات واضحة وغير معقدة موضوعا واسلوبا ليسهل على المواطن العربى فهمها وادراكها .

وعلى المفكرين والجامعـــات ودوائر البحث ومراكز الدراسات التصدي لمعالجة هذا الموضوع الجذرى وطرحه فى ابعاده المختلفة ومن زواياه المتعددة .

وعلى المجـــلات الثقافيـــة خاصـــة ، والجرائد والاذاعات والتلفزة بعامة تعميم هذه الأبحاث بعد تبسيطها دون إخلال ، وتيسيرها دون تسطيح ، لتتولد صحوة ثقافية جديدة بشان الجذور الاجتماعية التاريخية للأزمة العربية المستديمة ، تلك الجذور التى تولدت منها مختلف الكوارث القومية ، وتفرعت عنها مختلف مظاهر التخلف ، ليتم تفادى هذا التفريع التجزيئي المضلل لسبل مواجهة الأزمة الطاحنة .

والواقع ان المجلة الثقافية العربية تتحمل الجانب الأهم والاكثر دقة من هذه الرسالة . فهى تقف جسرا موصلا - او يجب ان تكون كذلك - بين المفكـــرين والجامعات ومراكز البحث من ناحية، وبين الصحافة والاذاعة والتلفاز والجمهور الواسع من ناحية اخرى، وعليها يقع عبء توصيل الفكر الى وسائل الايصال العامة . وعلى الجانبين التعاون معها فى ذلك لتحقيق هذه المهمة على الوجه الأكمل .

وفى اعتقادى ان علم الاجتماع ، كفكر حي وليس كمنهج اكاديمي وصفي ، هو علم المرحلة الحاضرة من تاريخ الفكر العربى والثقافة العربية .

فقد كانت علوم الادب هى علم مطلع النهضة عندما تم احياء اللغة والاساليب الادبية على يد اليازجي والبارودي والمويلحي .

ثم كان الاهتمام بالتاريخ هو النزعة السائدة فى فترة تالية عندما ظهرت سلسلة جرجي زيدان وغيرهـا حول تاريخ العرب والاسلام .

ثم صار علم السياسة ومشتقاته هو علم المرحلة فى الاربعينات والخمسينات بظهور المد السياسى القومى .

هذه العلوم المختلفة اسهمت بشكل او باخر فى دفع ركاب النهضة لكنه لم يكن كافيا على ضوء ما الم بالعرب من هزائم وتراجعات .

واذا كانت الحاجة ماسة اليوم ، كما اوضحنا ، الى التامل طويلا فى الجذور الاجتماعية التاريخية للازمة العربية منذ عصر الانحطاط الى اليوم ، فان العلم القادر على التصدى لذلك هو علم الاجتماع او الفكر الاجتماعى التحليلي والنقدى المتسلح بالعلوم الاجتماعية كافة من تاريخ واقتصاد وسياسة وعلم نفس جماعي .

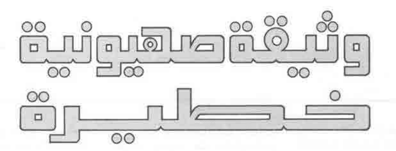
مثل هذا الفكر هو القادر على رؤية تلك العوامل الاجتماعية التاريخية التى طبعت الوجـــود العربى بميســـمها ، كالجدلية الدهرية بين البداوة والحضارة ، وتعرض مراكز الحضارة العربية لموجات متعاقبة من غزو الرعاة القادمين من الصحارى الآسيوية والافريقية مما ادي الى الانقطاع والتقطع الحضارى فى التاريخ العربى بفعل هذه الموجات المتبدية المتعاقبة .

اضف الى ذلك وجود الصحراء كعامل انفصالي بين معظم البلاد العربية ، وتاثير التنظيم القبلى والطائفي والعلاقات العشائرية بين الكيانات العربية . الامر الذى اسهم فى خلق هذه التعددية غير الصحية فى الوطن العربى وســـاعد المخططات الاجنبية على تنفيذ ماربها فى التجزئة والتقسيم .

والحديث عن هذه العوامل الاجتماعية التاريخية وغيرها من عوامل استراتيجية معاصرة حديث يطول ، نكتفى بالاشارة الى عناوينه التى ذكرنا بعضها بايجاز شديد على امل العودة الى بحثها فى مقال اخر ، مع دعوتنا لكل المفكرين والمثقفين العرب للاسهام فى مثل هذه الابحاث ، لأن المهمة اكبر من ان يتصدى لها فرد واحد او جهة واحـــدة .

واذا كان المثقفون العرب لا يقدرون على التاثير فى احداث المصير ، فلا اقل من ان يحاولوا توضيح الرؤية الشاملة والسليمة امام الامة حول ما يمس وجودها فى الصميم .

محمد جابر الأنصاري



بقلم : عصام شريح

● يسرائيل كنيغ : يجب تشجيع الطلبة العرب على دراسة المواضيع الفنية وعلوم الطبيعة .. لأنها لا تعطي سوى القليل من الوقت للاشتغال بالأمور القومية !

● التكاثر الطبيعي لعرب الجليل .. سيفتح المجال امام دخول قوات عسكرية من الشمال الى اسرائيل .

اذا قدر لمؤسسة اعلامية او مركز ابحاث عربي ، ان يقدم الحركة الصهيونية موثقة ذات يوم ـ وذلك امل غال ـ فان الوثيقة التى وضعها وكتبها الصهيونى « يسرائيل كنيغ » سوف تتصدر اي عمل من هذا النوع دون ادنى شك .. ذلك ان هذه الوثيقة تتميز بصراحتها المطلقة بما تحفل به من عنصرية وكراهية للعرب ، وتآمر مفضوح ضدهم لدفعهم الى الهجرة من وطنهم ، أو جعلهم « مواطنين من الدرجة الدنيا في الكيان الصهيوني وتقليص عددهم بكل الوسائل والأساليب .. اما بالنسبة ل يسرائيل كنيغ ، فما نعرف مفكراً أو منظراً صهيونياً ، كان فى مثل هذا « التجلى » روحه وفكره العنصريين ، وذلك ، فى وثيقته التى ستكون مدار هذه المقالة ، والتى نشرتها صحيفة « عل همشمار » بتاريخ ٧ ـ ٩ ـ ١٩٧٦ .

يسرائيل كنيغ هو متصرف لواء الشمال (منطقة الجليل) بوزارة الداخليـــة الاسرائيلية ، ويضم هذا اللواء او المنطقة اقضية عكا والناصرة وصفد وطبريا ، حيث توجد اكثرية عرب عام ١٩٤٨ .

ومن موقعه كمسؤول لهذه المنطقة على مدى اكثر من عشرين عاماً ، اصيب كنيغ بصدمة نفسية عنيفة ، عندما راى بام عينيه صحوة عرب الجليل فى يوم الارض فى الثلاثين من آذار (مارس) ١٩٧٦ ، حيث سقط ستة من الشهداء وعشرات الجرحى ، فى احداث ذلك اليوم التاريخى المجيد ، عندما هب عرب الجليل هبة الرجل الواحد ، للدفاع عن ارضهم ، ومقاومة قوانين وممارسات مصادرة الارض العربية بالقوة .

وازاء ما جرى فى يوم الارض ، تكشف للصهاينة ، وفى مقدمتهم يسرائيل كنيغ ، أن عرب الجليل ، كانوا فى غفوة ، ليس إلا وأن هذه الغفوة قد ذهبت الى غير رجعة ، لتعقبها حالة الصحوة الوطنية والقومية ، وأن سياسة الاحتواء التى ظن الصهاينة انها قد نجحت قد سقطت وتهاوت كما تسقط وتتهاوى اوراق الخريف . ومن هنا ، اعـاد كنيغ التفكير فى مجمل سياسة الاحتواء ، ليطلع بوثيقته الشهيرة ، التى يوصي فيها باتباع سياسة عنصرية مباشرة وعنيفة .

المشكلة الديمغرافية

وكان اول ما تطرقت اليه وثيقة كنيغ ، المشكلة الديمغرافية ، او التكاثر الطبيعى لعرب الجليل ، وتحذر الوثيقة من خطورة هذه المشكلة بالنسبة لمصير هذه المنطقة ، التى بلغ عدد العرب فيها فى منتصف عام ١٩٧٥ ، نحو ٢٥٠ الف نسمة ، فى مقابل نحو ٢٨٩ الف يهودى ، وتشير الى ان نسبة العرب فى الجليل الغربى قد بلغت ما نسبته ٤٨ بالمائة . ويقدم يسرائيل كنيغ مثلا على التكاثر الطبيعى لعرب الجليل ، فيقول انه فى ازدياد عدد اليهود فى لواء

الشمال ٧٥٩ نسمة فى عام ١٩٧٤ ، فان الزيادة العربية كانت بالمقابل ٩٠٣٥ نسمة ويحذر كنيغ من ان هذا المعدل المطرد فى التكاثر الطبيعي لعرب الجليل ، سوف يجعل نسبتهم تزيد فى المستقبل عن ٥١ بالمائة .

لكن اهم ما يحذر منه كنيغ بالنسبة لهذه الزيادة او التفوق العددي للعرب ، هو ان هذا التفوق يهدد السيطرة اليهودية على منطقة الجليل ، ويفتح الابواب امام دخول قوات عسكرية من الشمال الى « اسرائيل » ويؤثر فى تعاظم الشعور القومي لدى عرب الجليل واستعدادهم للمساهمة فى ذلك .

وتشير الوثيقة الى تنامي الحس القومي فى اوساط عرب ١٩٤٨ وعرب ١٩٦٧ ، نتيجة لحرب عام ١٩٦٧ ، وما اعقبها من سياسة الاتصال الحر من الضفة الغربية وقطاع غزة ، وسياسة الجسور المفتوحة ، الامر الذى ادى الى تجديد اللقاء بين عرب ١٩٦٧ وعرب الاردن من جهة ، وعرب ١٩٤٨ من جهة اخرى ، وقد نجم عن هذا اللقاء خلق ارضية مشتركة لشعارات النضال القومى فى « اسرائيل » ووقوف العرب بهامات مرفوعة ، وقد جاءت حرب عام ١٩٧٣ لتضخ زخماً جديداً فى هذا التطور الحتمى ، بسبب ما اسفرت عنه من نتائج ، وما ادت اليه التطورات الدولية اللاحقة من اعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ، حاملة للواء النضال الفلسطيني .

وتقدم الوثيقة حالات عديدة عن تنامي الحس القومي لدى الفلسطينيين من عرب ١٩٤٨ ، ليس اقلها ، قول رئيس بلدية معليا فى اجتماع عقد فى الناصرة فى عام ١٩٧٥ « ... ما هو حق اسرائيل المعنوى فى مصادرة الأراضي فى هذه المنطقة (الجليل) ، التى تقع بموجب قرار التقسيم الصادر عن الامم المتحدة فى عام ١٩٤٧ ، خارج دولة اسرائيل ؟! » .

وتعتبر الوثيقة تنامي الشعور القومي لدى عرب ١٩٤٨ ، وبالاخص لدى عرب منطقة الجليل ، ظاهرة تشير الى رغبة هؤلاء العرب فى الاحتجاج ضد الحكم الاسرائيلي ، ولو بنبرة منخفضة ، وهو ما تصفه الوثيقة بانه « حقيقة خطيرة جداً بالمقارنة مع سلوكهم فى الماضي » ، الامر الذى يشير الى ان اسرائيل فى طريقها الى مواجهة مكشوفة مع « المشكلة العربية فى اسرائيل ... خاصة وان هناك خوفاً جدياً من ان تنفذ خلال العقد المقبل (عقد الثمانينات) عملية استيلاء عربية من الناحية الديمغرافية والسياسية على قضائي عكا والناصرة » . وازاء كل ذلك ، يقترح يسرائيل كنيغ اتباع سياسة قمعية اكثر وضوحا ، ويضع عدة خطوات لتحقيق هذه السياسة ، منها توسيع وتعميق الاستيطان اليهودى فى المناطق ذات الكثافة السكانية العربية ، ودرس امكانية خفض عدد العرب فى تجمعاتهم السكانية القائمة وتطبيق القوانين التى من شانها تقييد « عمليات الاستيطان » العربية . كما يقترح كنيغ اتباع سياسة الثواب والعقاب بالنسبة الى القادة والقرى الذين يتكلمون بأية صورة معادية « لدولة اسرائيل والصهيونية » . ولمواجهة مشكلة تقدم حزب « راكاح » بين عرب الجليل على غيره من الاحزاب الاسرائيلية ، يقول : انه يتوجب تشكيل حزب شقيق لحزب العمل (الذى بقي فى الحكم حتى عام ١٩٧٦) ، « يكون التركيز فيه على مبادىء المساواة والانسانيات والثقافة واللغة والنضال الاجتماعى ورفع علم السلام فى المنطقة ، كما على المؤسسات الحكومية ان تهيىء نفسها من اجل ان يكون لها وجود خفي فى هذا الحزب ، وان تتحكم فيه » .



يسرائيل كنيغ صاحب الوثيقة الصهيونية التى ترمى الى تهويد منطقة الجليل

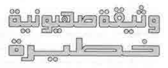
الزعامة العربية

وتنتقل وثيقة كنيغ الى معالجة ما تسميه بمشكلة الزعامة العربية لعرب ١٩٤٨ ، فتعترف ، بان الجيل الجديد من هؤلاء العرب ، هو جيل متمرد ، كما تعترف بفشل السياسة الاسرائيلية فى خلق زعامات عميلة او موالية بين عرب الجليل ، وتحذر الوثيقة من ان نتائج خلو الساحة العربية « فى اسرائيل » من قادة موالين تنطوي على كارثة ، خاصة وان « الجيل الثانى » من العرب ، لم يستطع تقبل القادة الذين فرضتهم السلطات الاسرائيلية بشكل او اخر .

وتتوقع الوثيقة ان تكون احدى نتائج الصراع بين القيادات التقليدية الموالية ، والجيل المتمرد ، انقلاب الصراع على السلطة والمنصب ، « الى صراع ضد مؤسسة الحكم والدولة » ، بالاضافة الى ان اكثرية عرب الجليل ستنتقل باستمرار الى جانب الجيل المتمرد . وازاء هذه الورطة توصي الوثيقة ، بالتخلى عن القيادات الحالية ، (رؤساء بلديات ومخاتير .. الخ) لان هذه القيادات - كما تعترف الوثيقة - « لا تمثل السكان العرب » ، والمباشرة فى ايجاد قيادات جديدة « ذات مستوى ثقافي واستقامة شخصية ، وتتمتع بمواهب قيادية ، ومساعدتها على تاسيس حزب عربى ، شقيق لحزب العمل » ، وفى حالة من الشك بجدوى هذه الاساليب ، توصي الوثيقة بالعودة الى التدخل المباشر والتنكيل بالمتمردين ، وذلك « باتخاذ خطوات فردية ضد كل شخصية سلبية فى جميع المؤسسات وعلى جميع المستويات » .

الاقتصاد والعمل

وينتقل يسرائيل كنيغ الى وضع الاقلية العربية فى فلسطين المحتلة كايد عاملة فى الاقتصاد الاسرائيلى بكل فروعه ، وخاصة فروع البناء وورش اصلاح السيارات ، وكافة الاعمال اليدوية بشكل عام ، فيقول : ان تواجد العرب فى هذه الفروع ، قد اعطاهم شعوراً بالقوة ، وقد ادى هذا الشعور الذى تعزز بتراكم فائض اموال نقدية كبير جدا فى ايدى عرب الجليل « بسبب عدم وجود وعي حول توظيف المال فى مشاريع انتاجية اكبر من المشاريع متوسطة الحجم » ، بالاضافة الى واقع الاستقرار الذى تتمتع به الايدي العاملة العربية ، بسبب عدم سوقها



للخدمة العسكرية لمدة ثلاث سنوات ، كما هو الحال بالنسبة لليهود ، ادى هذا الشعور بالقوة ـ كما يقول كنيغ ـ الى توفر حالة الطمانينة الاجتماعية والاقتصادية لدى عرب الجليل ، وبالتالى تحرير الفرد والعائلة من القلق والهموم اليومية ، مما منحهم من حيث يدرون او لا يدرون ، متسعا من الوقت للتفكير فى امـــور « اجتماعية ـ قومية » .

ولمواجهة هذا الوضع ـ الذى لايخلو من المبالغة ـ يضع كنيغ عدة مقترحات من شانها سلب عـــرب الجليل « وضـــع الطمانينة » الذى يترك لهم مجالا للتفكير فى الأمور الوطنية والقومية ، ومن هذه المقترحات التى تنضح بالعنصرية ، وجوب وضع اتفاقات مناسبة مع كل ادارة مشروع او معمل خاضع ل « قانون استثمار راس المال » فى المناطق الحساسة (التى يزيد فيها عدد العمال العرب على العمـــال اليهود) ، بحيث لا يزيد عدد العمال العرب فيها على نسبة عشرين بالمائة ، ومنها ايضا وجوب اتخاذ سلطة الضرائب خطوات سريعة لتعميق الجباية ، ولتنفيذها بصورة صارمة ، وبدون اي استثناء ، ويقترح كذلك وجوب التوصل الى تسوية مع مصـــادر التسويق المركزية للمواد الاستهلاكية ، يكون من شانها وضع العقبات امام الوكلاء العرب ، لمنع اعتماد اليهود عليهم ، وخاصة فى حالات الطوارىء . كما يقترح على الحكومة ايجاد طريقة ، يمكن بواسطتها تجنب تقديم المنح للعائلات العربية متعددة الاولاد ، وقصر هذه المنح على العائلات اليهودية ، ثم يقترح كنيغ اخيراً ، العمل على ايجاد وضـــع تهتم فيـــه المؤسسات المركزية بتفضيل الكوادر اليهودية مكان العرب .

التعليم

تحذر الوثيقة ، من توسيع شبكة التعليم فى اوساط عرب ١٩٤٨ ، فتقول ان الدعم المالي وسياسة المنح لطلبة الجامعات قد أسفرا عن خلق مجتمع طالبي عربى مثقف « ولو بصورة سطحية وريفية ، مما يشكل « خميرة » لقيام حركة قومية بين العرب . وتضيف الوثيقة ان تسهيل قبول الطلبة العرب فى الجامعات والمعاهد العليا ، والمواضيع التى يدرسها هؤلاء الطلاب (الآداب والعلوم السياسية ، وعلم الاجتماع) بالاضافة الى عدم وجود اهتمام وامكانات لاستيعاب الخريجين للعمل ، كل ذلك ادى الى وجود مجموعة كبيرة من « المثقفين » العرب المتذمرين ، الذين وجدوا متنفسا لتذمرهم « فى معاداة مؤسسة الحكم الاسرائيلية والدولة » !! .

وتشير الوثيقة الى ان عدد الخريجين العرب من الجامعات والمعاهد العليا ، بلغ (فى عام ١٩٧٦) اكثر من ٥٧٠٠ خريج ، كما ان عدد الطلبة العرب فى الجامعات والمعاهد الاسرائيلية وصل فى نفس السنة الى حوالى ٢٥٠٠ طالبا ، وبالطبع فالوثيقة تهول من خطورة هذه الاعداد من الخريجين والطلبة العرب . وتستحث السلطات الصهيونية على تقليص الفرص امام الطلاب العرب فى الجامعات والمعاهد ، لتقليص عدد الخريجين والدارسين الى ادنى مستوى ممكن ، لان المثقفين ـ كما تقول الوثيقة عينها ـ هم « خميرة » اى انتفاضة وطنية فى المستقبل .

ويقدم كنيغ اقتراحات عنصرية خطيرة فى هذا المجال ، ضمن سياسة تجهيل عنصرية شديدة الوضوح لعرب ١٩٤٨ ، واهمها ، تشجيع الطلبة العرب على التوجه لدراسة المواضيع الفنية وعلوم الطبيعة وما شاكل ذلك ، حيث ان هذه المواضيع « لا تعطي سوى القليل من الوقت للاشتغال بالعمل الوطنى والقومى ، اضافة الى ان مستوى الرسوب فيها مرتفع » ، ثم يقترح تسهيل سفر الطلبة الفلسطينيين الذين يودون متابعة دراساتهم العليا ، الى خارج اسرائيل ، وبعد ذلك وضع العراقيل امام عودتهم ، وانخراطهم فى العمل ، ومثل هذه السياسة من شانها تشجيع هجرة هؤلاء الطلاب ، وبذلك تتخلص اسرائيل منهم . ومن المقترحات ايضا ، اتخاذ تدابير صارمة وعلى كل المستويات ، ضد من تسميهم الوثيقة « بالمحرضين » فى أوساط الطلبة العرب فى المعاهد العليا .

وتتحدث الوثيقة اخيراً عن مسالتين هما : تطبيق القانون ، ويوم الارض ، فبالنسبة للمسالة الاولى ، يعترف يسرائيل كنيغ بضعف المسؤولين الاسرائيليين عن تطبيق القانون ، امام اغراءات العرب ، فيقول « فهؤلاء السكان العرب اصبحوا يعون استنادا الى وقائع ، انه من الممكن خرق القانون بواسطة علاقات مناسبة مع اشخاص مناسبين » . ويحذر ازاء هذا الواقع القائم من الضرر الذى يلحق باسرائيل ، حيث « تظهر علامات ضعف فى الحكم الاسرائيلى فى اعين عرب اسرائيل ، مما يجعلهم يتوقعون المزيد من التنازلات ، فيما اذا مارسوا المزيد من الضغط » .

ويقترح كنيغ بين امور اخرى ، تقديم دعاوى وتنفيذ عدد من الاحكام خاصة فى مواضيع ضريبة الدخل والبناء « غير القانونى » ، لكى « يرتدع » العرب عن التفكير فى امكانية « التهرب » من السلطات القانونية ، اضافة الى تعزيز تواجد قوات الشرطة والامن على انواعها فى الشارع العربى من اجل « ردع اوساط متطرفة ومحايدة قد تنجر الى اعمال التمرد والتظاهر » .

اما بالنسبة للمسالة الثانية ـ يوم الارض ـ فتعترف وثيقة كنيغ بانه لاول مرة منذ قيام الكيان الصهيوني ، يحدث تضامن لعرب ١٩٤٨ « عن وعي وبصـــورة علنية ضد الحكومة ، ومع مطلب سياسي ـ قومي عربى متطرف ، واستعداد نفسي للعمل من اجل تحقيق هذا المطلب ، بالاضافة الى ان معظم السكان العرب ايدوا ويؤيدون الآن ايضا ، اولئك الذين قاموا « باعمال الشغب » ، وهاجموا قوات الامن ، وهم يتضامنون معهم علنـــا ، ويصرحون بذلك على الملا » .

كما تعترف الوثيقة بان الصدام الكبير الذى وقع فى يوم الارض الفلسطيني وما رافقه من اعمال عنف علنية ، فانه قد ملأ نفوس العرب عزة وكبرياء ، على الرغم من نتائجه المريرة . وفى باب التوقعات تشير الوثيقة الى ان مثل هذه النشاطات لعرب الجليل ، ستؤدى الى « التطرف » وتدهور الوضع ، وتقول بان لدى الأوساط العربية نظرية سائدة تقول بان الوضع الحالى

سيناء بالنسبة للعرب ، وفقط فى حالة عدم الاستقرار الشامل فى اسرائيل ، فان هناك امكانية للتغيير ، وعلى المدى الطويل ، وربما على المدى المنظور ، قد يحدث تفكك اسرائيل من الداخل ، فتتحول تدريجيا الى دولة فلسطينية . ويقترح كنيغ لمعالجـة الآثار والتفاعلات الناجمة عن احداث يوم الأرض ، تشكيل لجنة فكرية ، واخرى تنسيقية ، لوضع الخطط المناسبة لمواجهة ذلك .

العنصرية الصهيونية

لقد جاءت وثيقة يسرائيل كنيغ ، لتفضح العنصرية الصهيونية دون مواربة ، ولكي تضع النقاط على الحروف بالنسـبة للممارسات الصهيونية القمعية ضد العرب. ولعل اهمية الوثيقة تبرز فى كونها وثيقة سياسية تطبيقية ، وليست وثيقة فلسفية أو فكرية ، اى انها تعبر فعلا عن سياسة حكومة العدو الرسمية . خصوصا وان يسرائيل كنيغ « متصرف لواء الشمال » ليس ظاهرة فردية او شاذة فى السياسة الاسرائيلية فى تعامل هذه السياسة مع عرب ١٩٤٨ ، فقد كان هذا الصهيونى ، وطوال السبعة عشر عاما الماضية ، منفذاً « امينا » ، للسياسة الاسرائيلية الرسمية نحو العرب ، وقد ساعد على تعميق التخلف فى المجتمع العربى فى منطقة الجليل .

وهذه الوثيقة ، التى ما هى سوى إفراز طبيعى على تربة السياسة الاسرائيلية الرسمية ، واستمرار طبيعى لتلك السياسة قد عبرت بشكل واضح عن ثلاث مسائل رئيسية هى : الروح العنصرية الاسرائيلية وكونها برنامج عمل متكامل فى منهجيته وخطواته العملية والتطبيقية ، واخيراً الخلفيات والابعاد السياسية للوثيقة ، والمتمثلة كما تبينا آنفا ، اهمية منطقة الجليل بالنسبة للكيان الصهيونى ، والخوف من « قنبلة » التكاثر الطبيعى لعرب الجليل ، وامكانية مطالبة عرب الجليل مستقبلا بحق تقرير المصير ، خاصة وان منطقة الجليل ليست داخلة فى حدود الكيان الصهيونى ، كما رسمه قرار تقسيم فلسطين الصادر عن الامم المتحدة فى عام ١٩٤٧ ، ثم اهتزاز فرضية صهيونية حول امكانية احتواء عرب ١٩٤٨ ، وتعاظم الشعور القومى لدى هؤلاء العرب ، واستحالة دمج العرب بالكيان الصهيونى .

بيد انه ، على الرغم من ان الخطوات العنصرية التى تدعو الوثيقة الى تطبيقها – علماً بانها مطبقة عمليا فى اكثرها – فانها – اى الوثيقة – تعترف بان الكيان الصهيونى بات يواجه مازقا قاتلا ، بسبب تنامى المشاعر الوطنية والقومية لدى عرب ١٩٤٨ ، وتزايد عدد المثقفين بينهم ، واعتبار هؤلاء العرب ، منظمة التحرير الفلسطينية ، ممثلة لهم ، وتشكل حركة تحرر وطني لعرب فلسطين ، كما تعترف بذلك الوثيقة نفسها .

واخيرا .. فلابد من الاشارة ، الى ان وثيقة يسرائيل كنيغ ، تفتح الأذهان ، على كثير من اساليب الشر العنصرية ، التى يتميز بها العقل اليهودى بشكل عام ، لكنها تفتح الأذهان ايضا ، على مدى المخاوف التى تساور الصهاينة من جراء ، صحوة عرب ١٩٤٨ .

عصام شريح

● من هو ●

ينتمى يسرائيل كنيغ الى اصل بولوني ، وهو من مواليد عام ١٩٢٥ ، وقد هاجرت عائلته من بولونيا الى فلسطين منذ كان طفلا ، وفى شبابه انضم الى عصابة « ليحي » الارهابية ، التى كان يتزعمها فى مطلع الاربعينات مناحم بيغن . وبعد قيام الكيان الصهيونى ، تخرج من كلية الحقوق بالجامعة العبرية بالقدس ، و « جامعة الأمن الوطنى العسكرية » . وفى مطلع الستينات ، وبتأثير صداقته لابن موشى شابيرا – زعيم حزب « المفدال » السابق حصل على منصب متواضع بوزارة الداخلية ، وما لبث ان انتقل من منصب ضابط ميزانية ، الى نائب حاكم لواء الشمال فى عام ١٩٦٦ ، ثم الى منصب حاكم لواء الشمال فى كانـــون الاول (ديسمبر) من نفس العام .

ومنذ ذلك الوقت ويسرائيل كنيغ ، يحكم منطقة الجليل بشمال فلسطين المحتلة ، بشكل مطلق تقريبا ، وقد اشرف بنفسه على تنسيق جميع القرارات المتعلقة بمصادرة الاراضي العربية ، وفرض الرسوم على عرب الجليل ، وما رافق ذلك من عمليات هدم المنازل والقرى العربية ، بحجة مخالفة القوانين الاسرائيلية ، ولتعزيز قبضته على عرب الجليل ، اقام علاقات وثيقة مع رؤساء البلديات والمستوطنات من الصهاينة ، الذين كانوا يقفون الى جانبه كلما تعرض منصبه للاهتزاز ، او تعرضت سلطته الواسعة لمحاولات التقليص . وعندما هب عرب الجليل فى الثلاثين من اذار (مارس) من عام ١٩٧٦ ، فى انتفاضة عارمة ، ضد مصادرة اراضيهم ، قام المستوطنون الصهاينة فى المنطقة ، بتسجيل اسم يسرائيل كنيغ فى الكتاب الذهبي لهيئة « الكيرين كاييمت » – وهى الدائرة التى تشرف على الأراضي العربية المصادرة بزعم انها اراضي « دولة اسرائيل » .

ومنذ مطلع عام ١٩٨٢ ، امتدت سلطة يسرائيل كنيغ كحاكم للواء الشمال ، لتشمل هضبة الجولان السورية المحتلة حيث حاول فرض الهوية الاسرائيلية على عرب الهضبة من الدروز ، الذين رفضوا ذلك باصرار ، مما انعكس على علاقات كنيغ بالعرب الدروز فى شمال فلسطين المحتلة .

وبسبب المنافسة الحزبية ، فان عددا من اعضاء الاحزاب الاسرائيلية ، وجهوا انتقادات مريرة الى كنيغ ، متهمين إياه باستغلال منصبه ، من اجل الحصول على مزيد من الاصوات ، لصالح حزب « المفدال – الحزب الوطني الديني » الذي ينتمي اليه ، وذلك عبر المساعدات المالية المقدمة للمجالس البلدية ، باعتبار كنيغ هو المشرف على ميزانيات هذه المجالس .

بيد ان شهرة يسرائيل كنيغ بين الصهاينة ، انما تعود فى المقام الاول لوثيقة كتبها كنيغ ، ورسم فيها خطوط وتفاصيل سياسة عنصرية حاقدة ضد عرب فلسطين ، ترمى فى نهاية المطاف الى تهويد منطقة الجليل ، وتفريغها من الاكثرية العربية ، عن طريق مصادرة الأراضي ، وسلوك سياسة عنيفة وارهابية ، تدفع بعرب الجليل الى الهجرة من ارضهم . وقد وصف البروفسور يشعياهو ليفوفتش ، وثيقة كنيغ بقوله « ان كاتبهـا يهودى وطني » بامكان اليهود الاعتماد عليه . واخيرا فان من الملفت للنظر ان يسرائيـــل كنيغ متفق عليـــه بين الاحزاب الاسرائيلية ، سواء ايام حكم حزب العمل وشركائه « المعراخ » ، او فى الفترة الحالية ، خلال حكم حزب حيروت وشركائه « الليكود » ، وذلك لان كنيغ يمثل سياسة صهيونية عنصرية راسخة بغض النظر عن انتمائه الحزبي .

آه لو كان الكتاب العرب قد افادوا هذه الفائدة الكبيرة من البطل الذى أنشأوه، ولم يتركوا لغيرهم أن يدلهم على أفضل السبل لاستغلال كنوزهم الأدبية !

مُحْتال المَقامَة يجد لنفسه رواية

بقلم: الدكتور علي الراعي

ما لم يفعله كتاب المقامة : البديع والحريرى ومن جاء بعدهم ، فعله كاتب انجليزى من كتاب القرن التاسع عشر اسمه : جيمز موريه (١٧٨٠ ـ ١٨٤٩) .

نظر هذا الكاتب حوله ـ فى تركيا وايران ـ الأخيرة خاصة ـ نظرة فاحصة شملت الناس والأشياء ، وملأها العطف ولم ينقصها حدة الذكاء ، فخرج من نظرته هذه بمحتال شديد الذكاء ، واسع الحيلة ، كثير التنقل ، كثير الكذب ، راغب فى ان يرقى بنفسه من أصل وضيع الى مستوى عال ، حاقد على الاغنياء ، منكر لفقره ، غير مستسلم لقدره سماه المؤلف حاجى بابا ، واطلق على الكتاب الذى حوى فعاله وصنوف احتيالاته اسم : مغامرات « حاجى بابا الأصبهانى » فكان حاجى بابا الاصبهانى هو عيسى بن هشام او السروجى ، بعثا من جديد ، بعد اكثر من تسعة قرون ، وعادا ليذرعا أرض الله من فارس الى العراق ومن العراق الى تركيا ، إلى مصر والجزيرة العربية ، طامعين فى مال المغفلين ، ساعيين الى الاحتيال على الاغبياء والأذكياء معا ، محرزين النصر والهزيمة آنا بعد آن .

ها هو ذا المحتال المقامى يعود إلى ارض المنشا ، وقد وهبه المؤلف الانجليزى قصة متصلة الأحداث ، تاخذ شكل الرواية ، واوسع له فى الأرض ونوّع له فى الناس ، وباين فى نوع المغامرات ، حتى استوى امامنا بطلا متكاملا من ابطال ادب الاحتيال ، يجذبنا اليه بمزاجه الشرقى الذى لاشك فيه ، وان جاءت ولادته على يد انجليزى من اقصى الغرب .

ويبدا حاجى بابا حياته العملية حلاقا فى دكان والده ويظهر براعة فى استخدام الموسى ويتعلم القراءة والكتابة ويبدى حلاوة فى الحديث ، ويتقن فن تدليك المستحمين فى الحمام العام ، ويحفظ نتفا من اشعار سعدى وحافظ ، مما يجعله مسامرا عذب الصحبة ، سواء فى دكان ابيه ام فى الحمام . وسرعان ما يصبح حاجى ، وهو بعد فى السادسة عشرة من عمره رغيبة الناس كلهم .

ومن هنا تتفتح امامه ابواب الحياة الواسعة العريضة ، بكل ما تحمل من مغامرات ، ومازق ، ومخاطر ، ومغريات على



السرقة والاحتيال ، والسعى المحموم وراء المال ، والصعود والهبوط فى ارجوحة الدنيا التى لا يقر لها قرار .

يصر احد التجار ، واسمه عثمان اغا ، على ان يصحبه حاجى بابا فى رحلاته التجارية الواسعة ، ويلح فى هذا حتى يضطر الاب الى الموافقة على مضض ، وتقبل الام والأسف يلفها لفا . ومن ثم يخرج حاجى بابا فى اولى رحلاته ، مع قافلة للتاجر عثمان اغا ، تسعى وراء شراء جلود الخراف من اسطنبول ، وسرعـــان ما يقعون جميعا اسرى قطاع الطرق من التركمان ، الذين يصادرون القافلة وكل ما فيها ويأخذون رجالها اسرى ، ومن بينهم التاجر عثمان اغا ، وحاجى بابا .

وكالعادة ، سرعان ما يتألق حاجى بابا بمواهبه المتعددة ، حتى ليصبح اثيرا لدى رئيس العصابة ، الذى يأخذه معه فى احدى غاراته ، ويقسره على ان يشترك معه فى الهجوم على اصفهان بلده ومسقط راسه وبالفعل ، يقف حاجى بابا امام ابواب الخان الذى يأوى اليه تجار القوافل ، ويطلب الى الحارس ان يفتح له الباب بعـد ان يكشف له عن هويته .

مُحتال المَقامَة يجد لنفسه رواية

ويفتح الحارس الأبواب مرحبا بصديقه القديم ، فيندفع اللصوص التركمان داخلين ناهبين كل ما تقع عليه ايديهم . ويصبح حاجى بابا من ذلك اليوم محتالا ، ولصا ، بمشيئته الكاملة ، وان بدا تاريخه الاحتيالى عن غير رغبة قوية فيه .

ويهرب حاجى بابا من بعد من التركمان ، فتاخذه جماعة من الايرانيين ، على رأسهم واحد من ابناء الشاه ، ويسلبونه حصانه وخمسين قطعة من النقود ، كان بدوره قد سرقها قبل ان يهرب ، من التاجر الأسير عثمان اغا ، وحين يشكو حاجى بابا للوالي يامر هذا اتباعه باعادة المبلغ ، ولكن ليس لحاجى بابا وانما لجيبه الخاص !

ويعمل حاجى بابا من بعد سقاء ، ثم يتاجر فى الطباق المغشوش ، حتى ينكشف امره ويضرب ضربا مبرحا ، ثم يمضى فى طريقه من بلد الى بلد حتى يصل فى نهاية الامر الى طهران .

الفرصة الذهبية

وفى طهران تتفتح امامه ابواب كثيرة للمغامرة يلتحق بخدمة طبيب الشاه ، ويمارس الدجل الطبى معه . ويحتال على طبيب فرنسى لياخذ منه بعضا من الدواء « الافرنجى » الذى كاد يتسبب فى ان يفقد طبيب الشاه مكانته عند سيده ، لانه لم يكن يملك ذلك الدواء . وتتوالى مغامراته ، حتى يصل الى ذروة الاحتيال القائم على الشجاعة وبرود الاعصاب فى حادثة الحمام :

فى هذه المغامرة ، يدخل حاجى بابا الحمام ليتامل فيما جرى له ، ويندب حظه الأسود ، يدخله فى غبشة المساء ، فلا يراه احد من القلة من المستحمين الذين كانوا فيه . ولا يكاد يمضى طويل وقت حتى يدخل « ملاباشى » ، ومعه حاشيته ، ليستمتع بحمام ساخن . وتتركه الحاشية فينزل إلى حوض الماء الحار ، ولا تكاد تمضى دقائق حتى يسمع حاجى بابا اصواتا غريبة تصدر من الحوض بينها صوت غرغرة فيذهب حاجى ليستطلع الخبر واذا به يجد الملاباشي يلفظ اخر انفاسه ، مختنقا بالماء .

ويسقط فى يد حاجى بابا . فلا مفر الآن - ان راه احد - ان يتهم بانه قتل الملاباشى ويقف عاجزا على السلمة التى تؤدى الى خزان الماء ، واذا بخادم الملا الخاص يرى حاجى بابا فيظنه سيده وقد خرج لتوه من الحوض فياخذ يجفف جسمه ويدلكه ويلبسه ملابس الحمام ، وهنا يقرر حاجى بابا ان يدع سوء الفهم هذا يمضى فى سبيله وان يتلبس شخصية الملاباشى ، مادام هذا هو الطريق الوحيد للخروج من مازقه .

ويركب حاجى حصان الملا ، ويذهب الى داره ، دون ان يشك فيه احد ، ويدخل البيت ويمضى الى خلوة صغيرة ، يهرب فيها من العيون المتسائلة ، ولا يثير سلوكه هذا فضول احد ، فان الملاباشى كان قد تعارك مع زوجته حديثا ، وتخاصما ، فاصبح من الطبيعى ان يتجنبها « الملا » ويخلو إلى نفسه .

وفى الخلوة يفحص حاجى أوراق الملا ، ويجد بينها رسالة من كبير الجلادين ، يسال الملا إذنه المطلق فى قضاء امر خاص .. ويرفق كبير الجلادين رسالته بهدية من الشمام الاصبهانى الثمين

ويجد حاجى رسالة اخرى من وكيل اعمال الملا فى الريف تنبؤه بانه بعد كثير من العناء قد استطاع ان يبتز من الفلاحين مائة « طومان » ، وهى الآن جاهزة للتسليم اذا ما تفضل الملا بارسال من يحملها اليه .

وعلى الفور يقرر حاجى بابا ان يحتال على اوسع نطاق . يصدر من فوره الاذن لكبير الجلادين بفعل ما يريد ويضمنه رسالة يطلب فيها من الجلاد الاكبر ان يقرضه حصانا فاخر التجهيز . ويكتب لوكيل الاعمال قائلا انه سيرسل مندوبا عنه اسمه حاجى بابا بك ، لتسلم المال ، ويطلب الى الوكيل ان يمضى فى ضرب الفلاحين وابتزازهم .

وفى باكورة الصباح ينفلت حاجى بابا من بيت الملا ، قاصدا بيت كبير الجلادين ، فيتسلم الحصان ويهرب به من فوره ، ثم يجد طريقه الى ضيعة الملا ، ويتسلم المال ، ويضيفه الى الغنائم التى غنمها من الملا نفسه : خمسة طومانات ذهبية وساعة انجليزية من الذهب ايضا وقطعتان من الفضة ومحبرة فاخرة واختام الملا ، وهذه يستخدمها فى ختم رسالتيه المزيفتين .

وهكذا يصبح حاجى بابا - بين يوم وليلة - غنيا ، مرموق المظهر ، مما يسلط عليه القدر الذى يتعقب المحتالين دائما ، فيوقعهم فى حباله ، طال الوقت ام قصر .

غير ان هذه قصة اخرى . اما الآن فاننا نزمع ان نفحص هذه المغامرة الكبرى ، لنستنبط منها بعض سمات المحتال التى يمثلها حاجى بابا .

ملامح شخصية المحتال

انه - ككل محتال قادر - جرىء قوى الفؤاد ، يتمتع بذكاء وسرعة خاطر يخدمانه فى احرج المواقف . وهو ايضا ذو قدرات تمثيلية واضحة ، تقوم على دراسة الواقع المحيط ، ثم تمثيله بطريقة تدخل فى روع الناس من ايسر سبيل .

هو مثلا لم ينجح فى اداء دور الملاباشى اعتباطا ، وانما استخدم سابق ملاحظاته لشخصية الملا - وكان على علم وثيق بها - كيف يتكلم - كيف يمشي - كيف يدخن نرجيلته - وساعده حظه فى انه كان فى وزن الملا بالتقريب ، فلم يجد عنتا فى ان ينتفخ الى المظهر المعتاد الذى كان الملا يبدو به دوما . كما ساعده الحظ ايضا فى ان الملا كان قليل الكلام ، ومن ثم لم يفضحه الصوت حين خاطب خدمه وجواريه فى الحمام والدار .

وهو - بالطبع - يكون فاقد الضمير تماما فى مواضع كثيرة . لا يتردد فى سرقة

حتى من احسنوا اليه ـ مثل التاجر عثمان اغا ـ بل ويغش هذا التاجر ذاته بان يزوجه من امراة عجوز قبيحة ، كان قد زوقها له ، ورسم لها صورة خيالية ، لم ياخذه فى هذا اسف او ندم ، لا من قبل ولا من بعد .

وهو طموح ، لا حد لرغبته فى الصعود تاخذه رحلاته التجارية الى اسطنبول فيدعى فى الاماكن العامة انه تاجر ثرى من تجار بغداد . وتلمحه ارملة شابة غنية فتفتن به ، وتخطبه الى نفسها وترسل اليه خادمتها العجوز بهذا الغرض . فحين تساله الخادم عن حسبه ونسبه يخترع على الفور نسـبا مشرفا ينتهى بـه إلى اصـول كريمه ، امـا عن ثرائه فرغم انه لا يملك مالا حاضرا الآن . فان قوافله تجوب ارض الله فى كل مكان ، تحمل الحرير الفارسي الى خراسان ، وتجلب له جلود الخراف من بخارى . ووكلاؤه ـ محملين بالذهب ـ هم الآن فى « مشهد » يشترون لحسابه الشـيلان الكشميرية ، ودرر الهند الغالية . وفى استراخان يبادل بالقطنيات الاقمشة والزجاج المشغول . والبضائع الهندية التى يشتريها من البصرة ويرسلها الى حلب تعود اليه فى شكل اغطية راس وخيوط الغزل وباختصار فلو تيسر للمرء ان يعد سنابل القمح فى غيط ما ، امكن له ان يحصى ثروة حاجى بابا .

ويتم زواج حاجى بابا من الأرملة الجميلة . وتجلب هى اليه كل ثروتها ، ويساله وكيلها عما سوف يعطيها هو . وبعد تردد قصير يقول حاجى بابا انه سيهبها عشرين كيسا من المال وعشرة اكياس من الملابس .

وتمضى ايام العروسين رخاء ، ويمخر مركب زواجهما مياها رضية . ولكن حمق حاجى بابا سرعان ما يقلب الامور على راسه : يلذ له ان يلبس فاخر الثياب ويروح يخايل بمظهره المستفز هذا افراد القوافل من فقراء الايرانيين الذين كان فى عدادهم الى وقت قريب . ويثور غضب هؤلاء فسرعان ما يتعرفون عليه ويفضحون سره .

ويكون مصير حاجى بابا الطرد من الجنة ، ويعود من جديد يذرع طرقات الشقاء .

اجواء المقامة والف ليلة

من بطل المقامة التقليدى وجدنا هنـــا ، كما نجد فى باقى مغامرات حاجى بابـا كثيرا من السمات المشتركة : التمثيل وتلبس الادوار . الاحتيال وسرقة مال الغير . التقلب فى المهن المختلفة سعيا وراء الرزق او اتقانا للاحتيال . فمثلا يعمل حاجي بابا مساعدا لطبيب ، وطبيبا مزيفا ، وسقاء وبائعا للدخان المغشوش ، ويتظاهر بانه درويش وانه تاجر غني ، ويعمل مساعدا لكبير الجلادين ، وكاتبا للاحجبة ووسيط زواج وقاصا شعبيا .. الخ .

كما ان حظه دائم التفاوت بين صعود وهبوط . فقد ارتفع حتى اصبح زوجا لارملة واسعة الثراء وهبط حين عاد طريدا شاردا فى الارض ، ثم التحق من بعد بخدمة سفير واصبح عينه واذنه وعونه الكبير ، ودخل الخدمة الديبلوماسية لبلده واستخدمه وزير فى مهمة خاصة كلفه بها : ان يذهب الى اصفهان ، مزودا بسلطان الشاه ليجمع من الأهالى الهدايا التى سوف يقدمها الشاه للبلاط البريطانى . ومن ثم يدخل حاجى اصفهان مسقط راسه بوصفه نائبا للشاه ، ويصبح حاجى بابا ، ابن الحلاق : ميرزا ، حاجى بابا : نائب الشاه . ولكنه يرتفع فى المظهر فقط ، اما فى المخبر ، فانه مرسل كى يبتز اموال الفقراء من بنى طبقته لحساب ظالميهم وجلاديهم . لا ضمير يؤرقه فى هذا ، ولا اعتبار يحدوه غير صالحه الخاص ورغبته المتحرقة فى الصعود .

ها نحن اولاء نجد شخصية المحتال المقامى تكسر قيود الدور المحدود ، والحادثة الواحدة وتتقلب فى بلاد الله الواسعة ، فى اطار رواية باكملها ، فتكون النتيجة ان يستوى المحتال امامنا شخصية حية تضج بالحياة وتتعامل مع ارضنا الاسلامية واهلنا المسلمين فنجد فى انفسنا ميلا شديدا نحوها ونتابع بشغف ما يجرى لها وما يجرى منها ، فننسى او نكاد ان هذه شخصية خلقها كاتب انجليزى وابدعها من واقع حي يعرفه حق المعرفة .

هنا نلقى اجواء المقامة والف ليلة جنبا الى جنب . وكما حطم حاجي بابا حدود المقامة وقصتها الواحدة ، فك كذلك ضفيرة الف ليلة الطويلة ، التى تسلك الحكاية وراء الحكاية فى عقد طويل لا ينتهى الا مع الليلة الاولى بعد الالف . فك هذه الضفيرة ونشر حكاياتها بالطول والعرض ، بعد ان كانت تجرى طولا فقط . فخلصت لنا سبيكة من ذهب فن القصص تحوى فتنة الف ليلة وحوادثها الغريبة الأخاذة دون الاملال والتشتت الذى ينتجه ـ لا محالة ـ تضفير الحكاية فى الحكاية .

ان احداثا فاتنة مثل وقوع حاجي بابا فى غرام الجارية الكردية زينب ولقاءاتهما المحفوفة بخطر القتل ، واختيار الشاه لزينب من دون جوارى سيدها ، الطبيب الخـــاص للعاهل ، ليضمها الى حريمه وما يلى ذلك من تحطيم لقلب حاجى بابـــا وتشريد له ، وقتل لزينب من بعد ، لرفضها الظهور والرقص فى حضرة الشاه ـ وكان هذا قد وقع فى اسر جمالها الفائق ـ كل هذا بعض من بضاعة الف ليلة .

ومن الف ليلة ايضا قصة غرام الارمنيين المسيحيين : يوسف ومريم ، وما وما فيها من اختطاف لمريم فى يـوم زفافها ليوسف ، وما يلي ذلك من احداث وحروب وانقاذ لمريم من براثن خاطفيها الايرانيين .

غير ان المحتال حاجي بابا يظل البطل مع ذلك ، يتحرك امام خلفية الاحداث المثيرة واوصاف العادات الفولكلورية التي يحرص المؤلف على ان ينقلها لقرائه حرصا مشكورا .

ونقرا هذا كله ، وننفعل به ونقول : آه لو كان الكتاب العرب قد افادوا هذه الفائدة الكبيرة من البطل الذي انشاوه ، ولم يتركوا لغيرهم ان يدلهم على افضل السبل لاستغلال كنوزهم الادبية ... !

علي الراعى

تحــــــذير إلى العـــــرب .. فهــــل من مســــتجيب ؟!

هذه هي ثورة الإنسان الآلي

بقلم : الدكتور علي الدين هلال

تحولت كثير من احلام الانسان عبر التاريخ الى حقائق معاشة اليوم بفعل الثورة العلمية والتكنولوجية المعاصرة ، ومن هذه الاحلام التى ظهرت فى كثير من كتابات الخيال العلمى صورة الانسان الآلى Robot ، الذى يتحدث او يسير على قدمين والذى يحل محل الانسان فى القيام بالاعمال الشاقة والمضنية . وتحول الحلم الى حقيقة منذ نهاية الستينات وفتح ذلك الباب امام مرحلة جديدة من التقدم اسماها البعض بثورة الانســـــان الآلى او ـــ Robotics ـــ ، وفى بعض التقديرات فانه فى خلال ٣٠ سنة لن تحتـــاج الدول المتقدمة الى اكثر من ١٠٪ من قوتها العاملة حاليا لانتاج ما تحتاج اليه من حاجاتها الاساسية بما فى ذلك الطعام والملبس والمسكن والأدوات الكهربية المنزلية والسيارات .

ويعود تعبير « روبوت » الى كلمة فى اللغة التشيكية Roborta ومعناها العمل الاجبارى او السخرة وشاعت نتيجة اســـتخدام كاريل تشابيك لها فى قصـــة صدرت عام ١٩٢١ . اما التعريف الدقيق للروبوت فهو انه آلة لتوفير الجهد الانسانى وزيادة الاتوماتية او التحكم الذاتى ـــ Automation ـــ ، او انه آلة تقوم بالوظائف الميكانيكية التى يمارسها الانسان . ويقوم الروبوت بهذه الوظائف وذلك من خلال امتلاكه لعقـــل (جهاز كومبيوتر اى حاسب الى دقيق) واذرع ميكانيكية لها اصابع ، وتصدر الاوامر من العقل الى الاذرع فى شكل ومضات كهربية ، ويمكن اعادة برمجة العقل للقيام بوظائف مختلفة ومتنوعة .

ويعود التطور الاساسى فى صناعة الروبوت فى العشر سنوات الاخيرة الى ثلاثة عوامل .. اولها التقدم الهائل الذى حدث فى منتصف الستينات فى صناعة الحاسبات الآلية الدقيقة ، والذى ترتب عليه انخفاض سعر وحجم الحاسب الآلى وامكانية استخدامه لاداء وظيفة «العقل» فى الروبوت ، وثانيها ظروف التضخم الاقتصادى فى الدول الغربية وازدياد المطالبة العمالية لرفع الاجور وارتفاع تكلفة الانتاج ، وثالثها - ويتركز فى اليابان اساسا - هو نقص الايدى العاملة فى بعض الاعمال اليدوية الشاقة ، وهو ما يفسر التوسع اليابانى الكبير فى صناعة الروبوت .

الروبوت فى الصناعة

ولأول وهلة اتضحت الآفاق التى يفتحها الروبوت للصناعة والتى تتمثل فى زيادة حجم الانتاج ، ودقة الاداء ، وضمان الجودة والمعايير ، وامكانية تنويع المهام التى يقوم بها خط الانتاج الواحد وذلك لقدرة الروبوت على القيـــــام باكثر من وظيفة .

لقد وجدت الشركات الصناعية الكبرى فى الروبوت ضالتها ، فهو يستطيع العمل فى الظروف الشاقة وغير الصحيــة . وفى ظل درجات الحرارة او الرطوبة العالية ، وفى احوال الضوضاء الشديدة التى لا لا يتحملها الانسان لمدة طويلة . وهو يعمل لمدة ٢٤ ساعة يوميا دون ان يتعب او يكل او يأخذ استراحة للغذاء ، وهو لا يمرض ، ولا يعتذر عن العمل لتعب زوجته او لمشاكل دراسية لابنه فى المدرسة ، وهو لا يشعر بالضجر او القلق ، ولا يهدد بالاضراب ، ولا يطالب برفع اجره من عـام الى آخر ، ولا يحتاج الى ضمان اجتماعى او تامين صحى .

ولهذه الأسباب كانت نقابات العمال فى الولايات المتحدة من معوقات التوســع فى استخدام الروبوت نتيجة ما سوف يترتب على إدخاله من بطالة لاعضائها . وكان هذا ايضا احد الأسباب التى مكنت اليابان من التوسع فى استخدامه دون خشية .. فنظام العمل اليابانى يقوم على ان العامل يلتحق بخدمة احدى الشركات لمدى الحياة ، وهو الأمر الذى لم يوجد نفس المخاوف والمشاكل التى وجدت لدى العمال الامريكيين ، وجعل الشركات اليابانية مسئولة عن اعادة تدريب العمال وتسكينهم فى وظـــائف جديدة .

الروبوت بين امريكا واليابان

ـ من الناحية التاريخية ، سبقت الولايات المتحدة فى اكتشاف المعرفة الفنية اللازمة لتصنيع الروبوت ، وانشئت اول شركة لصناعته باســـــم ـــ Unimation ـــ (وهى مازالت من اكبر الشركات فى هذه الصناعة) فى عام ١٩٥٩ ، وقامت بتصنيع اول روبوت فى عام ١٩٦٦ . ولكن التقدم

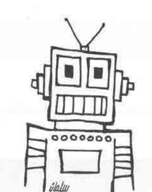
السريع فى هذه الصناعة يعود اساسا الى اليابانيين الذين استوردوا النسخة الاولية التى صنعتها الولايات المتحدة وتم عرضها فى اليابان فى عام ١٩٦٧ . وفى نهاية عام ١٩٦٨ تم توقيع اتفاق لنقل الخبرة المتعلقة بها من امريكا ، وتم تصنيع اول روبوت فى اليابان فى عام ١٩٧٠ . وفى العشر سنوات التالية حققت اليابان قفزات نوعية فى هذا المضمار تدفع كل انسان الى احترام الجهد البشرى الخلاق لهذا الشعب الدؤوب المنتج .

لقد ادرك مخططو التكنولوجية اليابانية مبكرا الآفاق التى يفتحها هذا التطور ، واعتبروه احد اولويات الصناعة ومراكز البحث والتطوير ، فتم انشاء حوالى ٨٠ مركزا ومختبرا علميا بواسطة الحكومة والقطاع الخاص لتطوير تكنولوجيا الروبوت ، واقيمت الشركات التى تقوم بتصنيعه ووصل عددها فى عام ١٩٨٠ الى ١٣٥ شركة .

واذا كان هناك اتفاق حول تقدم اليابان فى هذا المجال فان الاختلاف يقوم حول حجم هذا التقدم وصداه بالمقارنة بالولايات المتحدة . ففى دراسة نشرت باللغـــة اليابانية فى مجلة « الاقتصادى » فى ابريل ١٩٨١ ثم ترجمت الى اللغة الانجليزية ، ورد إحصاء نشرته الجمعية اليابانية لصناعة الانسان الآلى مؤداه انه فى نهاية عام ١٩٧٩ كان اجمالى عدد الروبوت فى اليابان ٥٦٫٨٠٠ ، واقتبست نفس الدراسة احصاءات امريكية ورد فيها انه فى نهاية مارس ١٩٧٩ كان يوجد فى اليـــابان ٤٧٫٠٠٠ جهاز بالمقارنة بعدد ٥٨٥٠ فى المانيا الغربية و ٣٢٥٥ فى الولايات المتحدة و ١٨٥ فى انجلترا . وعلق المؤلف اليابانى على هذه الارقام بقوله : « ان اليابان تقف براسها واكتافها فوق العالم كله » . وتنشر المجلات الامريكية ارقاما اخرى ! ففى عدد مجلة التايم بتاريخ ٨ ديسمبر ١٩٨٠ ، ذكر ان اليابان تمتلك ١٠٫٠٠٠ روبوت ، بالمقارنة بالولايات المتحـدة ٣٠٠٠ والمانيـــــا الغربيـــة ٨٥٠ واقرت المقالة بان اليابان تتفوق على الولايات المتحدة فى الانتاج بنسبة (٥ الى ١) ..

الروبوت والمستقبل

إن هذه الآلات ذات الشكل الغريب هى احد المكونات الرئيسية للثورة الصناعية الجديدة التى نشهدها اليوم وهى تقوم الآن بالفعـــل بدهـــان السيـــارات ، وتجميع الثلاجات ، وعمل الخروم فى اجنحة الطائرات ، وتشارك فى تجميع الدبابات



والطائرات والبنادق . وفى اليابان روبوت تستطيع ان تميز بين انواع السمك المختلفة وفقا للشكل وللحجم وان تفرزها وتضع كل نوع فى سلة مستقلة . وتجرى الابحاث الآن لتصنيع روبوت يقوم بالعمل تحت مياه المحيطات لتصليح السفن او للبحث عن الموارد ، وللعمل فى المناجم ، او للعمل فى الفضاء الخارجى لتصليح الاقمار الصناعية . ولو استطردت فى عرض الابحاث التى تجري فعلا فى مراكز البحوث والجامعات عن الوظائف المختلفة التى يصممون روبوت للقيام بها لتصور القارىء انه ضرب من الخيال . ففى جامعة « واسيدا » اليابانية ، تم تصنيع روبوت يمتلك مجمل قدرات الذكاء لطفل عمره عام ونصف ، ويقومون الآن بالتجارب اللازمة لتطويره لكى يمتلك ذكاء طفل عمره خمس سنوات ، وهناك روبوت تستجيب للذبذبات النابعة عن الصوت فتقوم باداء وظائفها بالاوامر الصوتية .

وفى نوفمبر عام ١٩٨٠ افتتح فى اليابان على ضفاف بحيرة ياماناكا فى مقاطعة ياماناشى مصنع يشتغل فيه الروبوت لمدة ٢٤ ساعة لانتاج روبوت اخرى بتدخل انسانى محدود للغاية ، ويقوم بانتاج ١٠٠ روبوت شهريا .

وفى امريكا كما فى اليابان تم التركيز على استخدام الروبوت محل الانسان فى خطوط التجميع ، وقامت الشركات الكبرى مثل وستنجهاوس وجنرال موتورز وجنرال الكتريك باستخدامه فى مصانعها . وفى عام ١٩٨٠ امتلكت جنرال الكتريك روبوت اسمته براجمـــــا أ ــ ٣٠٠٠ ، تكلف ١١٠٫٠٠٠ دولارا ، لتجميع الاجهـــزة الكهربائية الدقيقة ، وتستطيع يداه ان تقوما بعمليتين مختلفتين فى نفس الوقت ، ويقوم بتجميع ١٢ قطعة غيار مختلفة وبتربيطها مع بعضها البعض ، ويستطيع ان يميز قطع الغيار التالفة وان يلقيها بعيدا .

فى نهاية الســـبعينات ومع إدراك الولايات المتحدة حجم الهوة التى فصلتها عن اليابان فى مجال صناعة الروبوت ، ولمواجهة انخفاض الانتاجية فانها تركز الآن على هذه الصناعة وتقوم بانتاج ١٥٠٠ روبوت سنويا ، وقدرت قيمة الناتج بمبلغ ٩٠ مليون دولار فى عام ١٩٨٠ وتقدر زيادة حجم الانتاج والمبيعات حتى تصل الى حوالى ٢ بليون دولار فى عام ١٩٩٠ .

الى اين ؟

ويتركز التنافس بين الشركات العملاقة فى امريكا واليابان اليوم حول تصنيع روبوت يمتلك درجة من الذكاء تمكنه من القيام باعمال التجميع المعقدة والتى تتطلب درجة اعلى من الدقة والقدرة على التمييز .

ولكى يستطيع الروبوت ان يقوم بهذه الاعمال لابد ان يطور ما يشبه حواس النظر واللمس ، كما يحتاج الى قدرة عقلية لتقييم المعلومات التى تصله ، اى قدرة على اتخاذ القرار وذلك بابلاغ نتائج « ما تراه » او ما « تلمسه » الى عقلها ، وهو جهاز الحاسب الآلى الدقيق .

ويتم تطوير القدرة على النظر بواسطة آلات تصوير تليفزيونية ، اما اللمس فيعنى اكثر من القدرة على التمييز بين حجم وشكل الاشياء وهو ما يستطيعه الروبوت الآن ولكن ايضا التمييز بين درجات الحرارة المختلفة للشيء الذى يمسكه بذراعه .

لقد قلنا فى هذه المقالة ــ ومقالات اخرى ــ ان هناك ثورة جديدة فى مجال العلم والتكنولوجيا تحدث امام اعيننا ، ولا يمكن لنا ان نتجاهلها او نغض البصر عنها وعن عواقبها ، واننا مازلنا نعيش على هامش هذه الثورة وعلى حوافها كمستهلكين ، وليس كمشاركين او كمنتجين ، وقلنا ان هذه الثورة سوف تطرح تقسيما جديدا للعمل ، وسوف تعمق الهوة بين المتقدمين والمتخلفين ، وسوف يكون من الصعب علينا ان نختلق الاعذار ، او ننتحل الأسباب لعدم مشاركتنا فيها ، وعندمـــا تدين الاجيال القادمة ماعجزنا عنه فسوف يكون من الصعب تبرير قصورنا؛ فالموارد المالية موجودة ، والقدرات البشرية يمكن توفيرها والمجال مازال مفتوحا للمشاركة .

فهل من مستجيب ؟

علي الدين هلال

إعداد : محمد العزب موسى



جنة أرضية ابتلعتها مقبرة مائية رهيبة

هناك الغاز كثيرة فى هذا العالم لم تحل .. ربما يكون من اكبرها لغز قارة اطلانطس .. قيل انها كانت جزيرة كبيرة فى حجم قارة ، تقع فى المحيط الأطلسى . وكانت فيها حضارة زاهرة ، ثم اختفت عن سطح الأرض فى يوم وليلة .. ابتلعتها مياه المحيط دون أن يتبقى منها شاهد واحد يدل على وجودها . ولكن بالرغم من اختفائها التام المفاجىء ظلت ذكراها قابعة فى الذهن البشرى آلاف السنين ، لم ينجح الزمن فى محوها ، ولم تبددها شكوك المتشككين على مدى القرون .

لقد دفنت اطلانطس تحت سطح البحر ، ولكن قبرها المائى ظل مفتوحا يلهب خيال البشرية جيلا بعد جيل ، فوضعت حولها الاف الكتب والمقالات والروايات والقصص القصيرة والأشعار وافلام السينما ، واطلق اسمها على سفن ومطاعم ومجلات ومحلات بل وعلى منطقة محددة فى كوكب المريخ ، وتكونت جمعيات للاهتمام بدراستها ، وتحرك علماء وباحثون وغواصون للبحث عنها مزودين باحدث ادوات القــرن العشرين .

وبالرغم من ذلك يظل لغز اطلانطس قائما كما كان منذ كشف عنه لأول مرة الفيلسوف الاغريقى الشهير افلاطون : هل هى حقيقة ام خرافة ؟ هل البحث عنها يقع فى نطاق الدراسات الاثرية ام فى مجال الشوق البشرى لعصر ذهبى اكثر رونقا وسعادة ؟

حضارة مزدهرة

قيــل ان اطلانطس كـانت اقرب شيء الى جنة فوق الارض ، كل الفــواكه والخضروات تنمو بوفرة فى ارضــها ، ومختلف الازهار والنباتات العطرة تزدهر على سفوح جبالها ، وشتى انــواع الحيوانات المستانسة والبرية تسعى فى مراعيها وغاباتها ومروجها ، وتشرب من مياهها وبحيراتها ، ومن باطن الارض تتفجر ينابيع من المياه العذبة الباردة والدافئة تستخدم فى رى المزروعات وتوفير الحمامات لجميع السكان ، بل كانت هناك أيضا حمامات للخيول والحيوانات ، فكل ما فيها نظيف لامع طاهر ، وكانت ارضها



غنية بالمعادن الثمينة التى جعلت سكانها اغنى من اى شعب ظهر قبلهم او بعدهم ، فكانت معابدهم ومبانيهم العامة مزينة ببذخ بالذهب والفضة والنحاس والعاج . اما القصر الملكى فكان تحفة فريدة فى ضخامته وجماله ، وكان اهل اطلانطس الى جانب مهارتهم فى صياغة المعادن ذوى خبرة هندسية متقدمة ، فانشاوا شبكات من القنوات والجسور تربط المدينة العاصمة بالبحر والريف المحيط بها ، واقاموا موانىء وارصفة هائلة ترسو عليها سفن اسطولهم التجارى الذى يحمل تجارتهم الى اقصى اطراف المسكونة .

لقد اعطى اهل اطلانطس من الخير الوفير ما يجعلهم مستريحين وسعداء فى اى مكان يقيمون فيه ، سواء فى المدينة او الريف ، وقد كانوا فى اول عهدهم اناسا لطفاء المعشر ، حكماء ودودين ، لم يفسدهم ثراؤهم الواسع ولم يغمض عيونهم عن الفضيلة . ولكن مع الزمن اخذ الفساد يدب فى طبيعتهم ، فلم يعودوا يقنعون ببلادهم الوفيرة الخيرات بل اخذوا يتطلعون لحكم البلاد الاجنبية ، فاكتسحت جيوشهم الجرارة حوض البحر المتوسط ، واستولت على مناطق شاسعة فى اوربا وشمال افريقيا ، واستعدت لمهاجمة اثينا ومصر . وهنا قام الاثينيون ضدهم واضطروهم الى التقهقر الى حيث جاءوا من وراء جبل طارق ولكن لم يكد الاثينيون يوقعون بهم الهزيمة وقبل ان يجنوا ثمار النصر حتى وقعت كارثة كبرى محقت الجيش الاثينى وادت الى غرق قارة اطلانطس باسرها تحت الامواج ، وربما يكون عدد قليل من شهود هذه الكارثة قد نجوا ليحكوا ما حدث ، اذ على اية حال ظلت القصة عالقة فى الأذهان تروى جيلا بعد جيل لمدة اكثر من ٩٢٠٠ سنة الى ان تم تدوينها لاول مرة ، وتحولت من تراث العالم الشفوى ، الى تراث العالم المكتوب .

محاورات افلاطون

كان اول من سجل هذه الاسطورة على الورق هو الفيلسوف الاغريقى افلاطون الذى عاش فى القرن الرابع قبل الميلاد . فحوالى عام ٣٥٥ ق . م ذكر افلاطون قصة اطلانطس فى سياق محـــاورتين من محاوراته الشهيرة هما « تيمـــاوس » و « كريتياس » . وبالرغم من ان افلاطون يؤكد ان قصة القارة المفقودة ماخوذة من السجلات المصرية القديمة ، إلا انه لم يعثر على اى اثر لهذه القصة فى الآثار المصرية او غيرها من مخلفات اى شعب كان يعيش قبل زمن افلاطون . وهكذا ظلت قصة افلاطون هى المرجع الاول والوحيد لاسطورة اطلانطس وكل ما كتب عنها فيما بعد من كتب ومقالات انما يعتمد على رواية افلاطون وحدها سواء بالاضافة او التفسير .

وقد كان افلاطون استاذاً فى فن سرد القصص ، وكان يضع افكاره الفلسفيـــة وتفسيراته للاحداث على السنة شخصيات روائية يجيد تصويرها وبث الحياة فيها ، وربما تكون قصة اطلانطس خيالا محضا من اختراع افلاطون لهذا الغرض ، ولكن مما يثبت قوتها الخارقة انها ظلت تعتبر الى الآن قصة حقيقية بعد اكثر من ٢٣٠٠ عام من كتابتها ، وظلت تلهب افئدة الباحثين الى درجة ان يغامر بعضهم بشهرته العلمية فى سبيل البحث عن هذه القارة المفقودة او آثارها فى غابات الأمازون او تحت سطح المحيط . والواقع ان إقدامهم على ذلك لم يكن مبعثه قصة افلاطون وحدها وانما ضاعفت منه مكتشفاتهم هم انفسهم لشواهد تدل على انه كانت هناك — فى وقت ما — قطعة عظيمة من الارض اليابسة فى قلب المحيط الأطلسى تقوم كقنطرة بين القارات الثلاث : افريقيا واوربا وامريكا .

ويتساءل الباحثون : لماذا اذن نجد كثيراً من أوجه الشبه بين الحضارات القديمة فى العالم القديم والعالم الجديد على السواء؟ لماذا نجد نفس النباتات والحيوانات على هذه القارات التى تفصل بينها آلاف الأميال من المياه دون وجود وسيلة معروفة لنقلها او انتقالها ؟ كيف استطاع الرجال البدائيون فى كثير من البلاد اقامة منشآت جبارة مثل المبانى الحجرية فى الجزر البريطانية والتماثيل الضخمة فى جزيرة « ايستر » بالمحيط الهادى والمدن الغريبة المقدسة فى غابات امريكا الجنوبية ؟ هل ساعدهم على ذلك جنس متقدم تكنولوجيا لم يلبث ان اختفى ؟ ثم لماذا تذكر اساطير كل الشعوب نفس القصة عن وقوع كارثة طبيعية كبرى وعن مقدم « قوم » جدد جاءوا معهم الحضارة من مكان بعيد ؟ هل كانت الكارثة التى اغرقت اطلانطس من القـــوة بحيث احدثت اختلالا وخرابا فى كل انحاء

لغز القارة الغارقة

العالم المسكون ؟ وهل كان هؤلاء « القوم » هم مجرد الناجين من الجنس الاطلانطى الذين تصادف ابتعادهم عن جزيرتهم عندما ابتلعها اليم ؟

ان الاجابة على مثل هذه الاسئلة ـ حتى بدون قصة افلاطون ـ تفترض وجود « حلقة ضائعة » بين القارات والحضارات القديمة ، حلقة كانت بمثابة « جسر قارى » يسكنه اناس متقدمـــون حضــــاريا وتكنولوجيا فى الماضى البعيد . ومع ذلك فان قصة افلاطون هى التى تكمن حتى الآن فى قلب كل نقاش يؤيد او يرفض وجود هذه القارة الضائعة .

كان افلاطون ـ فيما يبدو ـ ينوى ان يكتب ثلاثية تحتل فيها قصة اطلانطس مكانا بارزا ، ولكنه انجز فقط محاورة واحدة منها وجزءا من المحاورة الثانية ، الاولى بعنوان « تيماوس » والثانية بعنـــوان « كريتياس » وككل محـــاورات افلاطون الاخرى يلعب الدور الرئيسى فى هاتين المحاورتين المعلم القديم والفيلسوف الاغريقى الكبير سقراط ، اما محاوروه الرئيسيون فهم تيماوس وهو فلكى من البلاد الايطالية ، وكريتياس وهو شاعر ومؤرخ وقريب من بعيد لافلاطون ، وهرموقراطيس وهو قائد عســـكرى من سيراكوز . وهؤلاء الاربعة هم انفسهم الذين اشركهم افلاطون قبل ذلك بسنوات فى محاورته الشهيرة عن « الجمهورية » وقد وعد فيها بان يكتب ثلاثية جديدة تستمر خلالها المناقشة بين الرجال الاربعة بالتفصيل حول الحكومة المثالية .

صولون والمراجع المصرية

وقد جعل افلاطون هؤلاء الرجال الاربعة يجتمعون فى منزل كريتياس فى احد ايام شهر يونيو عام ٤٢١ ق . م . ومن المفروض ان تبدا محاورة « تيماوس » فى اليوم التالى لانتهاء المناقشة التى وردت فى محاورة « الجمهورية » . ويبدا الرجال الاربعة بتذكر النقط الرئيسية فى محاورتهم السابقة ، ثم يشير هرموقراطيس الى « قصة قديمة وردت فى التراث القديم » قال ان كريتياس يعرفها جيدا ، وتحت الحاح الرجال الثلاثة يبدا كريتياس فى رواية تلك القصة ، فيذكر كيف انه حدث منذ قرن ونصف من الزمان ان زار المشرع الاثينى الكبير صولون مصر (صـــولون شخص حقيقى زار مصر فعلا ولكن رحلته تمت حوالى عام ٥٩٠ ق . م اى مبكرة بحوالى ٢٠ عاما عن التاريخ الذى اعطاه افلاطون) واثناء وجوده فى « سايس » ، وهى مدينة مصرية فى شمال الدلتا كانت لها علاقات وثيقة باثينا ، اخبره عدد من الكهنة المصريين بقصة اطلانطس ، وهى قصـــة « القوم » صولون بانها « حقيقيـــة بالتاكيد بالرغم من غرابتها » ، وكان صولون ينوى ان يسجلها كتابة ليعرفها العالم من بعده ، ولكنه لم يفعل ، واكتفى بان رواها لاحد اقربائه ويدعى دروبيدس الذى حكاها بدوره لابنه كريتياس الاكبر وعن طريقه وصلت الى حفيده كريتياس الذى يشارك فى هذه المحاورة مع سقراط والآخرين .

يحكى كريتياس فى محاورة « تيماوس » كيف ان الكهنة المصريين ابلغوا صولون انه طبقا للسجلات القديمة التى لديهم كانت هناك امبراطورية اثينية عظيمة منذ ٩٠٠٠ سنة (اى حوالى ٩٦٠٠ ق . م .) وكانت تعاصرهـــا فى نفس الـــوقت امبراطورية عظيمة اخرى تسمى اطلانطس تقع فى جزيرة كبيرة بحجم قارة وراء اعمدة هرقل (مضيق جبل طارق حاليا) . كانت هذه القارة اكبر من شمال افريقيا وآسيا الصغرى مجتمعين ، والى الوراء



منها تمتد سلسلة من الجزر عبر المحيط تصل الى قارة ضخمة اخرى .

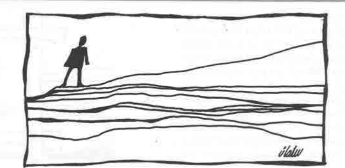
وكان سكان اطلانطس يحكمون جزيرتهم المركزية وعدة جزر اخرى واجزاء من القارة الكبيرة على الجانب الآخر للمحيط (امريكا ؟) ثم تقدمت جيوشهم شرقا الى منطقة البحر المتوسط فاستولت على شمال افريقيا حتى حدود مصر وجنوب اوربا حتى اليونان . وقال الكهنة المصريون « هذه القوة الهائلة تجمعت كلها وعزمت امرها على ان تخضع بضربة واحدة بلادنا وبلادكم وكل المنطقة التى تلى المضيق » ولكن اثينا التى كانت تقف وحدها تمكنت من هزيمة الاطلنطيسيين .. « ثم حدثت بعد ذلك زلازل وفيضانات عنيفة ، وخلال يوم واحد وليلة من الدمار دفن محاربوكم تحت الارض وكذلك جزيرة اطلانطس اختفت بنفس الطريقة فى اعماق البحر ، ولهذا السبب فان البحر فى تلك الاجزاء غير قابل للملاحة والعبور لان هناك طينا ضحلا كثيرا فى الطريق نتيجة لوجود الجزيرة تحت سطحه » .

ويبتهج سقراط لقصة كريتياس التى يصفها بان لها « صفات كثيرة تجعل منها حقيقة لا مجرد خيال » ومع ذلك فان بقية محاورة « تيماوس » تدور فيما بعد حول العلم ، ويظل خبر اطلانطس مبتورا عند هذه النقطة .

وصف اطلانطس

وفى المحاورة الثانية « كريتياس » يتابع افلاطون اكمال قصة اطلانطس ، فيعطى على لسان كريتياس وصفا اكثر تفصيلا للجزيرة القارة منذ نشاة الحضارة على الارض ، واختص « بوسيدون » سيد البحر والزلازل بجزيرة اطلانطس ، واحـــب « بوسـيدون » فتاة من ابناء البشر تدعى « كليتو » كانت تعيش فوق تل فى اطلانطس ، ولكى يمنع اى احد من الاقتراب منها قام «بوسيدون» بتطويق التل الذى تعيش فيه « كليتو » بحلقات متتالية من الارض والماء « حلقتين من الارض وثلاث حلقات من الماء .. » وامد التل بما يكفيه من الماء والغذاء « فجعل نبعين من الماء ينبثقان من باطن الارض ، احدهما ساخن والآخر بارد ، وجعل انواعا مختلفة من الغذاء تخرج بوفرة من الارض » .

وتمضى القصة فتذكر ان بوسيدون وكليتو انجبا خمسة ازواج توائم من الذكور وقسم بوسيدون البلاد بين ابنائه العشرة ، فكانوا يحكمونها فى شكل « اتحاد ملوك »



براسه الابن الأول من التوام الاكبر ويدعى اطلس (وقد سميت الجزيرة باسمه) وانجب هؤلاء الملوك ابناء كثيرين وحكموا هم وذريتهم من بعدهم اجيالا متعاقبة .

وعمرت اطلانطس ، وكثر سكانها ، واقيمت فيها منشات هندسية وزراعية عظيمة ، وبنيت القصور والمعابد ، والموانىء والأرصفة ، وجنى الحصاد الوفير من الزراعة والتعدين . وكانت مدينة اطلانطس تقوم حول تل « كليتو » على الشاطىء الجنوبى للجزيرة وهى مدينة مستديرة يبلغ محيطها ١١ ميلا ، وفى منتصفها بالضبط يقوم تل « كليتو » تحيط به حلقاته المتتالية من الماء واليابسة اشبه بقلعة محيطها ثلاثة اميال ، كما اقام الملوك جسورا تربط بين الحلقات البرية المحيطة بالتل ، وانفاقا تمر عبرها السفن من حلقة مائية الى اخرى ، وكانت الحلقات البرية مسورة باسوار صخرية مطعمة بالمعادن الثمينة ، ويحيط سور ضخم بالمدينة كلها ، وكانت الحلقة الخارجية من الماء تستخدم كميناء عظيم تزدحم فيه السفن .

وكانت هناك قناة عظيمة يبلغ عرضها ٣٠٠ قدم وعمقها ١٠٠ قدم تربط بين الحلقة المائية الخارجية التى تستخدم كميناء وبين البحر على الشاطىء الجنوبى . وخارج اسوار المدينة يمتد سهل زراعى فسيح تحميه الجبال فى هيئة قطاع مثلث مساحته ٢٣٠ فى ٣٤٠ ميلا ومقسم الى ٦٠ الف قطعة زراعية موزعة على الفلاحين ، اما الجبال فتقوم عليها «قرى كثيرة غنية » .. وتتكفل الانهار والبحيرات والمراعى بتوفير الطعام لكل من يدب بقدميه فى اطلانطس من انسان وحيوان اليف وضار وكانت هناك ايضا اخشاب كثيرة من كل نوع تستخدم فى مختلف الأغراض . وكان سكان الجبال وبقية البلاد مقسمين تحت زعامات محلية يتم اختيارها حسب الأحياء والقرى ، وهؤلاء الزعماء يمدون الجيش بحاجته من الرجال.وكان جيش اطلانطس مكونا من المشاة ذوى الأسلحة الخفيفة والثقيلة والفرسان والعربات .

العمارة والقصور والمعابد

ويرسم افلاطون على لسان كريتياس صورة زاهية للعمارة والهندسة فى اطلانطس حيث كانت القصور والمعابد والمبانى العظيمة مبنية بالاحجار الملونة ، البيضاء والحمراء والسوداء ، وفى المعابد بالذات كان اهل اطلانطس يصبون اقصى مهارتهم الفنية والتكنولوجية ، ففى وسط القلعة اقاموا معبدا لكليتو وبوسيدون يحيط به سياج من الذهب ، والى القرب منه يقوم معبد بوسيدون الخاص وهو عبارة عن عمارة هائلة مغطاة بالفضة واعمدتها من الذهب ، وكان سقف المعبد من الداخل مكسوا بالعاج ومزينا بالذهب والفضة والنحاس النقى اللامع « الذى يتوهج كالنار » . وفى داخل المعبد تمثال ضخم من الذهب لبوسيدون وهو يقود عربته التى تجرها ستة خيول مجنحة وتحيط بها ١٠٠ حورية من حوريات البحر يركبن فوق درافيل ، وهذا التمثال من الضخامة بحيث كان راسه يلامس سقف المعبد . وفى خارج المعبد كانت تقوم تماثيل ذهبية للملوك العشرة الأولين وزوجاتهم .

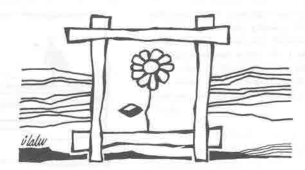
ويمضى كريتياس فيصف المبانى الجميلة التى تتخللها النوافير الدافئة والباردة ، وزرعت وسطها الأشجار والأزهار واقيمت الصهاريج بعضها مكشوف للسماء والبعض مغطى بسقف حيث كانت تستخدم كحمامات « وكانت هناك حمامات للملوك ، وحمامات للعامة ، وكانت هناك ايضا حمامات منفصلة للنساء ، وغيرها للخيول والماشية ، وكل منها مزين بمـــا يناسبه من فنون الزينة ، وكانت المياه التى تلفظها هذه الحمامات يحمل بعضها الى حديقة بوسيدون حيث تنمو كل انواع الأشجار العجيبة البالغة الطول والجمال ، اما باقى المياه فتنقل عبر مواسير فى الجسور الى حلقات الماء الخارجية ، وكانت هناك معابد كثيرة ، وحدائق ، وساحات للرياضة بعضها للرجال والبعض الآخر للخيول تقوم فى الجزيرتين الدائريتين (اللتين تحيط بهما حلقات الماء) وفى منتصف الجزيرة الكبيرة منهما كانت هناك حلقة لسباق الخيل عرضها ٦٠٧ اقدام وتمتد بطول الجزيرة كلها تقام فيها مباريات السباق .

مراسم التضحية بالثيران

وكان الملوك العشرة الذين يحكمون اطلانطس يجتمعون فى معبد بوسيدون مرة كل خمس او ست سنوات للتشاور فى شئون الحكم واقرار العدل واثناء هذا الاجتماع كانت تجرى مراسم غريبة ، اذ بعد ان ينتهى الملوك من الصلاة كانت تبدا عملية صيد الثيران التى تتجول طليقة فى ساحات المعبد ، وكان عليهم ان يستخدموا فى الامساك بها العصى والحبال فحسب فاذا امسكوا باحدها قادوه الى عمود من البرونز داخل المعبد نقشت عليه قوانين اطلانطس حيث يذبح الثور وتسيل دماؤه على النقوش المقدسة وبعد انتهاء مراسم القربان كان الملوك يشتركون فى مادبة حافلة ، وعندما يسقط الظلام يلتحفون باثواب زرقاء ويتحلقون فى دائرة للنطق باحكامهم التى يسجلها الكتبة فى الواح من الذهب عندما يطلع الصباح .

ولكن مع مرور الزمن بدا اهل اطلانطس يفقدون حب الحكمة والفضيلة الذى ورثوه عن بوسيدون ، وتلوثت طبيعتهم الطاهرة وتغلبت عليها الطبيعة البشرية فصاروا جشعين فاسدين محبين للسيطرة ، وعندئذ ـ كما يقول افلاطون ـ « ادرك زيوس ، الذى يحكم بالقانون والذى يستطيع ان يرى مثل هذه الأشياء ، ان جنسا نبيلا قد دب فيه الفساد واصبح فى حالة سيئة ، فاراد ان يعاقبهم من اجل ان يطهرهم ويحسنهم ، جمع كل رصفائه فى مقره ، وعنـدمـــا اجتمعوا جميعا تحدث زيوس فقال :

وهنا ، للأسف ، تنقطع قصة افلاطون عن اطلانطس ولا يعود الى تكملتها بعد ذلك ابدا ، ويعتقد بعض الدارسين ان محاورة « كريتياس » كانت مجرد مسودة تخلى افلاطون عن تكملتها ، ويعتقد آخرون ان افلاطون كان ينوى اكمال القصة فى الجزء الثالث فى الثلاثية التى وعد بكتابتها ، ولكنه لم يفعل ، وكتب بدلا منها محاورته الأخيرة « القوانين » .



صعوبات تثيرها القصة

ثار الخلاف حول قصة افلاطون منذ كتبها من ٢٣٠٠ سنة ولا يزال مستمرا للآن هل هى قصة حقيقية ؟ ام نصف حقيقية ؟ ام خيال صرف ؟ ولكل راى معتنقوه الذين دافعوا عنه عبر القرون بل ان قصة افلاطون ما تكاد تذكر فى اى عصر الى عصرنا الحاضر حتى ينقسم سامعوها فورا بين مؤيد ومعارض .

ومن المؤكد ان قصة افلاطون عن القارة المفقودة اطلانطس تثير عديداً من الصعوبات يراها المعارضون كفيلة بدمغ القصة بالخرافة والخيال ، اما المؤيدون فيقولون ان هذه الصعوبات يمكن فهمها فى حجمها ولا تؤثر فى جوهر القصة وانها غالبا ما ترجع الى المبالغة او الاخطاء التى زحفت على القصة عبر قرون طويلة من تداولها قبل ان تصل الى مسامع افلاطون .

اكبر هذه الصعوبات بالفعل هو التاريخ الذى يعطيه افلاطون لدمار اطلانطس ، فهو يقول ان الكهنة المصريين ابلغوا صولون بان هذا الدمار حدث قبل زيارته لمصر بـ ٩ الاف سنة ـ اى حوالى عام ٩٦٠٠ ق . م ـ وهو تاريخ اقدم من اى حضارة معروفة ، خاصة ان افلاطون يذكر ايضا انه فى ذلك الوقت كانت اثينا ايضا مركزا لحضارة عظيمة وانها اوقعت الهزيمة باطلانطس ، فى حين يؤكد الاثريون ان علمهم الوثيق بتطور الحضـــــارة الاغريقيـــــة منـذ بداياتهـــــا الاولى ينفي وجـــــود اى شعوب متقدمة فى الجزر اليونانية فى مثل هذا الوقت المبكر ، وعلى ذلك إما ان تكون قصة افلاطون محض اختراع او ان افلاطون يذكر تاريخا خاطئا .

والصعوبة الثانية تتعلق بمصدر القصة فانه اذا كانت الحرب قد وقعت اساسا بين اثينا واطلانطس ، فلماذا لم توجد سجلات الاغريقية عن هذه المعركة ؟ وكيف يكون المصدر الوحيد لمعرفتها هو مصر ؟ غير ان افلاطون يفسر ذلك بان الكهنة المصريين ابلغوه ان السجلات الاغريقية قد دمرت نتيجة سلسلة متعاقبة من الكوارث بينما نجت سجلاتهم هم ، والمشكلة اذن انه إذا كانت مثل هذه السجلات المصرية موجودة بالفعل فى زمن زيارة صولون فانها قد اختفت تماما هى ايضا كما اختفت اطلانطس ولم نعد نسمع بالقصة إلا من رواية افلاطون .

واذا افترضنا ان صولون سمع بالقصة حقا من كهنة سايس اثناء زيارته لمصر ، فهل يمكن ان تكون هذه القصة بكل تفاصيلها الدقيقة قد انتقلت شفاهة من جيل الى جيل لمدة ١٥٠ عاما الى ان سمعها افلاطون كما يريدنا ان نصدق ؟ ولكن ذلك ليس بالمستحيل ، لان فن الرواية الشفوية احرز تقدما كبيرا فى العصور القديمة ، وليس هناك ما يمنع ان يكون اغريق اخرون قد سمعوا بقصة اطلانطس ولكن افلاطون هو اول من سجلها كتابة فى محاورته .

كما يذكر افلاطون على لسان كريتياس ان صولون كتب مذكرات من مناقشاته مع الكهنة المصريين وانه سلم هذه المذكرات الى اقاربه اجداد كريتياس . وهذه النقطة تثير صعوبة جديدة ، فبينما يقول كريتياس فى احد المواضع انه لا يزال يمتلك هذه المذكرات فى حوزته تراه فى موضع اخر يذكر انه قضى ليلة باكملها يحاول ان يسترجع تفاصيل قصة اطلانطس كما سمعها من جده كريتياس الاكبر كى يقصها على رفاقه ، لماذا اذن لم يرجع الى هـــذه المذكرات لينعش ذاكرته ؟ بل لماذا لم يقدم هذه المذكرات نفسها الى رفاقه الثلاثة كدليل لا يمكن رفضه يؤكد صحة قصته الغريبة ؟

وهناك صعوبة اخرى تتعلق بالتاريخ الذى يعطيه افلاطون لرواية القصة ، فهو يذكر ان الاجتماع الذى تم بين سقراط وزملائه الثلاثة ونوقشت فيه قصة اطلانطس حدث فى عام ٤٢١ ق . م . وكان افلاطون حاضرا فى هذا الاجتماع ، واذا كان ذلك صحيحا فان عمر افلاطون عندئذ كان ست سنوات ، وهو عمر لا يستطيع فيه ان يدرك طبيعة المناقشة دعك من ان يستوعب تفاصيلها على هذا النحو ، وعلى ذلك إما ان تكون قصة افلاطون مؤسسة على معلومات نقلها اليه شخص اخر ، او ان يكون تاريخ الاجتماع خطا ، او ان يكون هذا الجزء من القصة على الأقل ليس صحيحا .

ويعتقد نقاد قصة اطلانطس ان هذه القصة ببساطة مجرد اختراع من افلاطون كى يسوق خلالها افكاره عن الحضـــارة والحرب والفساد خاصة ان افلاطون تعود ان يلجا الى هذا الاسلوب فى محاوراته ، فكان يضع افكاره على السنة اناس اخرين وفى اطر حوادث مختلفة احيانا .. فليس هناك ما يمنع ان يكون افلاطون قد نحا هذا المنحى ايضا فى محاورتيه « تيماوس » و « كريتياس » . ولكن الملاحظ ان افلاطون بصدد هذه القصة بالذات يحرص على ان يؤكد انها حقيقية ، ويجعل مصدرها صولون ، وهو سياسى حقيقى كبير الاحترام وكان مشهورا بالصدق اللائق بمشرع كبير ، فنجد كريتياس يعلن ان قصة اطلانطس ..

برغم انها غريبة إلا انها حقيقية بالتاكيد » ويوافقه سقراط على ذلك . ثم إذا كان غرض افلاطون الوحيد ان يوصل بهذه القصة افكاره الفلسفية فلماذا يملأ قصته بكل هذه التفاصيل الدقيقة التى لا تخدم فى شيء فكرته الأساسية ؟ ثم لماذا تراه يتوقف فجاة عن اكمال القصة فى الوقت الذى يتوقع فيه المستمعون ظهور المغزى ووصول الرسالة ؟

الذاكرة الجماعية

ولكن ، بالرغم من هذه الصعوبات والاخطاء والتناقضات التى تنطوى عليها رواية افلاطون عن اطلانطس إلا انه لا يزال من الممكن اعتبارها تسجيلا لاحداث حقيقية ..

فالتاريخ يمدنا بامثلة كثيرة عن اماكن او احداث علقت بالذاكرة الجماعية وكان من المعتقد انها اسطورية او خرافية ثم نكتشف بعد ذلك صحتها او وجودها الفعلى ..

من هذا القبيل ما ذكره هوميروس عن



مدينة طروادة فى ملحمتيه الشهيرتين « الالياذة » و « الاوديسة » ، وقد عاش هوميروس حوالى عام ٨٥٠ ق . م . اى قبل افلاطون بحوالى ٥٠٠ عام ، وقد ظل دارسو هوميروس طوال العصور يعتقدون ان طروادة مدينة خيالية من نسج افكار هوميروس الى ان جاء الاثرى الالمانى هنريش شليمان فى عام ١٨٧١ وكشف بالفعل عن مدينة طروادة فى منطقـــة هيسارليك فى شمال غرب تركيا وفى نفس المكان الذى حدده هوميروس لها تماما ، حتى قبل ان شليمان كان يبحث عن طروادة وهو « يمسك هومر فى يد والمعول فى يد اخرى » وقد كان معاصرو شليمان يسخرون من محاولته للبحث عن طروادة الخيالية فى اعتقادهم الى ان فوجئوا به ينتشلها من تحت طبقات الثرى .

وجاء بعد ذلك سير ارثر ايفانز وفعل نفس الشيء باكتشافه قصر التيه الذى كان يعيش فيه الوحش الاســـــطورى « المينوطورس » فى كنوسوس بكريت ، وكان من المعتقد كذلك ان حضارة كريت او ما يسمى بالحضارة المينوية مجرد خيال واساطير ولكن سير ايفانز اثبت انها حضارة حقيقية متقدمة ازدهرت قبل زمن هوميروس بوقت طويل او منذ حوالى ٤٥٠٠ عام من وقتنا الحاضر .

ان هذين المثلين كافيان لأن نقدر صدق الذاكرة الجماعية وننظر بالتالى الى قصة افلاطون عن اطلانطس بذهن متفتح ، ولكن المشكلة هى انه بينما طروادة وكنوسوس مدفونتان تحت طبقات الثرى فان اطلانطس غارقة على عمق مئات او ربما الاف الاقدام تحت امواج المحيط ، وحتى على فرض وجودها فلابد ان تكون عوامل التعرية قد ضربتها بدرجة لا يمكن معها التعرف عليها الان . ومع ذلك إذا كانت رواية افلاطون مؤسسة على وقائع حقيقية فلابد ان تكون هناك اثار ما عن اطلانطس ، ويخبرنا افلاطون أن اهل اطلانطس كانوا يتصلون بالامم المجاورة ويتبادلون معها التجارة ، فهل يمكن مثلا ان نعثر على ادلة وجودهم فى حضارات هؤلاء الجيران ؟ هـــذا ما يعتقده مؤيدو القصة ، فيقولون ان مثل هذه الأدلة كثيرة بالفعل ، فان هناك من المنشآت الهندسية والتكنولوجية البالغة القدم فى العالم القديم ما يؤكد احتمال وجود حضارة بالغة الرقى على طراز اطلانطس لم نعد نعرف عنها شيئا .

• •

هكذا يستمر الحوار بين رافضى اطلانطس ومؤيديها ، الأولون يقولون انها اسطورة لا ظل لها من الواقع اخترعها افلاطون ليبث خلالها افكاره الفلسفية ، واذا كانت قد علقت بالاذهان فيما بعد فلانها تعبر عن حاجة البشرية الى الاعتقاد فى وجود عصر ذهبى قـديم كانت فيـه الحياة اكثر مثالية والرجال والنساء اكثر فضيلة وكمالا . والآخرون يؤكدون ان الصورة التى لدينا عن الحضارة والتطور البشرى غير كافية او كاملة ، واننا نختار ان نتجاهل الالغاز التى لاتبدو متوافقة مع هذه الصورة الناقصة دون ان ندرك ان هذه الالغاز نفسها يمكن ان تكون مفتاحا لمزيد من الفهم لماضينا الغامض . ومن هذه الالغاز قارة اطلانطس التى تقوم شواهد كثيرة على وجودها ، واذا عثرنا عليها بالفعل سوف يتبدد اى شك بصددها وسوف يوضع كل شيء فى مكانه الصحيح ..

ويضيفون اننا اصبحنا الآن بالفعل قاب قوسين او ادنى من حل هذا اللغز القديم بفضل ما نملك من وسائل البحث والكشف الحديثة وان البحث عن اطلانطس يعد اهتماما علميا له ما يبرره ، وقد نتمكن خلال هذا الجيل بالتحديد من الوصول الى كلمة اخيرة حول هذا اللغز القديم : هل اطلانطس حقيقة أم خرافة ؟

محمد العزب موسى

(المقال التالى : البحث عن اطلانطس)

حتى نصحح تاريخ الفنان الشهيد :

أعمال لم تنشر لغسان كنفاني

بقلم : سليمان الشيخ

ضمن مقدمة سلسلة اعمال الشهيد غسان كنفانى التى بدات مؤسسة الابحاث العربية فى بيروت نشرها منذ سنة ١٩٨١ ، والتى تتضمن اعماله المنشورة فى كتب من قبل أو الأعمال التى لم يتم نشرها فى كتب ، نجد اشارة تفيد ان للكاتب رواية بعنوان « اللوتس الأحمر الميت » لم يتم نشرها فى كتاب من قبل . وتشير المقدمة أيضاً الى ان الرواية تمت كتابتها سنة ١٩٦١ م .

وخلال بحثى عن الاعمال التى لم يتم نشرها فى كتب للكاتب ونشرت فى الصحافة الكويتية اثناء عمله فى الكويت والذى استمر من سنة ١٩٥٦ حتى سنة ١٩٦٠ ، أو بعد مغادرته لها وانتقاله للعمل فى لبنان ، فانني وجدت عدة قصص اشرت اليها فى مقالين سابقين فى مجلة « العربى » ووجدت رواية طويلة ايضا بعنوان « العبيد » نشرت مسلسلة فى مجلة « الطليعة » الكويتية الاسبوعية اعتبارا من العدد رقم ٣٢ المؤرخ بتاريخ ١٩٦٣/٥/٢٢ م واستمر نشرها اسبوعيا حتى العدد رقم ٤٨ المؤرخ بتاريخ ١١/٩/١٩٦٣ م .

وهذا يعنى ان نشرها توالى لسبعة عشر اسبوعا .

وقد لفت نظرى ان الرواية التى تدور بعض فصولها فى ملهى ليلى ، يتكرر فيها تناوب التركيز على عنوانى « اللوتس الاحمر الميت » و « العبيد » .

اسمان ورواية واحدة :

لنقرا هذه الجمل والعبارات على سبيل المثال لا الحصر :

ورد فى الفصل الاول المنشور فى العدد رقم ٣٢ من المجلة ما يلى : « وحدق حواليه بحيرة ، الاضواء الحمراء المزروعة فى السقف كزهر اللوتس » .



غسان كنفانى

وورد النص التالى فى نفس الفصل والعدد :

« اننا نمضى حياتنا محكومين كالعبيد ، حتى ليموت المرء قبل ان يكتشف ذلك ، وهذه ليست مشكلة،المشكلة هى ان يكتشف اللعبة قبل ان يموت » .

وورد فى العدد رقم ٣٣ من المجلة النص التالى :

« جر هشام قدميه وترك زهور اللوتس الحمراء مدلاة من السقف » .

وفى العدد رقم ٤٦ من المجلة ورد النص التالى :

قال هشام لصديقه عدنان :

« كلكم عبيد » .

فاجابه عدنان :

« كلنا عبيد ، انا معك ، ولكن الفرق بيننا هو ان كلا منا يختار السيد الوحيد الذى نستطيع ان نجعله فيما بعد عبداً لنا ولذلك نختار المستقبل ، انظر اليّ جيداً ، قد يكون الفرق بينى وبينك اننى ارفض العبودية ولكنك تقبلها » .

وفى العدد رقم ٤٧ ورد النص التالى :

« رفع راسه ، وحدق الى واجهة الملهي ، ما الذى اوصلنى الى هنا ؟ صفعت انفه رائحة العطر فاخذ يتنشقها بكل سعة صدره ، لو يستطيع ان يدخل الآن .. لو يستطيع ! زهر اللوتس الاحمر الميت مازال يتدلى من السقف » .

اخرج من الامثلة السابقة والامثلة الاخرى التى احتواها كل فصل تقريبا الى ان هناك رواية واحدة فقط وضع لها الشهيد غسان عنوانين مختلفين :

الاول « موت اللوتس الاحمر » الذى ارجح ان الكاتب وضعه عنوانا للرواية التى وجدها الناشر فى بيروت ضمن اعماله واوراقه التى تركها فى بيته او عند اصدقائه .

الثانى « العبيد » هو العنوان الذى وضعه غسان نفسه للرواية كما تم نشرها فى مجلة الطليعة فى الكويت .

من هنا نستطيع التاكيد على ان « اللوتس الاحمر الميت » و « العبيد »

عنوانان لرواية واحدة انجزها غسان سنة ١٩٦١ ، اى فى نفس الفترة التى نشر فيها مجموعته القصصية الأولى « موت سرير رقم ١٢ » .

وبذلك تكون « اللوتس الأحمر الميت » او « العبيد » هى الانتاج الروائى الأول المنشور فى الصحافة للكاتب ، اى انها سبقت فى كتابتها او على الأصح فى نشرها بالصحافة رواية « رجال فى الشمس » التى صدرت فى كتاب سنة ١٩٦٣ .

أسباب عدم النشر

اما لماذا لم ينشرها غسان فى كتاب خلال حياته ؟

ولماذا لم يتم نشرها فى كتـــاب بعــد استشهاده ؟

فان الجـــواب على الشـــق الأول من السؤال يدخل فى مجال الاجتهاد الافتراضى ولا يستند الى حجج ملموسة او تصريحات معروفة او منشورة للكاتب .

وارجح ان الكاتب كان يصطدم فى نشره للرواية بعاملين :

الأول : ان الرواية تسجل لحياة بطل سلبى هروبى ، يحاول تدمير ذاته بالهرب من ماضيه النضالى بعد ان اكتشف انه مريض بقلبه وان حياته مهددة بالموت بين لحظة واخرى .

ومع ان الكاتب يصل بحياة بطله العبثية الى الطريق المسدود ، والى النتيجة الفاجعة فى خسارته لصحته وماله وحب اهله ورفاقه وحتى صاحباته ، مما يثبت ادانة الكاتب لنهج الحياة الذى سار فيه بطله ويؤكد الدعوة للالتزام والابتعاد عن فلسفة العبث او الوجودية فى مفهومها الذى شاع فى فترة الخمسينات والستينات فى بعض اقطارنا العربية مثل :

« الاخرون هم الجحيم » و « عش ليومك ولا تكن عبدا لقضية او مستقبل او ناس الخ » وانقل نصا ورد فى العدد رقم ٤٠ من المجلة على لسان هشام اهم شخصية فى الرواية :

« الاخرون ، المستقبل ، المثل العليا ، خطابات جوفاء مضحكة ، الحاضر هو الشيء الحقيقى الأوحد .

المستقبل ليس لي حتى يصبح حاضرى ، والاخرون ليسوا انا . اعرف الان بعد هذه التجربة الجديدة شيئا واحدا فقط ، ان المستقبل لا يساوي ابدا ان نفقد الحاضر من اجله ، والاخرون لا يساوون ابدا فقدان الذات ، انا والحاضر اهم بكثير من اى شيء اخر وانا لست مستعدا لاموت قبل ان اعيش » .

لكن بالرغم من كل ذلك وبالرغم من وجود النقيض الايجابى المتمثل فى شخصية عدنان الملتزم الواعى .. الذى كان يلمع فى حياة هشام كالامل .. ويطرح نقيضه الايجابى ليواجه مسيرة الدمار التى سار فيها هشام .. اذ قال فى العدد رقم ٤٦ على سبيل المثال :

« الست تريد ان تعود الينا يا هشام بعد كل الذى حدث ؟ الم تشعر بعد بسخف حياتك وفلسفتك وارائك » .

اقول بالرغم من ذلك فان الرواية لم تملك بهاء الفن الروائى وتطوره الذى اخذ يخطه غسان كما فى رواية « رجال فى الشمس » او « ما تبقى لكم » . وكلما كان الزمن يمضي فان غسان كان ينبذ فكرة نشر الرواية ، لانها لا تتفق مع التطور الفنى الذى وصل اليـــه .

الثانى : ان « شبهة » ربط بطل الرواية وتفصيلات حياته من حيث كونه ناضل وسجن وعانى الغربة والحرمان اثناء عمله بالتدريس فى دبى واكتشافه مرض قلبه وعودته محملا بالاسى والصراع مع الزمن والمرض الخ ..

هذه التفصيلات كان يمكن الاستدلال من خلالها على بعض الجوانب من حياة غسان كنفانى نفسه ، من حيث مرض السكر الذى كان يعاني منه وهاجس الموت المبكر الذى انزرع فى واقعه ، ودخوله المبكر معترك النضال واعتقاله وسجنه ثم مجيئه للتدريس فى الكويت ثم عودته الى بيروت .

كل هذه التفصيلات كان يمكن ان يوجد من يربطها ببعضها البعض ثم يخرج بنتيجة تفيد بان الرواية تسجل بعض الجوانب من حياة غسان نفسه . ومما ان البطل كان سلبيا ودخل فى نفق العبث وتحطيم الذات ، لذلك فان غسان المناضل ابى على نفسه نشر الرواية فى كتاب ـ خوفا من شبهة الجمع بينه وبين البطل فى تلك المرحلة ، وخوفا من ان يسجل عليه احد وهو المناضل الملتزم بان حياة بطله العبثية ربما كانت هى نفس حياته هو . وهذا اجتهاد افتراضى كما نوهت سابقا .

لذلك فانه لم ينشر الرواية فى كتاب طيلة ايام حياته الثرة والثرية ابداعا ونضالا .

اما بالنسبة للشق الثانى من السؤال ، فان دار النشر المنوه عنها فى بداية هذا المقال بشرت وتبشر بانها بصدد نشر الرواية فى وقت قريب .

واذا ما اردت تدعيم ما ذهبت اليه فى عدم نشر الرواية بامثلة مشابهة ، فان رواية « من قتل ليلى الحايك » او « الشيء الاخر » البوليسية التى نشرت مسلسلة فى مجلة « الحوادث » اللبنانية سنة ١٩٦٦ لم ينشرها غسان فى كتاب اثناء حياته نتيجة ـ كما ارجح ـ الى العاملين السابقين اللذين نوهت عنهما انفا .

الرواية فى سطور

اما ملخص الرواية فانني انقله كما سجله غسان نفسه اعتبارا من العدد رقم ٤٥ من المجلة وكرره فى الاعداد اللاحقة الثلاثة . وقد جاء فى التلخيص ما يلى :

« هشام شاب ضائع .. يبحث عن نفسه من خلال الشراب والليل .. و « ايفـا » . ويعتبر مدة التدريس التى عاشها فى دبى براسل « ليلى » بحكايات حب جميلة .. قد انتهت بعودته من دبى .. ليعيش كمـــا يريد دون ان يلتقى باخوته العائشين فى نفس المدينة .

وعدنان .. شاب نضالى صديق هشام .. يحاول ان يوضح الحقيقة امام هشام ويبين حقيقة الضياع الذى يعيشه .

ويصر هشام على الزواج من ايفا التى تصده بقوة فهى لا تملك مقومات الحب فيوم وطات اقدام الحلفاء ارض وطنها ، وطاتها اجسام جنود الحلفاء ايضا كما افرغ جندى عددا من الرصاصات فى ظهر شقيقها الصغير امامها .

ثم يطلب هشام من ايفا ان تزوره فى غرفته بالفندق ، ولكن مريم ـ التى تعمل فى نفس الملهى ـ تزوره بدلا منها ، وتصرح له بان ايفا لا تحبه لانها تحب زوجها هي ، وانها ـ مريم ـ كانت تظن ان بامكانه ان يساعدها ، ولكن ظنها فيه قد خاب .

ثم بدا هشام يعود الى نفسه ، بعد ان راى رجلا عجوزا معلقا فى غرفته منتحرا بعد ان صرف عمره على اولاده الذين تنكروا له فى شيخوخته .

كما انه زار ليلى ولكنه وجد ان ما بينهما قد انتهى .

وبدا يفكر بالعودة الى العمل فى التدريس . ثم عاد الى الفندق فاخبره زميله فى الغرفة : « لقد مات الخضرى » .. وناوله ورقة مطوية بها عنوان تاجر يفتش عن كاتب ليعمل عنده . وذهب هشام الى دكان التاجر واتفق معه على ان يبدا بالعمل عنده بعد ثلاثة ايام ، الا انه التقى بصديقه عدنان فى الطريق فطلب منه ان يعود اليهم ويتخلى عن فلسفته وسخف حياته » .

بقي ان اذكر ان الفنان ناجى العلى رسم لكل حلقة من الحلقات الرسوم المعبرة التى تتناسب مع الافكار الواردة فيها .

الانفجار الحضاري في الخليج
كيف نفهمه .. وكيف نواجهه ؟

بقلم : الدكتور حسن الخياط

إن ما طرا على منطقة الخليج العربية فى الثلاثين سنة الاخيرة قد اطاح بكثير من معالمها الحياتية والاجتماعية والاقتصادية والعمرانية ، واحالها شخصية جغرافية متميزة معاصرة . فقد برهن العربى الخليجى ، انه بقدر تمسكه بتقاليد وعادات مجتمعه واصول عقيدته ومعطيات تراثه وتاريخه ، له استعداداته واندفاعاته فى الخروج عليها والانطلاق فى زحمة وحركة التحديث والعصرية ومتطلباتهما الحياتية. فقد تحول الخليجى من ذلك الفرد القروي او البدوى التقليدى الذى كان فى صراع دائم مع بيئته الطبيعية القاسية فى الصحراء والبحر الى عضو فى مجتمع جديد ، مجتمع الخير والرفاه ، مجتمع البترول . فقد اصبح هذا المورد « البترول » هو المصدر لسيولته النقدية وهو الذى مكنه من ان يطل من خلاله على العالم الخارجى بانماطه السلوكية المغايرة وتقنياته المتطورة ومدنه العملاقة ، فبهرته انوار ومؤشرات ووسائل الحياة الحديثة فى ذلك العالم ، فغرف من ايجابياتها وسلبياتها ، ودخل فى صراع من نوع جديد مع ذاته وجذوره ، وزهد بقريته ، وعشق الحياة الحضرية وحواضرها العملاقة ، فاصبح مواطنها ، وفى ذات الوقت ، اسيرها ، وكذلك وسيلتها فى النمو والتضخم .

والحديث عن الانسان الخليجى وطموحه فى بناء صروح الحواضر الشامخة على جبهة الخليج العربى هى المدخل ، ومن ثم المنطلق ، نحو توصيف وتقويم واقع الحضرية والتحضر فى هذه المنطقة . ولكن وقبل الخوض فى التفاصيل ، يجدر التنويه بان « الحضرية والتحضر » هما من المصطلحات التى لم يتفق حول تعريفهما وتفسيرهما راى ، بل ولازال الكثيرون من الباحثين يخلطون بينهما ، مع ان لهذا الخلط ما يبرره احيانا . فالظاهرتان مترابطتان ، وان وجود احداهما « التحضر » شرط اساسى فى وجود الاخرى « الحضرية » . فللحضرية والتحضر مفاهيم تختلف من مجتمع الى مجتمع ، ومن اقليم حضارى الى اخر ، كما ان هذه المفاهيم ليست لها حدود واضحة او تعاريف متفق عليها ، حتى بين افراد الجماعة الحضارية الواحدة . وسوف لن تكون اكثر دقة وموضوعية فى اصدار الاحكام عن تحضر وحضرية المنطقة الخليجية ، مادام الموضوع برمته وعلى كافة المستويات ، الاقليمية والعالمية ، لا يزال مثار جدل بين اكثر الباحثين تخصصا وخبرة .

فالحضرية Urbanism هى للبعض عملية تغير نوعى فى نظرة الناس للحياة وانماط سلوكهم وفى مجموعة التنظيمات التى اوجدوها ومارسوها ، بينما هى حضارة المدن وطريقة حياة سكانها للبعض الاخر . إنها اسلوب متميز للحياة له قيمه الاجتماعية وركائزه الحياتية ، مع ان هذه القيم وتلك الركائز ليست هى ذاتها فى كل مكان . فلكل حضارة او ثقافة قيمتها واصالتها وركائز حياتها وجذورها التاريخية ، ومن ثم فلها انماط حضريتها وتحضرها .

وكما للحضرية تعريفات وتفسيرات ، فإن لظاهرة التحضر Urbanization هى الاخرى تعريفات وتفسيرات . فقد شخص لمبارد Lompard وهو من اكثر المتخصصين عناية وبحثا فى ظواهر التحضر والحضرية تفسيرات عديدة منها التفسير السلوكى والتفسير الاقتصادى ثم التفسير الديموجرافى . غير ان هناك اخرين من الباحثين ، وهم من الثقاة ايضا ، يرون فى ظاهرة التحضر عملية للتركز السكانى فى المدن ، او بكلمة اخرى هى عملية التغير الكمى فى الحجم السكانى فى الدولة او الاقليم نحو نمط واسلوب الحياة الحضرية إن هذه التفسيرات توضح دون شك مدى ما يوجد من العلاقات بين الظاهرتين ، ظاهرة التحضر وظاهرة الحضرية . فكلما ازداد تركز السكان فى المدن او « التحضر » كان الميل اكبر نحو حضرية أعلى ، ولو ان قياس الحضرية هذه من المشاكل المعقدة ، ذلك انها ترتبط بالسلوك ، وان السلوك هذا من الامور النسبية التى تختلف حولها التفسيرات .

هل هناك تلازم تاريخى ومكانى للتحضر والحضرية ؟

ليس فى المنطقة الخليجية ما يتوفر من الدلائل والمؤشرات المكانية والحياتية والشواهد التاريخية ما يكفى لوجود تلازم تاريخى ومكانى بين عمليتى التحضر والحضرية . فالظاهرتان ، وان تطورتا حقا ، الا ان ذلك لم يتم بنسب وبتواتر وبسرعة

متماثلة اطلاقا . فقد كان بين الاثنين فارق زمني واضح هو فى حقيقته انعكاس لما تمت به سرعة وتطور الماديات ومتعلقاتها السكانية والاقتصادية والعمرانية ، وتطور غير الماديات بابعادها الحياتية والاجتماعية والسلوكية . فالماديات فى

الواقع تتطور بخطوات اسرع من تلك التى تتطور بها القيم الاجتماعية والثقافية وأساليب الحياة . وهنا فى الخليج عدد من الشواهد لما نقول : فارقام السكان للمدن الخليجية ، وبخاصة الكبرى منها ، تدلل على ان المنطقة قد مرت فى سنيها الأخيرة ولا زالت بمرحلة من التحضر السريع لم يسبق لها مثيل ، قوميا وعالميا . فقد اضحى سكان المدن يشكلون اكثر من ٩٠ بالمائة من

اجمالى سكان كل من دول الكويت وقطر والبحرين ، و ٨٥ بالمائة من سكان دولة الامارات العربية المتحدة ، واكثر من ٧٠ بالمائةمن سكان الجمهورية العراقية و ٥٠ بالمائة من سكان كل من المملكة العربية السعودية وسلطنة عمان . وتشير التوقعات الى ان معدلات التحضر هذه ستصل فى نهاية القرن الى مستويات فلكية (جدول ـ ١ ـ) . فالتحضر هو حاليا فى ذروة مرحلته الانتقالية ، وان معدلات نموه تتسق مع انتاج البترول وإيراداته وتداعياته الاقتصادية . فالبترول هو ضابط الايقاع فى عملية التحضر الخليجى المعاصر .

والحديث عن التحضر يقود الى التساؤل عما إذا كانت قد حدثت طفرة فى اسلوب الحياة الحضرية فى المنطقة الخليجية مماثلة وموازية لتلك التى مرت بها عملية التحضر . إن كافة الدلائل والمتغيرات تشير الى ان ما حدث فى عملية التحضر لم يتكرر فى عملية الحضرية . ففى الوقت الذى قفزت فيه اعداد سكان المدن الى ارقام فلكية وتضخمت نسب التحضر خلال فترات مناسبة ، لم يطرأ سوى تحول تدريجى بطىء فى القيم الاجتماعية والانماط السلوكية الحضرية . فالحضرية كاسلوب متميز للحياة لم تتبع تحضر المنطقة الخليجية تلقائيا ، وبذات الزخم والتردد ، وإنما هناك فاصل زمنى بينهما يختلف مداه من دولة خليجية الى اخرى .

فقد تقدم التحضر الكمى ، ممثلا بالحجم السكانى والعمران ، اشواطا على الحضرية النوعية ذات الصلة باسلوب الحياة ومعايشة القيم الحضرية .

مصادر التحضر الخليجي :

نعلم يقينا ان تاريخ الاستقرار البشرى فى الخليج العربى يضرب بجذوره فى اعماق التاريخ . ونعلم فى ذات الوقت ان مستوطناته الحضرية لم تكن هى العنصر الاساسى فى تشكيل شخصيته الجغرافية ، رغم ما لعبته من دور فى تاريخه ، فبصمات التاريخ الطويل لمنطقة الخليج العربى لم تترك اثارها واضحة على طبيعة الاستقرار فيه . فليس فى دول الخليج العربية استمرار تاريخى لمستوطنات حضرية فى الفترة التى سبقت تاريخها المعاصر . فالتحضر لم يمثل فى الثلاثينات والأربعينات من هذا القرن باعداد محدودة من السكان يتوزعون فى مستوطنات صغيرة قابعة داخل اسوار وقلاع دفاعية ، ويخضعون داخلها لحياة قبلية يمارسون فيها قيما اجتماعية تقليدية .

ثم تدفق البترول وبعده الاستقلال الوطنى فاحدثا تحولات جذرية واسعة ، اقتصادية واجتماعية وعمرانية . وبدأت خطط طموحة للاعمار والبناء ، وتغيرت انماط الاستهلاك ، وزادت السيولة النقدية فانتعش التحضر ، وزادت معدلات نموه ، وبرزت انماط جديدة له ، فاتجهت نحو المدن الخليجية هجرات من داخل اقطارها ، من البادية والريف والمستوطنات الحضرية الصغيرة ، وهجرات دولية عربية واجنبية فتزايد السكان بوتائر متسارعةوبمعدلات لا تضاهى على المستويات العربية والعالمية ، واخذت المدن تتسع وتنمو بسكانها لتصبح حواضر كبرى ، بينما اختفت قرى وتضاءلت مدن صغيرة ، وبدأت ملامح « الدول ـ المدن » او « المدن ـ الدول » .

إنها عملية تحضر ذات تمويل ضخم ، وتتفق فى مراحلها ، كما وكيفا ، مع القدرة على هذا التمويل . إنها ارتبطت مباشرة او بصورة غير مباشرة بمشاريع التنمية الشاملة ، واصبحت من وسائل هذه التنمية كما أصبحت التنمية من اسبابها . فمعظم مشاريع التنمية هى ذاتها معظم ظواهر التحضر ، وإن ظل لكل منهما تداعياته وسماته ومشاكله الخاصة .

ومع هذه الفورة الحضرية القياسية فى الحجم والمكان والزمان برزت من المؤشرات والخصائص التى بمجموعها تشكل واقع التحضر الخليجي ونموه ومصادر سكانه واحجام حواضره الكبرى . وفى الجداول (١ ، ٢ ، ٣) شواهد كمية لمثل هذه الخصائص وتلك المؤشرات لاربع من دول الخليج العربية . ومن اهم هذه الخصائص :

١ ـ لقد تضاعف السكان الحضر فى الدول الاربع بين ١٩٥٠ و ١٩٨٠ بحوالى ١٥ ضعفا ، وذلك من ١٩٠ الف نسمة عام ١٩٥٠ الى نحو ٢٫٧٥ مليون نسمة عام ١٩٨٠ ، بمعدل نمو سنوى يزيد على ١٧ بالمائة قبل ١٩٦٥ و ١٦ بالمائة بين ١٩٦٥ و ١٩٧٥ وحوالى ١٠ بالمائة بعد ١٩٧٥ (جدول ـ ٢ ـ) .

إن نموا بهذه السرعة قد جعل من المنطقة الخليجية واحدة من مناطق العالم المتفجرة حضريا ، إن لم تكن اكثرها تفجرا خاصة وان العالم قد نما بتحضره بمعدل سنوي هو فى حدود ٤ ـ ٤٫٥ بالمائة ، ونما الوطن العربى بمعدل لا يتجاوز ٤٫٥ ـ ٥٫٥ بالمائة سنويا .

٢ ـ منذ منتصف القرن بدا التوازن السكاني يختل لصالح المدن على حساب الريف والبادية . فقد كان سكان المدن لا يمثلون فى الدول الاربع عام ١٩٥٠ سوى اقل من نصف اجمالي سكانها . وزادت هذه النسبة لتصبح ٦٠ بالمائة فى عام ١٩٦٥ و ٩٠ بالمائة عام ١٩٨٠ ، وستصبح ٩٥ بالمائة فاكثر فى نهاية القرن (جدول ـ ١ ـ) . إن هذا النمو الحضرى الانفجارى هو حصيلة هجرة داخلية واخرى خارجية . فخلال فترة قياسية اصبحت المدن الخليجية الكبرى تضم معظم السكان المواطنين واعدادا كبيرة من الوافدين . ففى خلال سنوات تدفق الوافدون وباعداد متزايدة ومن مختلف القوميات والديانات واللغات والمستويات الاقتصادية والاجتماعية نحو الحواضر الخليجية الرئيسية ، فتغير الشارع بسكانه واصبح غريبا عن حضارته وقوميته ، وطغت فيه السن عديدة وسحنات بشرية من جميع الاجناس . فالوافدون يشكلون ما يقرب من ٨٥ بالمائة من سكان مدينتي ابو ظبي ودبى وحوالى ٦٧ من سكان مدينتى الكويت والدوحة واكثر من ٧٠ بالمائة ـ من سكان الدمام ـ الخبر واكثر من نصف سكان المنامة ـ المحرق ومسقط ـ مطرح (جدول ـ ٣ ـ) . ومما يزيد الصورة تشكيلا وتلوينا ان معظم الوافدين هم من الآسيويين .

إنه شارع غريب حقا فى مدن غريبة فى منطقة عربية اسلامية ذات تراث اصيل

الانفجار الحضاري في الخليج

كيف نفهمه .. وكيف نواجهه؟

وتاريخ عريق ولغة مجيدة .

٣ ـ ومما يلاحظ فى (الجدول ـ ١ ـ) ان معدلات نسب النمو الحضرى كانت للفترة ١٩٦٥ ـ ١٩٨٠ اكثر سرعة مما كانت عليه للفترة ١٩٥٠ ـ ١٩٦٥ ، مع ان انماط النمو ليست متجانسة فى كل دول المنطقة . فسرعة تواتر نسب التحضر فى فترة ما بعد ١٩٦٥ كانت استجابة لما حدث فى المنطقة من تطور سريع فى انجاز الهياكل الارتكازية او البنى الاساسية للتنمية الشاملة ، والى ما احرز من تقدم فى مرحلة التاسيس الادارى والتشريعى ، وإلى ما اخذت به الدول من اسباب العمران والتوسع التجاري والصناعى وتامين المرافق والخدمات الاساسية . ومن الطبيعى ان جميع هذا التطور والنمو ما كان ليحدث لولا تزايد انتاج وايرادات البترول وتسارع نسب نموها ، وبخاصة فى السبعينات من هذا القرن .

جذور الحضرية الخليجية

إذا كانت الحضرية هى عملية تغير نوعي فى نظرة الناس للحياة وانماط سلوكهم ، او هى اسلوب متميز للحياة ، فما جذور هذا التغير النوعي وهذا الاسلوب المتميز فى حياة حواضر الخليج العربية ؟ . إن لهذه الجذور مصادر عديدة . فمنها ما انحدر من قيم الحضارة الاصيلة للمنطقة وتراثها وتاريخها وثقافتها الانسانية ، ومنها طارىء تمتد جذوره فى قيم اجتماعية وثقافية دخيلة ذات مصادر وتاثيرات خارجية ، ومنها ما اختلط بقيم التريف والبداوة الاتية اليها من الريف والبادية . وإن اكثر هذه التاثيرات وضوحاً هى تلك الانماط الحياتية والقيم الاجتماعية والنزعات الاقتصادية التى وفدت الى المنطقة من الشرق والغرب ومن جميع القارات عن طريق الاحتكاك الحضارى وعبر شبكات التوصيل الاعلامية والترفيهية وباسم المصالح المشتركة ، او تلك التى نقلتها الافواج الوافدة من عرب واجانب تاركة بصماتها على مسرح الحياة الخليجية . إن هذه الجذور قد احدثت فى المجتمع الحضري الخليجي التقليدي تغيرات عنيفة فى الشكل والمضمون والسلوك . فتعدد المصادر قد خلقت فى المواطن حالة من القلق والصراع بين ما هو ناشىء عليه من تقاليد وعادات واسلوب حياة ، وما غنّى به من تراث وتاريخ وامجاد ومكرمات ، وبين وسائل واساليب الحياة الحضرية الحديثة التى نقلت اليه فبهرته باضوائها وبمنطلقاتها التحررية واجتذبته وسائلها المادية والتقنية . انه صراع غير عادل بين قيم التقليد والمحافظة التى شب عليها من جهة وقيم المعاصرة والتحديث من جهة اخرى . فبعضها يذكر بالماضى واصالته ، وآخر يهمس بالحاضر بما فيه من ايجابيات وسلبيات .

انماط الحضرية الخليجية

وللحضرية الخليطة انعكاساتها على الحواضر الخليجية . فقد اصبحت دواخل هذه الحواضر بعيدة عن الانسجام والتناغم ، وهو امر طبيعى فى بيئات حضرية ذات شرائح سكانية من جذور متنوعة . ففى هذه الحواضر انماط حضرية عديدة نقتصر منها على ١ ـ النمط الحضري ـ الريفي والبدوي ، ٢ ـ النمط الحضري التقليدي ، ٣ ـ النمط الحضري الحديث .

فالنمط الحضرى ـ الريفي والبدوي هو من مخلفات النزوح السكاني الداخلي من الريف والبادية ، او من الانتقال من ارياف دول خارجية الى مدن دول الخليج العربية تحت جاذبية الاجور وطرد البيئات القاسية والاوضاع الاقتصادية الصعبة . وبهذا دخلت هذه الافواج النازحة فى الكم الحضري ، ولكنها فى حقيقة امرها ليست جزءاً من الحضرية . فافرادها يعيشون جسديا فى المدينة ، ولكنهم روحيا يعيشون فى الريف والبادية . إنهم الاضافة الكمية التى لم تتخذ من محتوى الحضرية الحديثة ، عدا بعض جوانبها الشكلية والمادية ، نمطا حياتيا لها ، ولم تقدم شيئا لتحديث المجتمع وتطوير نمطه الحياتى الحضري . إنهم الريفيون والبدو الحضر فى مجتمع المدينة الخليجية ، هذا وإن نسبة كبيرة منهم تتجمع بشكل مجموعات قبلية واقليمية ومذهبية تخضع لتقاليد واعراف وانماط سلوك وطرز حياة معينة تستمد جذورها من انتماءاتها الاصلية . ومع ان هؤلاء قد تاثروا تدريجيا ببعض الجوانب المادية والقيم الجديدة نتيجة للاحتكاك بغيرهم من الحضريين ، الا ان مردودات التغير ، وإن بدت ايجابية احيانا فانها لم توفق فى إخفاء ما يجرى تحت السطح من تناقضات ، خاصة وان مثل هذا التغير كان سريعا جدا وخلال جيل واحد. هذا وان وجود هؤلاء فى المجتمع الحضري لا يقتصر على كونهم عناصر استقبال لموجات التغير الحضري عليهم ، بل كانوا ايضا عناصر نقل لاسلوب حياتهم ومشاكلهم الى الحواضر الكبيرة . فقد شاعت فى هذه الحواضر انماط من السلوك الريفى والبدوي ، المحلى او العالمى ، ليس لها تفسير سوى انها مخلفات فترة ماضية لم يتقدم بها العمر لتتحول الى سلوك حضري بالمفهوم المعاصر .

وينتمي الى النمط الحضري الثاني ، وهو النمط التقليدي ، جميع السكان الاصليين للمدن الخليجية واولئك الوافدين اليها من اصول حضرية خارجية . وينحدر هؤلاء من قوميات ومذاهب وبلدان مختلفة تجمعهم جميعا خاصية واحدة هى انهم نشاوا وترعرعوا فى احضان المدن ، وبخاصة المدن التى لم يتهيا لها ان تاخذ بنمط الحياة الحضرية المعاصرة . فقد بقوا حضريين تقليديين فى اسلوب حياتهم وانماط سلوكهم . ويقوم هؤلاء فى العادة بنشاطات اقتصادية وخدمية ووظيفية مشكلين بذلك العمود الفقري لحياة المدينة الوظيفية ، ولكنهم ليسوا اصحاب دور مباشر فى عملية التحديث الحضري .

اما الحضريون المحدثون فى حواضر الخليج فيشكلون نمطا حياتيا حضريا متميزا . فهم من بين اولئك الذين يعملون لقاء دخول مناسبة فى القطاع الوظيفي والاقتصادى الحديث . كما انهم متعلمون ويعيشون اسلوب حياة لا يختلفون فيه عن اسلوب حياة اقرانهم فى اية منطقة متقدمة من العالم . ويرى الدكتور سعد الدين ابراهيم بانهم يتميزون بالعالمية والعقلانية والنظام والقابلية لتلقي الجديد والنظرة العلمية . الا ان كونهم (محدثين) لا يعني انعدام الضغط عليهم لكي يصبحوا (انغلاقيين) فى مسائل القرابة والسلالة والاقليمية الضيقة . فبينهم تنتشر صراعات القيم والاساليب المختلفة لعمليات التكيف بين هذه الجماعة . إن هؤلاء لا يمثلون من سكان الحواضر الخليجية سوى نسبة محدودة من سكانها ، وإن معظم هذه النسبة هى من جذور وافدة عربية واجنبية .

هذا هو الخليج ، وهذه انماط تحضره وحضريته . هو ملتقى التشكيلات السكانية العالمية من الشرق والغرب ومن مواطنها العربية ، ومن ثم فهو ملتقى القيم الاجتماعية والعديد من الانماط السلوكية والحياتية . فنما تحضره بخطوات لم تسبقها شواهد ، وظهرت حضريته متناقضة بين الاصالة النابعة من مجتمعه التقليدي وعراقة تراثه وتاريخه ، وبين الدخيل من حضارات امم اخرى . فحدث الاحتكاك والصراع بين مختلف القيم والممارسات والسلوك الاجتماعي والاقتصادي . فدخل الخليج فى مرحلة جديدة هى مـــرحلة انتقالية ، وانها فى غاية الاهمية ، وفى ذات الوقت معقدة ومتشابكة وغير محدودة المعالم . والمرجح ان هذه المرحلة ستستمر طالما ظل البترول وتداعياته الاقتصادية يحرك عملية التحضر ، وان اجتيازها سيكون صعبا قبل ان تتغير اساسيات الهيكل الاقتصادي نحو تحقيق درجة اكبر من تنويع مصادر الدخل فى دول الخليج العربية .

حسن الخياط ـ جامعة قطر

جدول ـ ١ ـ

نسب السكان الحضر فى الكويت، وقطر والبحرين والامارات العربيـة المتحدة للفترة ١٩٥٠ ـ ٢٠٠٠

الدولة	١٩٥٠		١٩٦٥		١٩٧٥		١٩٨٠		٢٠٠٠	
	حجم السكان (مليون)	٪ الحضر	حجم السكان (مليون)	٪ الحضر	حجم السكان (مليون)	٪ الحضر	حجم السكان (مليون)	٪ الحضر	حجم السكان (مليون)	٪ الحضر
الكويت	٢ر٠	٥١	٥٢ر٠	٦٢	٩٣ر٠	٩٠	٣٦ر١	٩٥	٧ر٣	٩٨
قطر	٠٢ر٠	٥٠	٠٧ر٠	٦٧	١٣ر٠	٧٧	٢٦ر٠	٩٠	٥ر٠	٩٥
البحرين	١ر٠	٧١	١٦ر٠	٧٤	٢٢ر٠	٧٩	٣٦ر٠	٩٠	٦ر٠	٩٥
الامارات العربية	٠٨٥ر٠	٢٥	١٧ر٠	٥١	٢٢ر٠	٦٤	٠٤ر١	٨٥	٠ر٣	٩٥

جدول ـ ٢ ـ

نسب التحضر والنمو الحضري لدول الكويت وقطر
والبحرين والامـارات العربية المتحدة ١٩٥٠ ـ ١٩٨٠

السنة	اجمالي السكان (بالالف)	معدل النمو السـكاني	اجمالي السكان الحضر (بالاف)	٪ الحضر من اجمالي السكان	٪ النمو الحضري
١٩٥٠	٣٩٥	—	١٩٠	٤٥	—
١٩٦٥	٨٦٠	٨ر١١	٦٩٣	٨٠	٥ر١٧
١٩٧٥	٠٩٠ر٢	٣ر١٤	٨٤٨ر١	٨٨	٣ر١٦
١٩٨٠	٣،٠١٨	٩ر٨	٧٥٠ر٢	٩١	٨ر٩

جدول ـ ٣ ـ

بعض المدن الخليجية الكبرى ونسب سكانها وجنسياتهم ١٩٨٠

المدينة	الدولة / المنطقة / المحافظة	السـكان			جنسيـات السكان		
		سكان الدولة او المنطقة (بالالف)	سكان المدينة (بالالف)	٪ سكان المدينة	مواطنون (بالالف)	وافدون (بالالف)	٪ الوافدين
الكويت الكبرى	دولة الكويت	٣٥٦ر١	٢٠٠ر١	٥ر٨٨	٤٠٠	٨٠٠	٦٧
الدوحة الكبرى	دولة قطر	٢٦٠	٢١٠	٨١	٦٣	١٤٧	٧٠
المنامة ـ المحرق	دولة البحرين	٣٦٠	٢٧٥	٧٤	١١٠	١٦٥	٦٠
ابو ظبى الكبرى	امارة ابو ظبي	٤٥٠	٣٣٠	٧٣	٦٦	٢٦٤	٨٥
دبي الكبرى	امارة دبي	٢٧٨	٢٦٠	٩٥	٤٠	٢٢٠	٨٥
مسقط ـ مطرح	سلطنة عمان	٠٠٠ر١	٣٠٠	٣٠	١٣٥	١٦٥	٥٥
الدمام ـ الخبر	المنطقة الشرقية السعودية	١٠٠ر١	٢٥٠	٢٤	٦٥	١٨٥	٧٤
البصرة الكبرى	محافظة البصرة	٠٠٠ر١	٦٠٠	٦٠	٥٠٠	١٠٠	١٧

محنــــة اللغــــة العربيــــة

انتهى الاحتلال العسكري فمتى ينتهي الاحتلال اللغوي؟

بقلم : فتحي رضوان

احتفل مجمع اللغة العربية فى القاهرة بعيده الخمسين ، وذهب رئيسه واعضاؤه الى قصر رياسة الجمهورية ليقابلوا رئيس الجمهورية ، ونشر نبا هذه الزيارة فى الصحف كلها ، ولكن اذا سالت المثقفين العرب ابتداء من طلاب المدارس الابتدائية ، وانتهاء ممن اتموا تعليمهم فى كليات الجامعات ، عن المجمع ورئيسه واعضائه ، واختصاصاته ، ووظائفه ، ولماذا انشيء ، وماذا فعل ، لما استطاع ان يجيبك اكثر هؤلاء بشي ذى قيمة عن هذا السؤال .

وليس فى هذا ما يعيب المجلس ، او يدل على تقصيره فى اداء رسالته . فالمجامع العلمية والادبية ، فى كل قطر ووطن ، تعيش فى الظل ، ولا يسمع عنها عامة الناس ، الا اقل القليل . ولو حرصت على الشهرة ، وذيوع الصيت ، واكثرت الاعلان عن اعمالها ، لما تغير الحال الا قليلا ، فنشاط هذه المجامع لا يشغل الناس ، ولا يثير اهتمامهم .

ولكن اذا نحيت جانبا شهرة المجمع ، واهتمام الناس به ، وتتبعهم لابنائه ، وتعقبهم لاعضائه ، بقى ان نعرف ماذا فعل هذا المجمع خلال خمسين عاما متصلة هل برئت اللغة العربية ـ بفضل هذا المجمع ـ من بعض عيوبها ، هل استحالت الى لغة يتكلمها عامة الناس ، وقد عرفوا صحيحها من سقيمها ، ووقفوا على بعض قواعدها ، فاستقامت السنتهم ، واقبلوا على كتب اللغة يقراونها . أم ان سعى المجمع كان فى نطاق ضيق ، يضع القواعد لاسانيد اللغة ، وييسر فهمها للتلاميذ ، ويقربها منهم ، ويجذبهم اليها ، ويجد فى ذلك عناء جما ، وعنتا شديدا ، لامور عديدة اقامت الفواصل والحواجز بين العربية والناطقين بها .

والجواب اذا اردنا الحق ، ان البعد بين العربية وابناء العربية لا يزال كبيرا ، بل اننا اذا اردنا الصدق ، فاللغة العربية باتت لغة اجنبية تتعلمها الاجيال الجديدة كما تتعلم الانجليزية او الفرنسية ، فتقرا بعد حين كتبا بهذه اللغات الاجنبية ، وقصصا وبحوثا ، فتعجب بها وتتذوقها ، وتنفر من اكثر ما يكتب بالعربية ، ولا سيما اذا كان هذا المكتوب قد كتب فى زمن قديم نوعا ، انقضى عليه قرن او قرنان .. اما اذا كان اقدم من ذلك عهدا فقراءة النصوص عسيرة غاية العسر وشاقة غاية المشقة .

غربة العربية

فما الذى اوصل العربية وابناء العربية الى هذا الحد ؟ وما الذى اصّلَ غربة العربية بين الناطقين بها ، واصّلَ غربة الناطقين بالعربية ، وهم يقراونهـــا ويسمعونها فى قصيدة او خطبة او محاضرة ؟

اننا اذا اردنا ان نحصى الاسباب التى حاصرت اللغة العربية فى نطاق ضيق من حياة العرب ، وجعلت التكلم بها ، فضلا عن الكتابة والخطابة والحديث الادبى والعلمى شاقا ، لكانت اجمالا :

اولا ـ قيام لغة عامية الى جانب اللغة العربية الفصحى ، وقد اصبحت العامية هى لغة الحياة اليومية ، يتكلم بها العامة الذين قل نصيبهم من التعليم والثقافة ، كما يتكلم بها فى شؤون واغراض تلك الحياة اعلى المثقفين كعبا فى كل ما يتصل باغراض معايشهم . فشيوخ الازهر ، واساتذة الجامعات ، وكتاب الصحف ، والادباء ، والعلماء ، يتكلمون باللغة العامية ، حتى اذا انهمكوا فى حديث علمى او مناقشة ادبية او دينية . وهم اذا ارادوا ان يقتربوا من العامة ، وييسروا لهم فهم ما يقولون ، ترجموا كلامهم من العربية الفصحى الى العامية .

وقد وجد للعامية شعراء وادباء ابدعوا نصوصا بالعامية ، تعتبر من عيون الادب ، على الرغم من عاميتها ـ ففيها الكثير من الحكم ، ونظرات فى الحياة عميقة ، ولمحات رائعة تكاد تصل الى مستوى اللغة العربية فى اعلى مراتبها الفصحى .

وتزداد العامية على مر الايام ثراء وغنى ومرونة وليونة ، حتى لتصبح ـ على لسان اهل الفن والذوق ، اجمل بكثير من نصوص اللغة العربية السليمة فى تراكيب الصرف والنحو .

اما السبب الثانى فهو وجود طبقات نفوذ وسلطة يهمهم تغليب العامية على العربية ، واغراء الناس بالكلام بالعامية ، فقد كان الحكام فى البلاد العربية لمدى بضعة قرون ، منها خمسة قرون سلخها الحكم العثمانى من سنة ١٥١٧ الى سنة ١٩١٨ ميلادية . كان هؤلاء الحكام اجانب ، وكانت لغتهم غير العربية ، فضاقوا بالعربية ، وشجعوا الناس على التخاطب

بالتركية ، ولم يهمهم فى قليل او كثير ان يتعلم ابناء العربية لغة ابائهم واجدادهم ، واصطنعت الحكومات اللغة التركية لغة رسمية للقرارات والمراسيم ، ولما بدأت فترة التنوير الادبية فى عهد محمد علي ، واصدر رفاعة الطهطاوى جريدة رسمية ، قسـم صفحاتها الى قسمين : قسم على اليمين بالتركية دلالة على سبق التركية او تقدمها وقسم على اليسار بالعربية ، وقد بقيت لغة التخاطب والتوثيق والعقود والمراسيم والقرارات تركية او محشوة بالتركية ، وعاشت اكثر هذه الالفاظ التركية التى كانت مستعملة فى دواوين الحكومة ، ومصطلحات الصناعة والتجارة ـ وحتى الزراعة ـ متداولة فى اللغة العربية التى حلت تدريجيا محل التركية . فالروزنامة والديوان واسماء الوظائف العسكرية كالاميرالاى والقائمقام والبكبـــاشى واليوزباشى ، وبقية الاماكن والوظائف والموظفين كالدفترخانة . والسلخانة والشفخانة والسركى ، واسماء الاقارب نحو (زينه) اى امى ، و (ابله) اى اختى ، الخ .

كان ذلك احتلالا لغويا ، الفه الشعب واحبه ، جريا على القاعدة التى قررها ابن خلدون فى مقدمته العظيمة من ان المحكومين مطبوعون على تقليد الحاكمين ، وقد كان صغار الناس ، وصغار الحكام ، يتقربون من كبار القوم ولغتهم جميعا التركية ـ حتى ولو لم يكونوا منحدرين من اصل تركى ـ بتعلم التركية والتكلم بها ، ونسيان العربيـــــة والتبرؤ من النطق بالفاظها .

ثم جاء حكام جدد ، فوجدوا طريق الاستعمار اللغوى ممهداً ، فاصبحت لغة الكلام اليومية مليئة بالالفاظ الاجنبيـــة ، ولاتزال هذه الالفاظ موجودة (كالبلوفر) و (الجاكيت) و (الرانديفو) الى اخر هذه القائمة المعروفة .

تعليم كله قشور

السبب الثالث ـ هو ان العربية هى لغة القران الكريم ، وكان المفروض انها لهذا السبب تكون لغة تتداولها الألسن ، وتتقن قواعدها ، بطريقة تلقائية او ايحائية ، وهى تسمع القران الكريم وتحفظه وترتله وتجوده . ولكن العكس هو الذى حدث . فلان الاستعمار الغربى كان استعمارياً مسيحيا ، فقد ادرك خطر بقاء اللغة العربية نقية ، ومتداولة ، فاتفق الاستعمار فى كل مكان سواء كان بريطانيا او فرنسيا ، او هولنديا او اسبانيا او برتغاليا او بلجيكيا ، على عزل اهل المستعمرات من المسلمين غير العرب عن لغتهم ، وابعادهم عنها : اما المسلمون العرب ، فقد جعلوا التعليم الدينى وسيلة الى البعد عن العربية والجهل بها ، والضيق بقواعدها ، والسخرية منها ، فاقتصر الدرس الدينى على حصة واحدة فى الاسبوع ، ووضعت فى ذيل اليوم المدرسى ، بعد ان يكون التلميذ قد انهك فى الدرس ، واصـبح ما يسمعه من الوعظ الدينى ، او من تلاوة القران الكريم لا يزيد عن بضع دقائق فى سماع وتسميع القران .

وسقط التعليم كله ، بما فيه تعليم اللغة العربية ـ فى يد الانجليز ، وكان بعضهم مجرد ضباط فى الجيش البريطانى فى المستعمرات ، فجعل التعليم كله قشوراً لا تصل التلميذ العربى بالعلوم والآداب ، وجعلوا تعليم اللغة العربية حشوا لعقل التلميذ بقواعد اللغة العربية واعرابها بدون ان تقوم اية محاولة لتذوق التلميذ الأدب العربى العذب الجميل ، وتبصير الاولاد الصغار بجمال الشعر والنثر العربى . فشرح الشعر والنثر ، اى النصوص ، هو شرح لمعانى الالفاظ مفككة متحللة ، دون الاشارة الى مواضع الحسن فى النص ، وبيان ما هو الحسن ، وما هو الوصف الجميل ، وما هو الخيال الرائع وما هو الفرق بين شعر وشعر ، وشاعر وشاعر .

ولو كان هناك تركيز بالاضافة الى ذلك على حياة الشعراء العرب ، وجهادهم فى سبيل امتهم ، او فى سـبيل قبيلتهم ، وماطبعوا عليه من شجاعة ، وما عرفوا به من فصاحة ، وجهاد بعضهم فى سبيل الدين ، وما لا قوه من عناء وعنت ، لاثار كل ذلك شوق التلاميذ الى جوانب حياة هؤلاء الشعراء والادباء .

ولما قامت الحركات الوطنية ، واشتد نضال الأمة العربية ، وفاضت ادابها بنصوص النضال والمقاومة والاستشهاد ، زاد الحصار حول اللغة العربية ، وزاد اقصاء تلاميذ هذه اللغة فى المدارس الابتدائية والثانوية عن تذوق عناصر الجمال ولطف التعبير وبساطة الالفاظ . فقد اصبحت اللغة العربية التى هى لغة القران الكريم عدو الاستعمار الاول ، فوضعت العقبات ، وارتفعت السدود بين الصبى العربى وروح لغته .

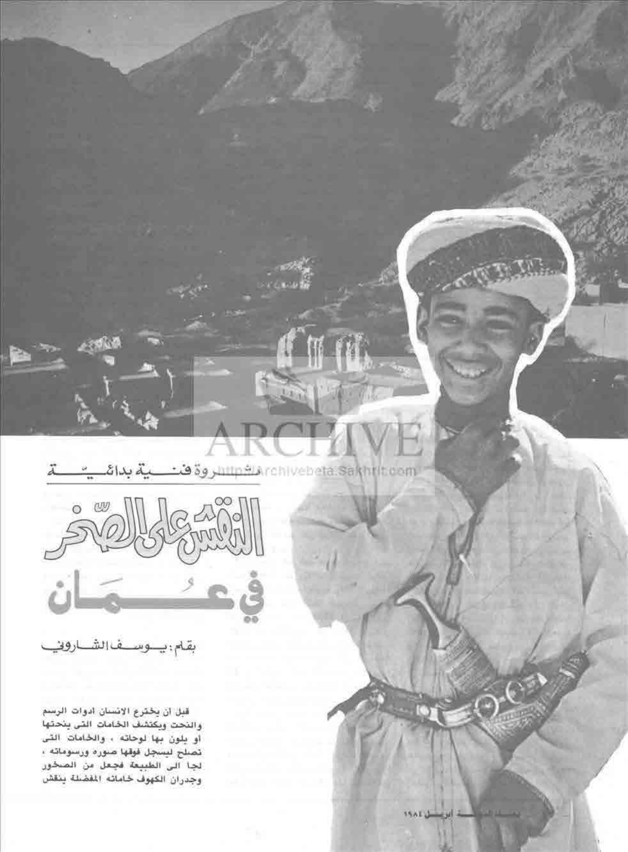
ولما اتصل العرب بالآداب الغربية ، وترجمت بعض النصوص الغربية من قصص قصيرة ، وروايات طويلة ، وفصول قصصية ونصوص نقدية ، ازداد الشباب العربى اعجابا بالآداب الغربية ، وانحيازاً لها واحتقاراً للغة العربية ، وما انتجته من مقامات ، وفصول تفيض بالثرثرة والسطحية والفجاجة ، واصبح داب الادباء الذين قراوا شكسبير وديكنز وفولتير وتولستوى ودستيفسكى ، لا دعوة الكتاب العرب ، وقراء العربية ، الى تذوق الاداب الغربية ، والاهتداء الى مواطن بلاغتها وفصاحتها وجمال تعبيرها ، واستظهارها لمكنونات النفس ، واسرار القلب ، بل اندفع هؤلاء الى السخرية باللغة العربية وضحالة الآثار التى ينتجها الكاتب والشاعر والاديب العربى ، الى حد ان هؤلاء جميعا اصبحوا لا يحترمون ما خلفه اباؤهم واجدادهم ، ولا ما ينتجه كتاب وشـعراء ونقـاد من ابناء العصر العربى الحـاضر .

قوة اللغة من قوة أهلها

على ان هناك سببا ضخما يتقدم كل هذه الاسباب وان كان لا يلغيها ، ذلك هو ان اللغة ـ لغة أى قوم ـ هى فى المكان الذى تبلغه القوة العسكرية عند هؤلاء القوم . فاذا سادت دولة ما ، واظلت الدنيا او قدراً كبيرا من الدنيا بعلمها ، سارت لغتها فى اعقاب جيوشها ، فحيثما وصلت جيوشها انتشرت لغتها .

فالانجليز تفوقت لغتهم على لغـــة الفرنسيين حينما اصبحت الامبراطورية ملكا باذخا لا تغيب عنه الشمس ، بعد ان كانت لغة الفرنسيين هى لغة اوربا ، يتكلم بها الملوك فى بلاطهم ، ويتكلم بها معهم افراد بطانتهم واعضاء حاشيتهم . فقد كان امبراطور بروسيا يتكلم الفرنسية ، ويباهى بانه يتكلم بها عندما كان الملك لويس الرابع عشر هو اقوى ملوك اوروبا ، وبلاطه هو ازهى بلاط ، واحفله بالساسة والعلماء والشعراء . فلما دالت دولة الفرنسيين بعد هزيمة نابليون على يد (نلسون) فى البحر ووليم بث فى السياسة ، اصبحت اللغة الانجليزية هى لغة الحضارة والعلوم والملوك والساسة والطيران والبحرية والتجارة ، وعلا نجم شاعر الانجليز (شكسبير) ، ودرس الناس مسرحياته واعجبوا بها .

ولا تنتظرن ان تسود لغة قوم ذلوا وهلك سلطانهم . وعندما يعود السلطان الى العرب بفضل ثروتهم وموقع بلادهم الفذ ، وتاريخ وطنهم الباهر ، ستجد اللغة العربية على كل لسان ، ولن يخجل العربى من التكلم بها ، وسيجد فيها مئات من المزايا الباهرة والخصائص النادرة .



ثروة فنية بدائية

النقش على الصخر في عمان

بقلم : يوسف الشاروني

قبل ان يخترع الانسان ادوات الرسم والنحت ويكتشف الخامات التى ينحتها أو يلون بها لوحاته ، والخامات التى تصلح ليسجل فوقها صوره ورسوماته ، لجا الى الطبيعة فجعل من الصخور وجدران الكهوف خاماته المفضلة بنقش

عليهاما يريد أن يسجله من مظاهر الحياة حوله او يخشاه اويرجوه . ولا نعرف حتى الآن إذا كانت هذه النقوش والصور جزءاً من طقوس دينية حيث نبعت من الدين فى ذلك الوقت المبكر للبشرية جميع الفنون كالموسيقى والعمارة والفنون التشكيلية والبدايات المسرحية .. الخ ، ام انها دلالة على طبيعة الانسان التى لا تحيا بدون فن يميزه عن الحيوان ، واقصد بالفن إبداع عالم مختلف عن الواقع العملى والفكر المحض وان كان من تلاقيهما معا ، وذلك بهدف تلبية حاجات معينة فى طبيعــة الانسان .

وقد تحمس الباحث السويسرى رودى جاكلى لموضوع النقش على الصخور فى عمان ، فانفق ست سنوات ونصف السنة ما بين عامى ١٩٧٠ و ١٩٧٧ بحثا عن هذه النقوش وتسجيلها ، ثم نشر خلاصة بحثه فى كتيب عام ١٩٨٠ مع صور لبعض هذه النقوش بلغ مجموعها ٢٢٠ صورة التقطها الباحث كلها بنفسه ما عدا صورتين منها . وقد ذكر فى مقدمة كتابه ما عاناه من مشقة فى بحثه عن النقوش إذ كان يتطلب ذلك منه السير عدة ساعات فى حرارة شمس قائظة ومعه جرادل المياه ، فهو يستخدم الطباشير لتظهر النقوش الباهتة واضحة عند تصويرها ، ثم يزيلها بالماء لتعود إلى حالتها الطبيعية .

نقوش الجبل الاخضر

وقد كان الجبل الاخضر الذى يقــع شمال عمان المنطقة التى وقع عليهـــا اختياره لبحثه . وتتميز تلك المنطقــة بميزتين جعلتا شمال عمان اكثف مناطقها سكانا : اولاهما وجود زراعة على جانبيه (الباطنة شرق الجبل بينه وبين ساحل عمان ، والظاهرة غربا) وذلك بسبب الوديان التى يكونها هطول الامطار عليه ، وثانيهما وجود المعادن وفى مقدمتها النحاس الذى اكتشفه الانسان منذ الالف الثالثة قبل الميلاد وكانت الحضـــارة السومرية فى بلاد ما بين النهرين تستمد نحاسها منه فى ذلك الوقت .

والجبل الاخضر معظمه من صخور الحجر الجيرى الملساء السطح بسبب سقوط الامطار وتدفق الميـــاه مما يغرى بالنقش عليها ، فالخامة توحى بطريقة التعامل معها .. كما ان هناك بعض التكوينات الكربونية ، وبعض الاشكال التى على هذه التكوينات عبارة عن رسوم بارزة موجودة ذات عمق يتراوح ما بين بضعة ملليمترات وسنتيمترين . وكثير من الاشكال موجود على اسطح ملساء تكون حدود الوديان ولهذا فان اسفلهـــا – كالاقدام – متاكل فى العادة ، وقد يصل التاكل إلى طمسها تماما ، بينما الاجزاء التى تقع على ارتفاع يتراوح بين خمسة وعشرة امتار فوق ارض الوادى لم تستطع السيول المستمرة ان تمسها باية اضرار ملحوظة . والنقوش الباهتة – ربمـــا لقدمها – تتعذر رؤيتها بسهولة ، كما يتعذر تصويرها إلا بوضع الطباشير عليها ، وكذلك الامر فيما يتصل بالنقوش على الصخور الكربونية القاتمة .

وقد لوحظ ان هذه النقوش تكون على اللوحات الصخرية فى الاماكن البارزة من الوديان الكبيرة التى تستخدم اماكن عبور مثل وادى عدى الذى يقع بين روى وسيح حطاط ، ووادى بنى خروص فوق العوابى مباشرة ، او وادى السحتن . فهذه وديان تربط خارج عمان بوديان داخلية ماهولة نسبيا بالسكان او احواض واقعة بين الجبال . وقد يتصادف وجود هذه اللوحات الكبيرة فى هذه الوديان مع مواقع المعسكرات او ينابيع المياه .

وهناك مجموعة اخرى من نقوش الصخور تفسير توزيعها اكثر صعوبة ، كتلك التى فى وادى رجمى ووادى بنى رواحه ، فهذه وديان صغيرة لا تغطى الا إلى مراع للماعز على مرتفعات شاهقة شديدة الانحدار ، وإلى مياه فلج من الافلاج (نوع من قنوات الرى تسرى بين منبعها فى الجبال حيث تتجمع مياه الامطار حتى تنتهى إلى سهل ترويه ، وعـــادة ما تكون اجزاء منها قـــد حفرها الانســـان ثم غطاها لتمـــر المياه فى باطن الارض ثم تعود اجزاء اخرى منها كقنوات مفتوحة) تؤدى عادة إلى قرى وحدائق منتشرة على شكل مراوح غرينيه ، وفن النقش على الصخر فى مكان مثل صخرة كولمان فى التلال التى تقع عبر وادى بهلا فريد فى تنوعـــه وثروتـــه . فالاشخاص الذين رسموا هذه الصـــور لابد انهم قصدوا مثل هذا المكان لاسباب لا نستطيع فهمهاجيدا إلا اذا فهمنا الفن نفسه .

الأشكال الانسانية

وهذه الملاحظات لا تنطبق على كل النقوش الصخرية فهناك حالات اقل شانا كتلك اللوحات الصغيرة التى يمكن العثور عليها فى اماكن كثيرة غير مطروقة نجد عليها نقوشا مثل الناس والحيوانات العصرية ونقوش الخط العربى . ويمكن تقسيم هذه الاشكال إلى مجموعات من ابرزها الاشكال الانسانية والاشــكال الحيوانية واشياء تتعلق بالانســـان كالاسلحة والملابس ثم هناك مجموعات السفن والكئوس والثقوب واخيرا الكتابة بالاضافة الى مـــا يبدو انه اشكال عبثية .

اما الاشكال الانسانية فمن اكثرها لفتا للانتباه تلك الاشكال ذات الخصر النحيل حيث يمكن تلقيبها بالاشـــكال ذات الهرمين : هرم سفلى معتدل وهرم علوى مقلوب يلتقيان عند الخصر النحيل . واذرع معظم هذه الاشكال مرفوعة رغم وجود بعض الاستثناءات . ويمكن ان تكون الرؤس مستديرة او مسطحة من اعلاها او مستطيلة كرؤوس الطير . وفى بعض الحالات القليلة فان الاشكال الانسانية تقبض بوضوح على شىء ما فى ايديها . وهناك مجموعة كبيرة من الاشياء المرسومة المتصلة بوسط هذه الاشكال ، بعضها يبدو كما لو كان سيوفا او خناجر ، بينما بعضها الاخر يمثل غمدا .

وهناك اشكال تجمع بين فاس الحرب وشجرة النخيل والانسان . وكان الفنان او الفنانين الذين نقشوها يبحثون عن الخلاصة المشتركة بين هذه الاشكال الثلاثة اشارة الى ارتباطها ببعض فى الحياة . وهى هنا خطان احدهما راس مستقيم يمثل ساق النخيل او يد الفاس او جذع الانسان ، والاخر افقى عليه بانحناء قليل يمثل سعف النخيل او سلاح الفاس او ذراعى الانسان . وهذه الاشكال موجودة بكثرة فى نفس المكان الذى فيه الاشكال العصرية للانسان خصوصا فى وادى عدى .

وهذه الاشكال تجرنا إلى الحديث عن رسم اشياء تتعلق بالانسان منها الاسلحة القديمة فبالاضافة إلى فئوس الحرب هناك الرماح والدروع الكبيرة وفرسان بحرابهم واقواس واسهم وصولجانات وسيوف ودروع صغيرة ، والدروع الصغيرة غالبا من نفس طراز الدروع التى لا تزال تستعمل فى حفلات اللعب بالسيف المصنوعة من جلد وحيد القرن . وبعض الخناجر جديدة نســـبيا .

وهناك كذلك تنويعة من الاثواب مثـل المازر واغطية الراس والخوذات ، وهى تساهم فى معرفة تاريخ النقش على الصخر وتحديد مصـــادر التاثير .

الأشكال الحيوانية

اما المجموعات التى تمثل الحيوان فتشمل الثيران والقطط والثعـــابين



والنسانيس والدواجن والافيال والمها ، ويحتل الوعل (وقريبه الطهر) مكانة خاصة بسبب نقش صورهما بطريقة متكررة ومتميزة . وبوجه عام تحتل صور الحيوان مكانا بارزا فى النقش على الصخر فى عمان ، ولعل اكثرها تكرارا حيوانات الركوب كالجمل ، واهم منه الحصان الذى يصورونه ممتلىء الجسم وارجله مكسوة بالشعر الخشن ، ويكون اكبر بكثير من راكبه مما يعطى انطباعا ان الراكب اقل اهمية . اما الجمل فطوله مبالغ فيه برقبته الرشيقة وراكبه فى وضعه التقليدى خلف السنام . بالاضافة الى هذه الحيوانات المعروفة هناك بعض الاشكال تمثل حيوانات من نتاج الخيال .

وهناك مجموعات السفن ذات الصوارى وذات الاشرعة وذات المداخن ، السفن الواقعية التفاصيل والسفن شبه التجريدية . فعلى مدى قرون كثيرة سافر البحارة العمانيون فيما بين الهند وافريقيا الشرقية . ولابد ان ما اكتسبوه من خبرة فى هذه الرحلات كان له اثره الساحر على الكبار والشباب ، وعلى سكان الصحراء والجبال ، وعلى البحارة انفسهم .

وهناك حفر صغيرة تشبه الكئوس ، اتساعها عدة سنتيمترات وعمقها يتراوح بين بضعة ملليمترات وسنتيمترين ، وتكون احيانا متصلة باخاديد او قنوات على اسطح صخور مسطحة او مائلة قليلا وهى شائعة فى عمان شيوعها فى اوربا ، ويتراوح عمرها ما بين العصر الحجرى الحديث إلى العصر البرونزى ، وهى توجد فى عدة اماكن فى عمان ، منها وادى بنى خروص على لوحة كبيرة بالقرب من جامع صغير ، وفى وادى السحتن عند احد الينابيع الحارة ، وفى وادى العين بالقرب من امل ، وجبل الغول ووادى ريام تحت الممر الضيق وهناك بعض السمات التى تميز هذا النوع من العلامات فى عمان : فبعض الكئوس مخروطية قليلا وذات ثقوب اسطوانية وجدران ملساء



اصطياد الوعول بالشباك

كانما خرطتها مخرطة قطرها يتراوح ما بين عشرين وخمسة وعشرين سنتيمترا وعمقها يتراوح ما بين عشرين إلى ثلاثين سنتيمترا ، وفى وادى السوى كاس قطرها خمسون سنتيمترا وعمقها سبعون . وهذه الكئوس إما فى مجموعات وإما منفردة .

وهناك نوع مختلف تماما من الحفر او العلامات على الحجر بعضها حديث وهو عبارة عن اثر حجارة القيت باليد او بالمقلاع (النبلة) او طلقات موجهة إلى اهداف جذبت انظار الذين تسببوا فى هذه العلامات على مر العصور . وكانوا يوجهون اهدافهم نحو اجزاء متحجرة فى الحجر الجيرى ، وثقوب او اشكال محفورة وقد وجد ان منطقة تبلغ مساحتها حوالى ½ ٢ متر مربع قد تلقت ما يزيد عن عشرين الف طلقة رصاص او طلقة مقلاع على مر السنين ، وعند مدخل احد الكهوف فى وادى عدى توجد اثار مئات الاف الطلقات ومن اسباب هذه العلامات التقليد القديم عند السفر إلى الحج وهو رسم الشيطان على الصخور ورجمه بالحجارة .

كتابات حديثة العهد

بالاضافة إلى الاشكال والعلامات هناك ايضا كتابات كثيرة ، اكثرها يبدو حديث العهد بقلم ستيل دقيق ، وكلها موجودة على جانب الجبل فى وادى بنى خروص ، ويبدو أن بعضها كان يدون احداثا تاريخية وبعضها الآخر مما يكتب على شواهد القبور حيث نجد اسم المتوفى وتاريخ الوفاة ، وكلها باللغة العربية .

وهذا يقودنا إلى محاولة تحديد عمر هذه النقوش . فوجود تاريخ او كتابة مؤرخة تمدنا باحسن وسيلة لتاريخ هذه النقوش الصخرية ، وهذا النوع محدود بالفترة الاسلامية العربية . ثم هناك درجة الوضوح فهى وسيلة تقريبية ونسبية لتحديد العمر ، ولكن المؤلف ينبه إلى انه يجب الا يغيب عن البال ان الصخور الكربونية لا تبهت كلها بطريقة واحدة ، كما ان سقوط الأمطار فى مواقع مثل الوطية او الجزء المنخفض من وادى عدى اقل ثلاث او اربع مرات من الاماكن المنبسطة المرتفعة فى وادى حلفين ، بالاضافة إلى ذلك فان الظروف المحلية يمكن ان تؤثر كذلك كوجود سيول تسببت فى تاكل راس وعل وذيله . والافلاج المفتوحة (القنوات) المعروف تاريخها والممتدة بحذاء الصخور التى عليها تلك النقوش يمكن ان تمدنا بالحد الادنى لعمر هذه النقوش . وهناك طريقة التاريخ عن طريق مقارنة الاشكال ببعضها فى اللوحة الواحدة . واخيرا هناك ظاهرة اخرى قد تكون خلف التنوع المتعدد لعصور فن النقش على الصخر فى موقع واحد ، ذلك ان نقش صورة فى مكان ما يوما ما يغرى بنقش صورة اخرى او شكل اخر بجوارها . فالنقش يغرى بالنقش .

● ●

وهكذا نجد ان هذه الثروة الفنية البدائية منجم لا ينفد لفنانى عمان التشكيليين المعاصرين ، ولعله يوجد مثلها فى دول الخليج الاخرى ، بحيث يمكن للفنانين الخليجيين عند محاولاتهم التمرد على الأساليب التقليدية للفن التشكيلى ان يستهلكوا تلك المرحلة الفنية التى تضرب بجذورها فى اعماق بلادهم ، بدلا من استلهام المذاهب الغربية التى تبدو انها نشاز مصطنع وانها مجرد تقليد لا ابتكار فيه ولا ريادة ، على نحو ما احسست عندما شاهدت بعض اللوحات السريالية والتجريدية والتكعيبية فى بعض معارض الفن التشكيلى الخليجى . بذلك يضيفون إلى تراثهم الفنى إضافة حقيقية بل ويقدمون مساهماتهم إلى التراث العالمى .

يوسف الشاروني ـ مسقط عمان

مدينة الألف ميليشيا

شعر: كمال عمار

مدينة الألف ميليشيا

كلّ الطرق إليكِ تؤدى يابيروت
مازلت ومازال الغرباء
يتوالون بلا استئذان
يعرفهم لبنان بسيماهم
وسوالفهم يلمع تحت معاطفهم (١)
ذهب « أناسيس » وسيف « يهود »
مازلت كما أنت مفتحة الأبواب وجانحة المنطق
لم يتغير إلا وجه العُمْله
كنت تُسامين على ارصفة الطرقات المبتله
بدموع جميع الأطفال الفقراء
كنت تباعين بسعر المفرق
صرت تباعين بسعر الجمله
كل الأحياء غدت « حمراء » وسوداء وكل الأحياء
أشلاء تبحث عن تابوت

● ● ●

من نحو العشرين وحين نزلت إلى لبنان
داهمنى ضوءٌ لم تعتده عيناىَ الأمنتان
كان الضوء مثيراً .. فارتبت
وتفكرت قليلا وكثيراً .. وكتبت
ما اعتبرته بيروت « العليا » تحريضا
للبركان وتقويضاً للأمن العريان الخدّاعْ
وعلى هذا نُودِىَ باسمى فى دائرةِ
المشبوهين لانى قلت : (٢)
« ● والطائرة على وشك الاقلاع
ما هو رايك فى بيروت ؟
– شِعْرٌ فاق حدودَ الابداعْ
لكن فيه بيتٌ مختلُّ التفعيلات »

. . . .

وا إِسفاه فما كان الظن بان الأمن لهذا الحد
حقّ عليك القولُ وصار البيتُ المختل مدائنَ مختله
وضغائن مشتعله
فى زمن اللادهشة والهول الممتد
حين يكون الموت هواء وغذاء
لا يسأل مقتول عن مَنْ قتله
فالرابح من عرف يموت
فى هذا الوطن المزدحم بطوفان الأسماء
والوان « السيرياليزم »
ومئات الاوطان وسيارات اللغم الموقوت

● ● ●

قضى الأمر وهذا ما كان
كل يبحث فى لبنان
عن « لبنان » بميلشيا الدم
كل يبحث فى لبنان
عما يتبقى من « لبنان »
قبل اليوم وبعد اليوم

. . . .

لا تثريب عليك ولا لوم
انتِ سعيت لهذا من ازمان
او .. فلماذا لم تنتفضى حين
رايت احابيل الفِرَقِ وكل الطرقِ
إليك تؤدى يابيروت ؟ !

---

١ – ما سلف منهم .

٢ – ما بين قوسين من قصيدة للشاعر اذاعها بعد زيارته الاولى لبيروت عام ١٩٦٤ .. وللهامش حكاية .

● لو كان عندى سيارة لا تتسع إلا لثلاثة ركاب لوضعت الشعر إلى جانبى ، وحشرت الاقتصاد والسياسة فى المقعد الخلفى ● ● نزار قبانى ليس شاعراً سرياً حتى اخبئه فى معطف كلماتى ، إنه علنى ومبثوث على كل الموجات ● لا اتصور امرأة يمكن أن تدهش الناس إلا إذا كان فى عينيها او فى صوتها أو فى ابتسامتها شيء من الشعر ● ● الذاكرة العربية غربال واسع الثقوب

سعاد الصباح :

المرأة قصيدة والقصيدة امرأة!

أجرى الحوار: محمد يوسف

الدكتورة سعاد الصباح شاعرة ، بكل معنى الكلمة
الشعر هو مملكتها ، وحريتها التى تمنحها البعد الانسانى المبرا من القيود ، والمزاجية المزوجة بالهوى .

ومع ان الاقتصاد هو تخصصها ، و « مجال » مهنتها فى جامعة الكويت .. فان الشعر هو « السيد » الذى تكن له كل معانى التوقير والتبجيل .. ولذا فانها تتعامل معه « باريحية » ، و « افضلية » .. ترتشف معه شاي الصباح ، وتقاسمه الوجع العربي الممتد من المحيط الى الخليج ، وتعطره بماء المودة الخالصة ..

فى مملكة الشعر تتحرر الدكتورة سعاد الصباح من الثرثرة الملونة لانها تحول الايقاع الشعري الى « دلالة » جمالية او فكرية .

وفى هذا الحوار تتحدث الشاعرة سعاد الصباح عن ثلاثية السياسة والاقتصاد والشعر ، وعبد الناصر الذى ترسب فى الذاكرة العربية ، واختبائها فى معطف نزار قبانى الشعري ، والقصيدة والمراة ، والشعر السياسي ، والمتنبي ورامبو .

ـ د . سعاد .. الشعر .. لماذا .. ؟

● الشعر لتغيير العالم وجعل الانسان يستحق انسانيته ـ الشعر بوليصة التامين ضد شيخوخة الاشياء ، وضد جفاف الشجر ، وجفاف البشر . عندما نكتب شعرا فاننا ندافع عن انفسنا ضد الاندثار والانقراض . انه الملح الذى نرشه على عواطفنا وعلى اجسامنا حتى لا نتفسخ .

ـ ثلاثية السياسة .. الاقتصاد .. الشعر:كيف تتعاملين معها ؟

● الاولوية عندي دائما للشعر . فلو كان عندي سيارة لا تتسع إلا لثلاثة ركاب ، لوضعت الشعر إلى جانبي .. وحشرت السياسة والاقتصاد فى المقعد الخلفي .

ـ عبد الناصر كيف ترسب فى الذاكرة العربية .. ؟
كيف ترسب فى ذاكرتك .. ؟

● اسوا ما فى العرب أن ذاكرتهم القومية صفر . الذاكرة العربية غربال واسع الثقوب ، وجميع ابطالنا التاريخيين من صلاح الدين الى عبد الناصر مروا من



د . سعاد الصباح . المراة قصيدة ، والقصيدة امراة الشعر اولا .. ثم الاقتصاد والسياسة انا لا انفي تاثري بلغة نزار قباني الشعرية

ثقوب الغربال .. وظل الحصى والتبن والقش والنفايات على وجه الغربال .

اما بالنسبة لي ، فان عبد الناصر اخذ شكل النموذج « الموديل » للقائد العربي العظيم .

ـ كيف تردين عن قصائدك ونثرياتك هذه التهمة : ان نزار قباني يختبيء في زاوية من زوايا قصيدتك وكلماتك النثرية ؟

● ومن قال انني اريد ان ارد التهمة .. ان نزار قباني ليس شاعراً سريا حتى اخبئه في معطف كلماتي . انه علني ومنشور ومبثوث على كل الموجات من الخليج الى المحيط .

ولا احد يستطيع ان ينكر ان لغة نزار قباني تركت بصماتها على جيلين او ثلاثة من الادباء خلال الاربعين عاما الأخيرة ، وإلى الذين لا يزالون يوجهون الي تهمة التاثر ، أقول لهم تكرارا وبدون اي عقدة سابقة ، ان نزاراً موجود لا في معطفي وحدي .. بل في معاطفنا جميعا .

ـ كيف ترتبين هذه المعادلة :

المراة ـ القصيدة .

القصيدة ـ المراة .

ايهما ياتي اولا .. ؟

● تاتيان معاً فالقصيدة انثى . والمراة انثى . وليس ثمة تناقض بين الانثتين . انهما تتفجران في ذات اللحظة كالبرق والرعد .. وكما انني لا اتصور قصـــيدة لا تسكنها امراة بشكل من الاشكال ، فانني لا اتصور امراة يمكن أن تدهش الناس إلا إذا كان في عينيها ، أو في صوتها ، او في ابتسامتها شيء من الشعر .

ـ ما موقع القصيدة السياســية من كرنفال الشعر العربي في ايامنا هذه ؟

● القصيدة السياسية لها دور رئيسي في التوعية والتحريض واشعال الغضب الشعبي ، ورغم ان الجماهير العربية مكسورة وحزينة ، ورغم ان هذه الجماهير اصيبت بالتبلد وموت الاحاسيس من بشاعة ما يجري على مسرح السياسة العربية ، فانني اعتقد ان القصـــيدة السياسية الجيدة لم تفقد دورها . ولا تزال قادرة على قيادة المقاومة الشعبية ضد القمع والذل والاستعمار في سائر اشكاله .

ـ لماذا تقلصت قصيدة المقاومة ؟

● لماذا تسالني انا ؟ اسال مدينة بيروت وغيرهـــا من مـــدن لبنـــان

ـ ما هو ردك على هذه المقولة :

الشعر لا مستقبل له في غــــابة التكنولوجيا ؟

● هذا كلام قيل منذ دخلت الثورة الصناعية لأوربا في القرن الثـامن عشر . ولكن لم تاكل الشعر ولم تاكل الشعراء بدليل انه بعد الثورة الصناعية جاء بودلير ، فاليري ورامبو ، واراغون ، ت. س . اليوت وغيرهم .

ولا اعتقد ان الكمبيوتر يستطيع ان يكتب شعراً على طريقة مجنون ليلى .. إلا إذا ارسلوه بالطائرة الى بلادنا وراى عيون ليلى العامرية من شقوق خيمتها ..

ـ من الحلم القومي الممتد من الجرح إلى سنبلة القمح .. متى تشرق شمس الوحدة العربية ؟

● اذا انتهت التمثيلية السخيفة التي مازالت تحفر اعصابنا منذ عام ١٩٤٨ .

ـ ما هي علاقتك الابداعيـــــة بهؤلاء الشعراء : المتنبي ، ابو العلاء المعري ، رامبو ، ايفتيشنكو ، احمد شوقي .

● علاقتي جيدة جدا مع اثنين ممن ذكرت . هما المتنبي ، ورامبو .. فالمتنبي هو الاكثر حداثة من جميع الاقدمين والمحدثين بلا استثناء .

ورامبو قاد اخطر انقلاب في الشعر الفرنسي وهو في السادسة عشرة .

اما الباقون فعلاقتي بهم علاقة مهنية ، كعلاقة النجار بالنجار ، والحداد بالحداد ، اني اقرا لهم دون ان اشعر انني اريد ان اصرخ ..

الكويت

مسافر على الرصيف



.. وكانت جائزته : مائة يوم في السجن

بقلم : محمود السعدني

عندما رحل جمال عبد الناصر ، كان محمد عودة قد بلغ الثانية والخمسين ، وفى المهنة التى احترفها ـ مهنة الصحافة .. كان موقعه بعد رحلة شـــاقة طويلة ومضنية ، مجرد محرر سياسى فى احدى الجرائد اليومية . وكان مرتبه لم يصـل بعد الى مرتب زملائه فى المهنة ، او مرتب بعض تلاميذه . لم يصل قط الى منصب رئيس التحرير او منصب رئيس مجلس الادارة ، مع انه كان اشد الجميع حبـــا لعبد الناصر واكثرهم حماسا له . وكانت كل ثروته فى الحياة خمسة كتب من تاليفه ، وشقة متواضعة فى عمارة من عمارات الاوقاف فى حي الـدقى ، وسيارة فيـات صغيرة اضطر إلى بيعها بعد ذلك ، وعندما فشل فى استعمالها لعدم قدرته على قيادة السيارة فى بحر زحام القاهرة الرهيب . وبالرغم من المحاولات لاستمالة محمد عودة ، الا انه لم يتخل ابدا عما يعتقده ، ولم يكتب حرفا ضد قناعاته ، وخاض حربا ضروسا بقلمه ضد كل الذين حاولوا وعملوا وساهموا فى تلطيخ المرحلة الناصرية فى وحل العار .

ولكن ماساة محمد عودة الحقيقية انه كان يحارب من استفادوا من تلك الفترة والتفوا حول موائدها ، وكان عودة هو الوحيد الذى خرج من المولد بلا حمص ، ولم يخرج من العهد الناصرى إلا بامجاده وذكرياته ، بينما خرج الاخرون بالمكاسب والمغانم . وكانوا خمسة او ستة من الكتاب المصريين الذين بقوا فى مصر وتشبثوا بمبادئهم ، وكان محمد عودة اكثرهم تشبثا واقلهم ظهورا . وعندما رفع كتاب مصر وادباؤها عريضة الى راس الدولة يستنكرون فيها حالة اللاسلم واللاحرب ، ودعوا فيها الى حسم الموقف ، والوقوف بصلابة ضد جيش الاحتلال الاسرائيلى ، وطالبوا بضرورة تحقيق مطالب الشعب والانحياز إلى صف الغالبية العظمى من الفقراء ورفع المعاناة عنهم ، كان محمد عودة واحدا من الموقعين على العريضة ، وكان واحدا من الذين عصفت بهم قرارات السلطة ، فنقلتهم من دور الصحف إلى ادارات حكومية وشركات القطاع العام .

احمد عرابى — محمود سامى البارودى

وعندما عادت الامور الى وضعها الطبيعى بعد حرب اكتوبر ، اشتعل محمد عودة حماسا للمصرى العادى الذى استطاع ان يقهر الصعب وان يصنع المستحيل ويعبر قناة السويس ويدك حصون خط بارليف .

ولكن الامور سارت بعد ذلك فى عكس الاتجاه الذى كان يحلم به عودة ، انقسم المجتمع المصرى الى قسمين : الذين عبروا والذين هبروا .

وفى هذا الجو المتوتر اثر احمد بهاء الدين ان يهاجر الى الكويت ، وهرب عشرات من الكتاب المصريين الى بلاد عربية او اوربية ، وهرب محمد عودة ولكن الى داخل مصر . انكفا على كتبه يلتهمها ، وعكف على تاليف عدة كتب صدرت تباعا كانت بمثابة بصيص من النور وسط الظلام الدامس ، واختار الاستقلال التام وسط التيارات المتصارعة والحياد وسط صراع الانظمة العربية ، ورفع شعار العروبة دون انضواء وبغير إنحياز . وتفرغ محمد عودة لكتبه ، وادار ظهره لمجتمع العمولات والمكافات والصفقات والمشروعات ، ولكن هذا المجتمع نفسه ابى ان يتركه . وعندما عصفت بمصر قرارات سبتمبر ١٩٨١ كان محمد عودة ضمن الذين القى القبض عليهم وكانت التهمة الموجهة اليه ، التجسس .

والقضية التى تضمه ، اسمها التفاحة ،





عبد الله النديم — اللورد كرومر

وكانت تهمته انه اجتمع مع عبد السلام الزيات نائب رئيس الوزراء السابق .

وعندما دخل محمد عودة السجن كان قد بلغ عامه الثانى والستين ، وفى بلاد اخرى يكرم الكتاب والادباء الذين يبلغون هذه السن ، وتقدم لهم الجوائز والعطايا ، امتنانا وشكرا لهم على ما قدموه . خلال حياتهم الطويلة ولكن . نصيب محمد عودة كان مائة يوم فى السجن واتهام حقير بالتجسس ، وهو العاشق الذى تدله حبا فى مصر ، وهو الشاعر الذى تغنى بكل ذرة تراب فى ارضنا ، وهو الكاتب الذى كان مداده عرق الناس وزحام الطريق ومعاناة الاغلبية الساحقة . وبعد ٦ اكتوبر ١٩٨١ قدر لمصر ان تعود الى الطريق الصحيح ، وقدر لمحمد عودة ان يغـادر سجنه بعـد ذلك .. خـرج بلا مساءلة وبلا محاكمة ، خرج لان التهمة كانت ملفقة ، وخرج لان المتامرين بعضهم انتقل الى رحمة الله وبعضهم انتقل الى سجون الدولة ، وبعضهم فر هاربا خارج البلاد .

وعاد محمد عودة هذه المرة لينقب فى تاريخ مصر عن اعظم ايامها واخلد معاركها ورسم لنا وللاجيال القادمة صورة زاهية الالوان عن الفلاح عرابى ، والشركسى الوطنى محمود سامى البارودى وعن اللورد الوقح كرومر ، وعن الصايع الخالد عبد الله النديم . وكان كتابه سبعة بشوات بمثابة تاريخ جديد لمصر المعاصرة ، ووجهة نظر فلاح مصرى مثقف فى فترة هى بحق من اعجب واغرب واخصب فترات تاريخها على المدى الطويل .. واذا كانت الايام قد زحفت بعودة الى الشيخوخة ، فهو اقرب الشيوخ فى مصر الى الشباب ، اقرب اليهم بفكره وبموقفه ، ويتندر بعض الناس فى مصر ويتداولون مقولة (اذا اردت ان تعرف الاتجاه الصحيح ، فاعرف اولا اين يقف محمد عودة) فهو بالرغم من اضطراب بحر السياسة المصرية وصخب امواجها ، وشدة اعاصيرها وعواصفها ، إلا ان بوصلته لم تخطىء الاتجاه الصحيح قط ، وسفينته لم تخطىء الميناء المنشود .

واذا كان محمد عودة هو واحد من الكتاب الموهوبين .. وخبير من خبراء السياسة العربية المعدودين ، ونجم من نجوم الصحافة والكتابة السياسية ، الا انه لم يظهر قط فى حديث تليفزيونى ، ولم يدع مرة واحدة الى برنامج اذاعى وليس عضوا فى المجالس المتخصصة ، وحتى طلب الانضمام الى اتحاد الكتاب ، رفضوه وطالبوه بان يقدم لهم ما يثبت انه كاتب ، واغرب شيء ان الذين طالبوه بابراز هويته الادبية ، هم ادباء وكتاب من امثال سعد حيلص وسيد المناويشي والاستاذ الكبير احمد ابو دراع . انها ماساة ولكنها ليست ماساة عودة وحده ، بل ماساة الكثيرين من امثال محمد عودة ، وان كان هو نفسه يشعر بانها ليست ماساة اذا قيست بماساة الوطن كله ، والوطن عند محمد عودة هو امتداد الارض العربية من الخليج الى المحيط ، فهو عروبى اصيل بلا ادعاء وبلا ثمن ، وهو لذلك جاب ارض العرب على قدميه ، وجاس خلالها ومن قرية الى قرية ، من وجدة فى المغرب الى الحديدة فى اليمن وله فى كل مكان من الارض العربية اصدقاء وتلاميـذ ، ولديـه مقـدرة على الحياة فى اى بقعة من ارض العرب اسابيع طويلة دون ان يحمل زادا او نقودا ودون ان يحتاج الى استضافة رسمية من الدولة التى يوجد على ارضها ، فهو قـادر دائما على ايجاد اصدقاء ، وقادر دائما على خلق جو من حوله ، وقادر ايضا على اكتشاف مواهب جديدة ، بالرغم من طبقات الصدا والتراب .

واذا كان محمد عودة قد خرج من المرحلة الناصرية بلا مغانم ، فقد خرج بايمـان لا حد له ، بان عبد الناصر كان ضرورة ،

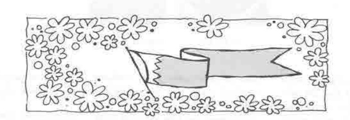
وبالنسبة للعروبة كان املا ومنارا ، وان طريق عبد الناصر هو الطريق السليم ، وحلول عبد الناصر هى الحلول الصحيحة . ولقد حمل على راسه خلال السنوات العشر الاخيرة تراث عبد الناصر وتعاليمه وطاف بها فى الاسواق ، وبالرغم من تنكر الاصدقاء وتناقص الانصار ، وهروب المريدين ، وكثرة المستفيدين ، وزحام الارزقية ، الا انه ظل متمسكا بالطريق ، محافظا على الطريقة مع عدد صغير من المريدين والانصار ، ومن المؤكد انه سيظل على الطريق والطريقة حتى لو بقى وحده .

ويبقى بعد ذلك ، ان عودة عاش فى جيل واحد مع توفيق عبد الحى وعصمت السادات ورشاد عثمان . وبينما هبر توفيق عبد الحى كنوز مصر الذهبية بدون موهبة وبلا علم ، اكتفى عودة بالحصول على كنوزها الروحية . ولذلك سيعيش عودة طويلا فى تاريخ مصر .. الفنان الذى حول السياسة الى شعر ، والسياسى الذى اثبت ان السياسة حرفة تحرق صاحبها بالنار بعكس مفهوم العصر كله ، الذى يؤكد ان الفرق بين السياسى والحرامى هو ان السياسى يدخل السجن اولا .

مســــيرة الخـــــير في قـطـــــر

أغنيــة المطـر

شعر: الدكتور محمد فوزي مصطفى - جامعة قطر



شَهْرُكَ الميمونُ فى جِيدِ المطَرْ
قَطَرِيَّ الوسم فى البدو حضر
عبقرياً ساسَ للنـــاس قطـــر
شهرك الميمون من طول « العُمُر » .

• • •

والنهار قُمَيْرٌ قُدَّ من كُمِّ الزَّهَرْ
والشموسُ حَيَاءٌ ترنو فى دَلِّ الخَفَرْ
والسماء رجاء وخليج من دُرَرْ
شهرك الميمون فى الناس قَدَرْ

وعيون تقدح الذهن فِكَرْ
وسمو النفس في الليل قمر
يملأ الرحب أميناً فى السفر
عادل حاشاه من قَوْلِ الهَذَرْ

• • •

شهرك الميمونُ فى الشِعرِ غُرَرْ
مفرد فى الدهر بالجُلّى أَمَرْ
شهرُك الثانى وفى الْثانى عشر
ليتنى فى العيد قَضَّيْتُ الوَطَرْ

في العـــدد القـــادم والأعـــداد التـــاليــة ..

تقـــرأ لهـــؤلاء :

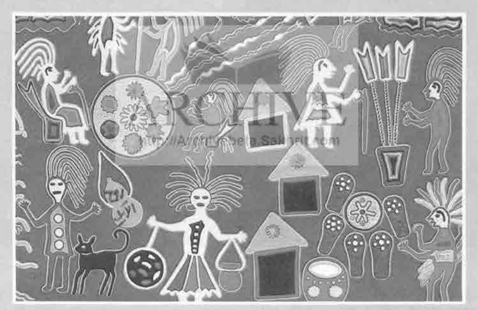
الدكتور عبدالله الطيب • الدكتور حسن عيسى عبد الظاهر
نعمان عاشور • عارف عطاري • فاطمة حسين
محمود قاسم • عبدالوهاب المسيري • عبدالرحيم عمر
محمد صالح الخولاني • الدكتور يحيى رجب • صفوت كمال
ديزي الأمير • عبدالرحمن محسن

ليس بالسلاح وحده تدور المعارك

حرب بالألوان

ينتصر فيها القديم على الجديد!

بقلم : ماجد يوسف



من وحي الاساطير اندمج الفنان « الويشولى » ليقدم لنا تلك اللوحة التى اعتمدت على الشكل البسيط الذى يصف حياتهم النقية التى لم تتاثر بالحضارات الاخرى .

يشير جارودى فى كتابه الهام « حوار الحضارات » الى الجريمة الفادحة التى ارتكبها النمط الحضارى الاوروبى المعاصر بتشييده لصرح حضارته التقنية الحديثة على حساب مصادرة الابداعات الحضارية الاصيلة لكل الشعوب التى ذكبت بالاستعمار على مدى القرنين الفائتين ، وانه - الاستعمار - لم يال جهداً فى طمس الشخصيات المتفردة للامم المستعمرة .. وهى شخصيات كان من شانها لو تم حوار ايجابى مستنير بينها وبين النمط الاوربى الحضارى المسيطر ان تثرى الافق الانسانى كله ، وتضفى تنويعات هائلة وخصيبة ومفعمة بالجدة والجمال على تاريخ الانسان .

ولعل تلك الحقيقة التى اشار اليهـا « جارودى » ان تسطع بدلالاتها الحقيقية فيما يسود الآن على ساحة بلدان العالم الثالث المستقلة حديثا من صراع لا هوادة فيه بين الحلم بابتعاث شخصياتها الاصيلة من ناحية ، واستيعاب النمط الحضارى الاوروبى المهيمن من ناحية اخرى دون ان يتم احدهما على حساب الآخر .. فيما عرف على صعيد هذه البلدان



الحياة فوق الارض كما تخيلها فنان من قبائل الويشول الذين يعيشون فى جنوب المكسيك .. فى منطقة لا يمكن ان تصل إليهاالا سيرا على الاقدام

بالاصالة والمعاصرة مرة .. أو التراث والتحديث مرة اخرى .. الخ ، ولعل حل هذه المعادلة ، الذى يتارجح حتى الآن فى معظم بلدان هذا العالم الثالث بين الفشل والنجاح ، ان يكون هو التحدى الاساسى امام بلورة الهوية القومية لهذه الشعوب على مختلف الاصعدة .

وربما لم ينـج من هذه الحيرة الا تلك الشعوب التى شاءت لها ظروفهاالمعيشيةان تكون بمعزل عن رياح التغييرات التعسفية التى صاحبت المستعمر الأوروبى فى كل مكان وطئته قدماه .. واستطاعت بقشرتها الصلدة التى نسجتها حول نفسها ان تنجو من المصير التشويهى لابداعها الانسانى ذلك الذى مارسه الرجل الابيض دائماً ، ومن ثم حفظ لنا دفاعها المستميت ذاك عن نفسها انماطا اخرى للابداع الانسانى فى مختلف بقاع الارض اسهم فى بلورةشكل او اشكال متمايزة لعبقرية التنوع الانسانى وقدرته اللامحدودة على التفرد وتقديم اجتهاداته الخاصة ، تلك الاجتهادات التى لم تفقد بكارتها الاولى وخصوبتها الاصيلة تحت معاول حضارة « التنميط » التى فرضها المستعمر .

ومن هذه الشعوب هنود (الويشول) الذين لا يتجاوز تعدادهم السبع الاف نسمه ويعيشون فى جنوب سلسلة جبال (مادرا) الغربية فى المكسيك .. وهى بقعة لا يمكن اختراقها بغير السير على الاقدام ، لارتفاعها ووعورتها ، ولم تطاها السيارة بعد ! ..

وقد استقر (الويشول) فى سلسلة جبال (سيرا) قبل ان يدخل الازتكيون وادى المكسيك .. ونجحوا تماما فى الحفاظ على طابعهم الخاص عن طريق ذاكرة جماعية تتوهج بممارسات جمالية .. وبرغم انهم

يعيشون فى ظروف مجحفة من الفقر ، ويفرضون على انفسهم انواعا اخرى من الحرمان ، إلا انهم من خلال نسق حضارى متماسك ، ومعمار روحى متكامل الانغلاق على قيم روحية بسيطة لعالمهم الخاص الذى يرفض العالم الخـــارجى لأنـه لا يضاهيه ابدا مهما بدا من اغراءاته .. استطاعوا عن طريق هذا الانغلاق ان يكونوا اهلا للحياة الروحية لتضحيتهم بالماديات .

ولعل اساطيرهم فى رؤية العالم ان تكون هى الدالة على هذا التميز والتفرد المبدعين .. فللويشول افكارهم الخاصـة التى سبقت الفكر الأسبانى فى امريكـا اللاتينية ، والاحساس الانسانى العالمى ، ولذلك اتخذ فنهم اشكالا عدة تبدا بالشكل البسيط متدرجة الى المتسامى لتصل اخيراً الى الجماعى .. وهو فن مكرس للوسائل القادرة على تحريك وتوصيف الحياة النقية .. ولا يفهم المغزى العميق لهذا الفن سواهم ، ويمكن اعتباره مظهراً من مظاهر الجهود الجماعية التى تدفعهم فى اوقات معينة من العام الى الاتيان من كل فج للمشاركة فى طقس لا نتجاوز اذا اسميناه (بالدراما الانسانية) والتى يتلخص الغرض منها فى اعادة خلق الجو المواتى الذى تستلزمه الحياة فى العالم من خلال توليفة معقدة ومتراكمة من الرقص والانشاد طوال الليل متمشين مع الايقاع المغناطيسى الغريب لموسيقاهم ، فالعالم كله يهب لهم خيراته مضحياً بذاته ، ومن هنا تولد لديهم احساس خاص ونادر المثال عن التضحية بالذات من اجل الجماعة .. والى ما هو اكثر من الحدود التى يقف عندها الذهن عادة لكلمة (تضحية) .

اما اطفال «الوشيول» فانهم يتعلمون تقليد الكتابات المتداولة من خلال اشغال الأبرة والنسيج والحفر فى الحجر واستخدام الألواح المغطاة بطبقة من الشمع فى تكوين تشكيلات من حبـات الخرز الزجاجيـة وخيوط الغزل فى فن متابعه انسانية متجردة ولكنه يزخر ببهجة الحياة .

والفنان الويشولى يعتمد ـ تماما ـ على اساطيره فى ابداعه الفنى ، ولذلك فهو لا يرسم فى حقيقة الامر كما نفهم نحن الآن من كلمة الرسم ، وانما هو يندمج فى روح الاشياء .. فكل الموجودات فى ذهن هذا الفنان البدائى تجليات لبعضها البعض .. ولعل اقوى تقاليدهم تعبيرا عن ذلك ظاهرة تجسيد الجماد (الارض ـ الام) وهم يطمحون من خلال ذلك الى الوصول لمرحلة من الترقى الروحى يمكن عندها ان نرى



اعمال اخرى تقدم لنا انماطاللابداع الانسانى الخاضع للاجتهادات الخاصة التى لم تفقدخصوصيتها الاصيلة .



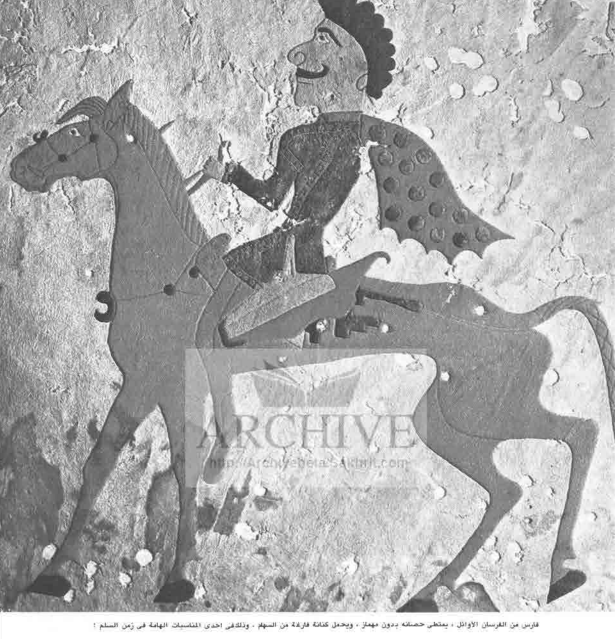
دخائل الكائنات الاخرى من خلال وجودنا نحن .. وهم يؤمنون بانه من الصعب الوصول الى ذلك الا عن طريق التجرد المتنامى والمتسامى من الشـــهوات والجسدانية وتطهير النفس من كل ما من شانه افساد الرؤية الحقة لديهم .. فلكى يستطيع الأحفاد ان يروا كما فعل الاسلاف فعلى وجودهم الانسانى ان يسمو من خلال النيريكا (النيرفانا) .

ويبدو جليا انه اذا لم نفهم الافكـــار الشاعرية التى توحى بها افكار الويشول المعقدة .. فلن ندرك سوى الجانب السطحى لهذه الثقافة العميقة الجذور ، وسوف نفشل بالتالى فى فهم مغزى فنها الأصيل

واذا كان فى مقدورنا ان نلخص اجتهادات المدارس الواقعية المعاصرة فى الفن تحت عنوان واحد هو (اعادة اخراج العالم المرئى بالفعل) فان واقعية امريكا الوسطى (الويشول) تهدف الى اضفاء مظهر مرئى على كل ما هو خفى وغير مرئى فى الواقع .. ولذلك كان من الطبيعى ـ انطلاقا من هذا المنظور الشفاف ـ ان نرى فنان الويشول لكى ينتج عملا فنيا بمفهوم قومه ينغمس ـ وكلية ـ فى رؤية انسانية كاملة يبدع من مناخها ..

.. ولنتامل سويا لوحاتهم تلك فقد يساعدنا هذا على الفهم والاقتراب !

ماجد يوسف



فارس من الفرسان الأوائل ، يمتطي حصانه بدون مهماز ، ويحمل كنانة فارغة من السهام ، وذلك في احدى المناسبات الهامة في زمن السلم !

استخدام الخيول وظهور الفرسان
انقلاب خطير في تاريخ الإنسان

بقلم : حسني شحادة



مدربو الخيول الأوائل الاوراسيين (من اصل اوربى ـ اسيوى) الذين قاموا بترويض الخيول المتوحشــة

للفروسية عند الامم شان عظيم ، ومقام كبير ، فكان اليونانيون القدماء يعظمون فرسانهم الذين اشـــتهروا امثـــــال « هيركيوليس » و « ليونيدس » . وكذلك كان الرومان يباهون بفحول فرسان الوغى كهرقل الكبير . وكان للفرس عناية خاصـة بالفروسية ، ولهم فرسان معروفون امثال « بهرام جور » ، و « طهماسب » و « رستم » وغيرهم .

وكان للفروسية عند العرب مقام جليل ، ومكانة عليا ، فحب العرب للفروسية ، اصيل قديم ، له فى التاريخ اصول تمتد عبر القرون . فقد عني العرب بالخيل ، وفى كتب التاريخ الكثير من الروايات التى اسهبوا فى الكتابة عنها . ولم يصل إلينا من ذلك إلا وشل من بحر ، فقد قيل ان الاصمعي صنف للرشيد كتابا في الخيل ، وان ابا عبيدة صنف في ذلك خمسين مجلداً (١) !

ومن اطرف ما وصل إلينا ، ان احد ملوك العرب ، اراد ان يشتري فرسا اصيلة من بدوي من رعاياه ، فعرض عليه ثمنا مغريا وكانت الفرس تسمى سكاب ، فابى البدوي بيع الملك . وقال هذه الابيات التى تعبر اجمل تعبير عن تعلقه بفرسه الاصيلة ، وحبه لها :

ابيت اللعن إن « ســكاب » كنز
نفيس ، لايعار ولا يبـــــاع



فى ظل شجرة وقف محارب مغولى ليجدل الذيل الأملس لفرسه المعد للركوب ، فقد كان المغوليون يعتبرون خيولهم اهم مالديهم من كنوز ، ويولونها عناية فائقة

مكرمـــة مفداة لدينا ، يجـــاع
لهـــا العيـــال ولا تجـــاع
سليلة منجبين تناسلاهـــا
يضمهما - اذا اجتمعا - الكراع (٢)
فلا تطمع - ابيت اللعن - فيهـا
وبيعكها بشيء يســـتطاع
وقد انشد أبو عمر بن عبد البر فقال :
احبوا الخيـــل واطبروا عليهـا
فان العـــز فيهـــا والجمـالا
إذا ما الخيـــل ضيعها انـــاس
ربطناها فاشركن العيـــالا
نقاسمهـــا المعيشة كل يوم
ونكسوها البراقع والجـــلالا

مكانة الخيول

وحسبنا ان نعلم عن مكانة الخيل ان الله سبحانه وتعالى ذكرها فى عدة مواقع من الكتاب العزيز القرآن الكريم ، فاقسم سبحانه وتعالى بها فى سورة العاديات :

« والعاديات ضبحا ، فالموريات قدحا ، فالمغيرات صبحا ، فاثرن به نقعا ، فوسطن به جمعا » .

(صدق الله العظيم)

وعن جرير بن عبد الله قال :

« رايت النبى صلى الله عليه وسلم يلوي ناصية فرسه باصبعيه ، وهو يقول :

« الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة (٣) وكانت خيل رسول الله



صلوات الله وسلامه عليه هي :
السكب ، والمرتجز ، واللحيف ، واللزاز ، وملاوح ، والفرس ، والورد ، وقد وهبه لعمر ابن الخطاب رضي الله عنه » .

ويقال في الأمثال :
« الخيل ميامين » وقالوا : الخيل اعلم بفرسانها . ويقولون إن الخيل في المنام ، قوة وزينة وعز ، فمن رأى عنده منها شيئا نال قوة وعزة ، وربما دل ذلك على اتساع حاله وانتصاره على اعدائه ، والله اعلم .

المسلمون والفروسية

وكان للفروسية شان كبير عند المسلمين فقد طرق هذا الباب غير واحد من الائمة الاعلام ، فالفوا فيه الكتب ، ودونوا الرسائل (٤) .

فقد الف ابو المنذر هشام بن ابي النضر محمد بن السائب بن بشر بن عمرو . النسابة الكوفي الكلبي ، المتوفى سنة ٢٠٤ هجرية ، كتابا اسماه « نسب الخيل في الجاهلية والاسلام » .

والف الامام اللغوي ابو عبد الله محمد ابن زياد الكوفي ، المعروف بابن الاعرابي ، المتوفى سنة ٢٣١ هجرية كتابا اسماه : « اسماء خيل العرب وفرسانها » ، صححه وطبعه البروفسور « جرجس لوي دلا ويدا » استاذ اللغات السامية في جامعة روما بايطاليا .

والف الامام العلامة اللغوي النسابة ابي محمد الحسن بن احمد الاعرابي المعرف بالاسود الغندجاني من علماء القرن الخامس ، كتابا اسماه « خيل العرب وانسابها وذكر فرسانها » .

والف العلامة ابو عبد الله شمس الدين محمد بن ابي بكر بن أيوب المعروف بابن القيم الجوزية كتابا اسماه « الفروسية الشرعية النبوية » حققه العالم السلفي الكبير محمد نصيف والشيخ فوزان السابق



قال المؤرخ الاغريقي « هيردوت » انه كانت من تقاليد بعض القبائل عند فقدانهم لاحد الفرسان العظام ان يظهروا الحزن عليه بقطع جزء من اذانهم وان يقتلوا خيوله الخاصة حتى لا يمتطيها فارس غيره !

الفرسان الأوائل

لقد خلبت الخيول افئدة البشر منذ اقدم العصور ، فقد جمعت بين الجمال ، والقوة والمهابة ، فدخلت في دنيا الأساطير ، وحركت اشرعة الخيال للاحلام ، ومع انطلاقة الخيل ، تنطلق جحافل القوة في نفس الانسان ، فتملأ جوانحه بالرغبة في معانقة المجد ، ويقول احد الكتاب : (٥) .

« لا اغالي اذا قلت ، انه كان امتطاء الانسان للحصان وسيطرته عليه ، وتمكنه من مسابقة الريح على صهوته ، احدث انقلابا خطيرا في تاريخ الانسانية ، وتغييرا غريبا في حركة التاريخ ، غيرت علاقة الانسان بالمكان والزمان والأحداث» .

وفي كتاب الفرسان الأوائل الذي الفه « فرانك ترابيت » ، وهو صادر عن سلسلة كتب « تايم لايف » ، يعود الى اعماق التاريخ ، يمخر في هذا العباب ثم يأخذ من الأساطير الشعبية المتداولة ..

لقد اثبت علماء « الانثروبولوجيا » ان علاقة الانسان بالحصان ، قديمة جدا ، وأثبتت الآثار القديمة التى اكتشفت في باطن الارض ، عن قبور في أوراسيا بها رسوم نادرة ، وآثار عظام تدلل على هذه العلاقة .

ووجد ايضا على ضفاف نهر « الفولجا » ونهر الدانوب ، آثار تدل على هذا الارتباط واستطاع العلماء بعد البحث والتدقيق وضع مقولة تؤكد انه اينما وضع الانسان بصماته الحضارية عبر التاريخ فهي مرتبطة بالحصان ، فبدون الحصـــان



لا يعرف الانسان مكانه .

ويرسم المؤلف صورة لهؤلاء الفرسان ، فيطلق عليهم الغزاة النبلاء ، وقد اورد المؤرخ اليوناني الشهير – ابو التاريخ – « هيرودوتس » اخبارهم ، فيقول :

« منذ ثلاثة الاف وخمسمائة سنة قبل الميلاد ، امتطى الانسان الجواد ، وتجمع هؤلاء الفرسان ، ليؤلفوا عصابات تنشر الذعر ، وتتغلب على الاعداء » .

وقد اتاح الوضع القوي لرجال العصابات ان يجمعوا ثروات طائلة من الذهب والفضة ، لا يمكن ان تقدر .

ترويض الحصان البري

ويقول المؤلف فى الفصل الثانى من الكتاب ، بان الحصان القديم كان حيوانا جميلا جدا ، وكان قصيرا جدا . فصدره العريض ، وانتصاب رقبته، وصغر رأسه ، وجمال ذيله ، تضفي عليه روعة فائقة .

وكان ينتشر فى السهوب وعلى هضاب الجبال ، فى جماعات . منظرها يخلب الالباب . وكانت حيوانات قوية ، تتميز بالسرعة الفائقة ، والقوة المدهشة ، وكان يتداعي فتوة القوم ، من الشباب الاقوياء الشجعان ، فيطاردوا هذه الحيوانات ، حتى يمسكوا بها ، او ينصبوا لها الافخاخ او يحفروا لها الحفر .

اما عملية الترويض ، فقد كانت صعبة جدا ، وكثيرا ما كان يلقى بعضهم الموت ، ولكن هذا العناء ، وتلك المشقة كانت تهون عندما يرى الشاب نفسه ممتطيا صهوة الجواد ، مزهوا بنفسه ، مفتخرا بقدرته ، مرهوبا من الناس ، يستطيع ان يمتلك ما يشــاء .

عروض الخيل

وفى كل عام فى مواسم الشمس المشرقة يجتمع الفرسان ، ويجتمع جمع غفير من الناس من كل حدب وصوب ، ليشاهدوا عروض الخيل ، ويشاهدوا الفرســان الاقوياء ، وهى يقومون بعروضــهم ، والعابهم ، ورقصهم ، ومبارزاتهم ، وكثيرا ما كانت الخيول تحمل بالغنائم التى يغنمها هؤلاء الغزاة النبلاء ، فيلبسون خيولهم الذهب والفضة ، ويكسون اجسامها بالسبائك اللامعة فيكون الفرس كلعبة ذهبية لامعة جميلة .

وقد اثبتت الحفريات فى كثير من قبور هؤلاء الفرسان ، كنوزا من الذهب والفضة ، ورسوما ذهبية للخيل الصغيرة ، او





على الصفحة المقابلة : محارب من القرن الرابع قبل الميلاد ، يوجه ـ في قوة ـ رمحه إلى خصمه ، والعمل الفنى كله من الذهب الخالص ، ومن الآثار النادرة التى مازالت باقية فى اليونان .. وعلى هذه الصفحة نرى إلى أعلى : السيدة « وين ـ شى » زوجة أحد الزعماء الصينيين فى القرن الثالث قبل الميلاد ، تستعد للرحيل بعد ان افتدت فارسا كبيرا بكنز من الذهب .. اما اللوحة الثانية فهى فى موكب عودتها محاطة بالفرسان وإلى جوارها من يحمل لها مظلة طوال الرحلة حتى يقيها من الشمس !

مجسمات بحجمها ، وقد عرض المؤلف صورا بديعة لهذه الكنوز .

وكثيرا ما كانت توجد الكنوز فى غير المقابر ، او بعيدة عنها ، ذلك لأن هؤلاء العصابات او الغزاة ، كانوا يخبئون كنوزهم فى اماكن بعيدة عن العيون ، وقد اطلق عليها المؤلف كنوز اللصوص . وافرد لها فى الكتاب بابا خاصا .

العنف والأرهاب

وكثيرا ما كان يسود العنف والارهاب ، عند موت هؤلاء الفرسان ، ذلك ان الوريث الحر ، هو القوي الذى يستطيع ان يرهب الفرسان الآخرين ، وكثيرا ما كان يدور قتال او مبارزة ، او مباراة فى تحمل الآلام ، للفوز بالميراث ، فالقتال يدور بين العصابات ، اذا مات الزعيم ، لتطويع العصابة المنكوبة ، والاستيلاء على ثروتها وكنوزها .

اما المبارزة فقد كانت تقوم بين من يريد ان يخلف الزعيم ، ويرى فى نفسه من القوة ما يؤهله للزعامة ، وبين زعيم عصابة اخرى .

اما تحمل الآلام فقد كانت بايذاء النفس بالحراب او الرماح او غير ذلك من الأدوات ومن يتحمل ويبقى على قيد الحياة فهو الفائز بالميراث الحر .

اسلوب الحياة الريفية

وقد ختم المؤلف كتابه بفصل عن اسلوب الحياة فى الريف ، واثر الحصان فى تطوير تلك الحياة ، فعندما بنيت البيوت ، راينا العربات التى تجرها الخيول ، فاختصرت عن الانسان عناء كبيرا ، وصار للانسان وقت فراغ ، يزاول فيه الهوايات ، كالصيد ، وامكن استعمال الصقور للصيد ، واللحاق بها على صهوات الجياد وامكن الانتقال من مكان الى مكان طلبا للكلا والمرعى .

وبذلك فقد نقلت الخيول الانسان من البربرية والبداوة الى حياة الاستقرار والمدنية .

حسني شحادة

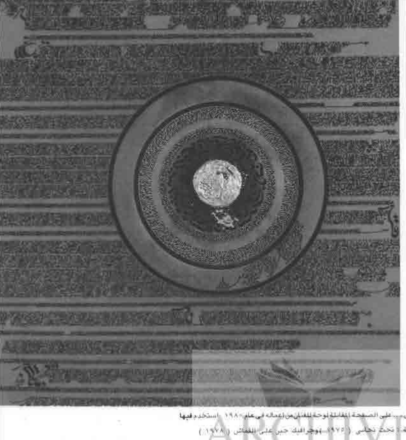
هـــــــوامـــــــش

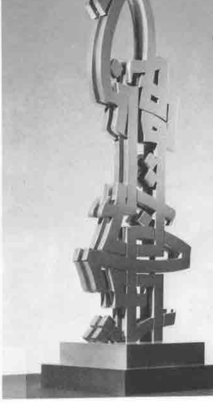
(١) جواب السائل من الخيل الأصائل تأليف جلالة الملك عبد الله بن الحسين .
(٢) الكراع اسم حصان عربى اصيل كان له شهرة عند العرب فى الجاهلية .
(٣) حياة الحيوان الكبرى ـ للدميرى .
(٤) الفروسية لابن القيم الجوزية
(٥) هو الكاتب نبيل محمد رشوان .



نجا المهداوي رسام من نوع آخر

بقلم عز الدين المدني





بعض اللوحات المتميزة للفنان التونسى - نجا المهداوى ... على الصفحة المقابلة لوحة للفنان من اعماله فى عام ١٩٨٠ استخدم فيها الوان زيتية وبوليستيرات ... وعلى هذه الصفحة : نحت تجلى (١٩٧٤) وجرافيك حبر على القماش (١٩٧٨)



خط على الرق (حبر) ١٩٨٠

هلموا معى نحتفل بالاصباغ ، بالاشكال ، بالاحجام ، بالابعاد . فهذا العيد هو عيدكم .. هلموا جميعاً من وراء الاحقاب والازمان، قدموا الواح معارفكم وعلومكم . القوا حفنات تلو حفنات من البخور على مواقد الحروف :

انت خذ ازميلك ومطـرقتك
انت خـذ قلمك ودواتـك
انت خـذ مسطرتك وميزانك
انت خذ ريشـتك وحبرك
انت خذ مقياسك ومكيـالك
انت خذ فرشاتك وقمطـرك
انت خذ منظارك ومجهـرك

متى اتممتم الاعداد عليكم بالعزف ، والرقص ، والنحر ، فمن لم يعزف ، ولم يرقص ، ولم ينحر ، لا عيد له .

هات الطين والصلصال
اعطنى الرماد والصوف والصمغ
هات الجير والرمل
ناولنى القصب والخشب
هات الرخام والمرمر
ناولنى الاسمنت والحديـد والرصاص والفولاذ والزجاج
هات الذهب والفضة
هات القطن والكتان والحريـر والحلفاء
هات النفط ومستخرجات النفط
هات الحناء
هات الجلد
هات النحاس
هات العاج
هات الزنك
هات الزئبق
هات الزيت
هات الماء
هات الهواء
هات النار
هات التربة
هات المادة كلها حتى يقوم حرف واحد .

جدارية منسوجة ـ كليم قصبة (نموذج) ١٩٨٠

نجا المهداوي
رسام من نوع آخر

كتاب الالف

بهذا النثر الذى يشبه القصيد قدم الناقد والقصاص والمسرحى التونسى المعاصر عز الدين المدنى واحدا من اهم الفنانين التشكيليين فى تونس وهو الفنان « نجا المهداوى » الذى نالت اعماله عدة جوائز على المستوى العربى والعالمى .. ووضع مقدمته تحت عنوان « كتاب الالف » ونظرا لاهمية تلك المقدمة وقيمتها الثقافية فى مجال الفن التشكيلى فاننا نقدم بعض فقراتها ، لعلها تلقى الضوء على لوحات هذا الفنان المجدد ، وعلى نوع من الكتابة الفنية المزودة باهم اسلحة الكاتب وهى : المعرفة !

● اننا نقول بان كل معين طبيعى ، وبان كل مربع بشرى . فنحتنا ، ورسمنا ، وسطرنا ، وحفرنا ، ونقشنا ، ورفعنا ، وكتبنا حروفنا كلها طبيعية وبشرية لاننا تداولنا المادة من ذاتها . فكنا فيها وكانت فينا . أمر واحد ، وشيء واحد ، وطبيعة واحدة ، وواقع واحد ، ومال واحد . وقد اعلنا فى القديم ومازلنا نعلن فى الحديث ان المثال والواقع لا يتناقضان .


جدارية منسوجة (١٩٨٠)

الآن ، وقد اينعنا ، فلنصبغ المدن بالجير والصحارى بالنيلة ، والبحار بالمرجان ، والارض ، بالياقوت ؛ والزمرد ، والماس ، والجوهر ، والدر ، والبردى ، وعظام الجمال والخيل ، والجلود والالواح ، والكتب بالحبر الصينى ، بالزعفران ، بالصمغ ، بالذهب حتى يقوم حرف واحد اسمه الهمزة .

● اجلس وتناول اقلامك و دواتك .

وقل : باسم الله .

ومد يمينك ، فانها ستنقاد لانك قريب من الحرف . بل انك انت الخط ، وانت الحرف !

كن على يقين لا يشوبه ريب بانك من سلالة من نقش ضريح امرىء القيس ، بعد ان اقام بحران ، وزبد ، وام الجمال ، وخلف فيها اثارا لا تمحى .

ثم انك تنتسب الى خطاطين اعلام كابى علي بن مقلة الوزير ، وابى الحسن علي بن هلال بن البواب ، وابى حيان التوحيدي ، ويحيى بن محمود بن يحيى الواسطى ، وياقوت المستعصمي ، ومحمود النيسابورى العارفين ، المبدعين

مد يمينك نحو الورقة البيضاء البكر ، وامسك بقلمك ، وردد في سرك وفي علانيتك ما حفظته ايام الطلب قول القائل :

« الكاتب يحتاج الى سبعة معان : الخط المجود بالتحقيق ، والمحلى بالتحديق ، والمجمل بالتحويق ، والمزين بالتخريق ، والمحسن بالتشقيق ، والمجاد بالتدقيق ، والمميز بالتفريق . فهذه اصول الخط وقاعدته المتضمنة لفنونه » . (ابو حيان التوحيدي) .

لابد لك من احترام قواعد الخط وسننه ، مهما رقصت الحروف في مخيلتك وامام بصرك ، ولا مناص لك من الابداع داخل تلك القواعد مهما احدثت من اساليب الخط .

● كل ما سبق من القول يؤيد القطيعة المعرفية ويدعمها ، القطيعة المعرفية هي الحد الفاصل بين الذوبان في الغير والايمان بالكيان ، بين الاستلاب والوعي ، بين التلفيق الايديولوجي والنظرية اليقظة الواضحة ، بين الانهزام التاريخي والوعي التاريخي ، بين الثقافة المكرورة والابداع .

القطيعة المعرفية تقول بان لنا الحق في ان نختلف ، وان نتباين ، وان نتنوع .

القطيعة المعرفيــــة تقول بان هنـــاك اختلافا جذريا عميقا جدا بين الحضارة اليهودية المسيحية وما انتجته من ثقافات وبين الحضارة العربية الاسلامية على امتداد ازمنتها .

القطيعة المعرفية تقول بان المعرفة في الرقعة الحضارية العربية الاسلامية كل شامل تام ، لا تفاضل بين اصنافها ، لان التفاضل هو من المفاهيم العملية في الفلسفة الايجابية التي كانت عماد السوق الراسمالية في تقييم العمل . انه من العبث ان نفضل علم الاجتماع على الفيزياء ، او نؤثر الكهرباء على علم اللغة ، او ان نختار علم الزراعة ، وان نترك جانبا علم الدلالات. وهل السياسة غريبة عن الكتابة ؟ وهل علم الامراض العصبية غريب عن المسرح ؟ وهل الرسم غريب عن الطبخ ؟ انما المعارف تنساب من حقل الى حقل دون حواجز تعزلها عن بعضها البعض ، لكي يتناول منها كل انسان ما يشاء على قدر حاجته ، وطموحه ، وعشقه ، وحريته حتى لا يقال له : لا تخض فيما لا تعرفه ! لان الاحتكار لا وجود له في المعرفة ، بل هو ملك مشاع بين الناس كافة .

القطيعة المعرفية تقول بان كل علم متحيز ، وبان موضوعية العلم خرافة .

القطيعة المعرفية تقول بان التناقض بين الروح والمادة بين المثال والواقع ، بين العقـــل والتجربة هو تنـــاقض موهوم لا اساس له من الصحة اللهم الا في ادمغة الحضارة اليهودية المسيحية .

القطيعة المعرفية تقول بان الصـــلة التي كانت تربط الحضارة اليهودية المسيحية بالحضارة العربية الاسلامية قد تمزقت ، وبحكم ذلك يجب نقد الفكر الفلسفي والفكر الادبي والفكر العلمي والفكر الفني في الحضارة اليهـــودية المسيحية ، حتى تتم السيطرة المطلقة على ذلك الفكر .

ولا يكون ذلك النقد ولا يقوم الا على اسس تنظيرية مستخرجة من باطن الحضارة الاسلامية ماضيا وحاضرا ومستقبلا . وتستوجب هذه الأسس التنظيرية معرفة دقيقة مدهشة ، وتحاليل متماسكة ، ودراسات ميدانية محصورة .

● القطيعة المعرفية تقول بان مجال الفن متماسك متلاحم متفاعل متجادل مع سائر مجالات الحياة والفكر والممارسة لذلك لا يوجد داخل مجال الفن فرق بين الكتابة والرسم والموسيقى والسينما والرقص والمسرح والنحت والتصوير ، بل هناك صيرورة دائمة .

القطيعة المعرفية تقول بان مجال الكتابة او مجال الرسم او مجال الســـينما مثلا لا يمكن له ان يكون الا على امرين متجادلين :

استخراج نظرية من داخل الحضارة

الوان اكريليك على الورق (١٩٧٧)

نجا المهداوي
رسام من نوع آخر



والعلامة تعشق الفضاء السطحي البعدي ، وتكره العمق ، والباطن ، والضمني .

الفنان يتناول العلامة ، بدل الموروث المخصوص ، ويجعلها مضرب الأمثال ، ويجعلها مضرب الابداع وبذلك يرفض الفنان التقليد ، ويجادل التراث ، ويواصل الخيط الرقيق الشفاف الذى يشد كافة حلقات الماضى والحاضر ، والمستقبل اي نواعير الزمان ، وعراه .

● كيف نسمي هذا الفنان من النمط الجديد الذى يعدل قصداً عن فن الخط وتقاليده العريقة والحديثة وسننه ، ويتخذ العلامة الخطية منهاجا لعمله الفني ؟

هل هو خطاط ؛ اذ الخطاط يشتغل بالحروف ، ومجموع الحروف والكلمات ، ومجموع الكلمات ، والجمل ، والفقرات ، ولعله يتجاوز فى بعض الأحوال ذلك كله ليستعمل الحروف والكلمات ، والجمل ، لاسيما المأثور من الكلام ، فى تصوير وجوه وسحن ، واقمار ، واشجار ، وحيوانات واشكال هندسية ؟ .

ليس هذا الفنان بخطاط ، ولا يمكن لنا ان نعده من الخطاطين ذلك انه يقتصر على العلامة الخطية ، وهو يعلم ان دالها هو الخط بجميع انواعه ، وان مدلولها هو البعد المرئي الخاص بالحضارة العربية الاسلامية .

هل هو مزخرف ، إذ المزخرف يصنع توشيح المخطوطات ، وتزيين البنايات ، وحفر الأخشاب ، ونقش العاج ، وسائر المعادن الثمينة بالحروف ، او بالصور الانسانية ، والحيوانية ، والنباتية ، او باشكال هندسية ؟

ليس هذا الفنان بمزخرف ، ولا بمزين ، ولا بنقاش ، ولا بمرصع ، ولا بمذهب ، بل يقوم بهذه الحرف جميعها ، ويتجاوز بها الى مستوى الفن حيث تندمج شخصية الفنان فى المواد نفسها لتصير اعمالا فنية قائمة بذاتها لا تحتاج فيها الى اصل او الى اساس .

هل هو كاتب اذ الكاتب يعنى بالحروف ، والكلمات ، والجمل ، والتعبير ، والاشكال ، والمضامين ، والمثل ، والقيم ؟

ليس هذا الفنان بكاتب ، ذلك ان اعماله لا تقرا كما تقرا المؤلفات ، ولا تفهم كما تفهم الكتابة الابجدية .

هل هو رسام (بالمعنى الغربى لهـذه الكلمة) اذ الرسام يهتم بالألوان والاشكال فيجعلها على لوحة زيتية أو على لوحـة من اية مادة كانت ؟

نعم ، هذا الفنان هو رسام ، لكنه رسام من نوع اخر ، ذلك انه اضاف الى الالوان العربية الاسلامية ماضيا وحاضرا ومستقبلا .

انقد الفن الغربي بواسطة تلك النظرية .

وشان الاسلوب الجاحظي والمنمنمات الواسطية كشان سائر الصنائع والمعارف والمواقف والتيارات الفلسفية .

فماذا نفعل اذن ؟

اذا كان التراث وجهاً من وجوه البديل الذى ننشده بكل طاقتنا فى جميع المستويات ، فاننا نقول بان ذاك المعمار السني المالكي علامة ، وبان هذا الصحن من الطبخ الأندلسي علامة ، وبان تلك الانية من النحاس المنقوش علامة ، وبان شكل تلك الحكاية الجاحظية علامة ، وبان صفة هذا الموقف من الأحداث اليومية والمصيرية علامة ، وبان هذه الحروف ذات الخط الكوفي ، والمغربي ، والثلثي ، والديواني ، علامة . من بين نسق من العلامات التى افرزتها الحضارة العربية الاسلامية طوال قرون متعاقبة الى يومنا هذا .

والعلامة تعشق التظاهر ، والبهرج ، والتبرج ، والتالق ، وتكره الخفاء ، والغموض والاشكال .

والعلامة تعشق التعبير ، والهيمنة ، والموضوعية ، وتكره التخصص والتفرد ، والاستثناء .



جدارية منسوجة (١٩٨٠)

والاشكال الزخرف ، واضاف الى الالوان والاشكال والزخرف والخط الكون وما فى الكون من شخصيته الفنية .

فما اسم هذا الفنان اذن ؟

ليس من الضروري ان يبقى فضاء هذا الفنان من النمط الجديد فى اطار لوحة ، وان يسجن فيه ، مهما كان كبر اللوحة ، أو اتساعها ، او عمقها .

كل فضاء كوني ، ولا سيما فضاء هذا الفنان :

داخل البيوت وخارجها .

على الشوارع ، وفى البطاح .

عند تمفصل الاحياء ، والاحواز ، والنواحي .

كل فضاء يكون مجالا حرا يستقطب البصر .

الوان جواش على الورق (١٩٧٣)

بتعبير اخر :

لا تحديد الاطار ، ولا سجن اللوحة .

لا ضيق الرواق ، ولا تضخم الابلاغ الفولكلوري .

لا تمنطق العقلانية ، ولا انعكاس الطبيعة او الواقع .

لا مجانية المجتمعات الاستهلاكية ومفاهيمها المتفرعة .

كل فضاء يصنعه الفنان مجالا حراً يستقطب البصر .

بتعبير ثالث :

انسجام بين الاحجام ، بين الابعاد ، بين الاعماق .

اندماج الفضاء فى الفضاءات الاخرى .

تلاؤم بين كافة المواد .

جدلية سجال بين جميع الفنون والحرف والآداب والعلوم والمعارف .

● من اين اتناول اشكالي ؟

من المنتهى فى الصغر الى المنتهى فى الكبر

من تكوين العين ، من تكوين النظام الشمسي

من تركيب الذرة ، من تركيب الخلية ، من تعمير المدينة العربية الاسلامية

من موقع المحراب حين تحيط به الزخارف

من انظمة الخطوط وتكويناتها

من صنائع الحرف ومنتوجاتها

من اشكال الطبيعة وطينتها

من الصناعات الدقيقة ، ومن كل شيء لأن اشكالي مجردة لا تجريد الرسم الغربى الذى لا علاقة له بالواقع الا على صعيد الذهن ، بل مجردة من المثال ، ومتفاعلة مع الواقع ومندمجة فيه .

عز الدين المدنى



— ولد نجا المهداوي بتونس سنة ١٩٣٧ وهو متزوج واب لطفلين .

— درس « بالمراسم الحرة بقرطاج » .

— ١٩٥٩ اول معرض جماعى بدار الثقافة ابن خلدون بتونس .

— تابع دروس شعبة الفن الحديث بالـ « دانتى الليغيرى » بتونس حيث عرض سنة ١٩٦٥ .

— متحصل على ديلوم فى الفنون التخطيطية من اكاديمية « سانتا اندريا » بروما .

— شارك بصفته عضوا فى مجموعة « فونتانا » بميلانو فى عديد من التظاهرات الفنية بروما، وفلورانسا وميلانو والبندقية .

— عضو مؤسس فى تجمع الرسامين العرب بايطاليا .

— ١٩٦٧ الميدالية البرونزية لمعرض السنتين بروما .

— ١٩٦٧ الكاس الفقى للمعرض السريالي بروما .

— ١٩٦٧ الجائزة الكبرى الأولى للرسم بدوفيل .

— درس عام ١٩٦٨ بمدرسة « اللوفر » فرع « الفنون الشرقية القديمة » .

— عرض جماعيا وفرديا في عدة مدن (طوكيو ، نيويورك ، لندن) ويعرض بالبلاد التونسية بانتظام .

— تنويه خاص من لجنة التحكيم فى « كان » و « دوفيل » (١٩٦٨) وفى معرض السنتين للرسم العربي بالكويت (١٩٧٩) .

— ١٩٦٨ الميدالية الذهبية لمعرض « نيس » الدولي .

— ١٩٦٨ الميدالية الذهبية لمهرجان الفنون التشكيلية « بكان » .

— ١٩٧١ اصبح عضوا بالمركز الدولي للبحوث الجمالية بتورينو .

— ١٩٧٨ عاد إلى تونس واقام مرسمه بالمرسى .

— ١٩٨٠ شارك بجدرانية منسوجة فى زخرفة مطار جدة .

— ١٩٨٠ الميدالية الذهبية لبلدية جدة

— ١٩٨٠ اختار متحف « الكلينغسبور ميوزيوم » (اوفنباخ) احدى اعماله التخطيطية .

— ١٩٨٠ ـ ٨٢ نظم معارض تنشيطية بمدرسة « البوليتكنيك » بزيوريخ وبجامعتها وبجامعة « جنيف » .



شكل (١) رسم تقريبي مشيد على اساس الوصف الذي قدمه يانج جينشنج وزعم فيه انه راى مخلوقا بتلك الاوصاف .. لكن اين الحقيقة من كل هذا ؟ . (راجع المقال)

وحش الغابات..

الكائن الغريب الذي أفزع الناس

بقلم: د. عبد المحسن صالح

اطلقت المراة الصينية جونج يولان ساقيها للريح ، حاملة طفلتها البالغة من العمر اربعة اعوام ، واخــذت تصرخ وتستغيث مرددة بهســـتيرية جامحة .. « انسان وحش .. انسان وحش » !

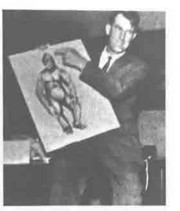
وعندما ابتعدت عن مكانها الذى كانت تجمع منه بعض الحشائش والاعشاب وراء التلال الفاصلة بين قريتها وبين حافة احراش مجاورة ، سالها الذين قابلوها عن سر ذعرها ، وارتجاف جسدها ، فاخبرتهم انها رات الوحش الذى يشبه الانسان ، او الانسان الذى يشبه الوحش ، وهو يرتكز بظهره على جذع شجرة ، ويحتك عليه بشعره الكثيف الذى كان يغطى جسمه من ام راسه حتى اخمص قدميه !

ولم يكذب الناس الخبر ، فانطلقوا الى حيث كانت المراة تجمع العشب ، وتجولوا هنا وهناك ، دون ان يروا اثرا للمخلوق الذى افزعها .. صحيح انهم قد سمعوا كثيرا عن كائنات شبه انسانية تظهر بين الحين والحين فى مناطق كثيرة معزولة ونائية ، الا ان احدا لم يستطع ان يمسك بواحد منها ، او ـ على الاقل ـ يصطاده برصاصة .

وانتقل الخبر الى الشرطة المحلية ، ومنها الى بكين العاصمة ، حيث يوجد علماء متخصصون فى الاجناس .. ولكى يتاكدوا ويطمئنوا الناس ـ خاصة فى المنطقة التى ظهر فيها الكائن المجهول ـ فقد توجه فريق بحثى اليها ، وبالتحديد الى الشجرة التى ادعت السيدة ان الوحش كان يحك بها ظهره ، علهم يجدون فيها اثره وبالفعل وجدوا عشرات من الشعرات ذات اللون البنى ، فجمعوها ليفحصوها فى معاملهم ، وليحددوا بها نوع الكائن الذى تركها .

ولم تكتف البعثة بهذا الاثر ، بل تجول اعضاؤها فى المنطقة ، فعثروا على اثار اقدام وفضلات صورت وجمعت من مواقعها حتى يمكن تحليلها ، والتعرف على نوع الطعام الذى يمكن ان يتناوله هذا الكائن او الكائنات التى من المحتمل انها تتجول فى المنطقة ، او تعيش فيها .

وتمت الفحوص والتحاليل ـ كما اشارت الى ذلك دراسة منشورة فى مجلة « العلم الميسر » منذ حوالى عامين .. واشارت الى ان نتائج التحليلات قد اوضحت ان الشعر الذى ظننوه ـ بادىء الامر ـ انه قد ينتمى الى احد الدببة ، ليس الا نوعا من الشعر القريب الشبه برتبة الأوليات ، وهى التى تضم القرود والقردة العليا مثل الشمبانزى والاورانجتــان والغــوريلا .. لكن القرود





شكل (٢) « سير » ادموند هيلارى وهو يستعرض صورة تقريبية لانسان الثلوج ، واسفل صورة اثر لقدم فى الثلوج ، لكن ذلك لا يعنى انها لهذا الكائن الغريب الذى يتحدثون عنه وكانما هو ضرب من الاساطير .

شىء ، ووصف المراة للكائن المستند الى الشجرة شىء اخر .

وعن اثار الاقدام التى صورت ، جاء وصفها بالضبط هكذا « ان الاثار تنم عن قدم طويل ، مقدمته اوسع من مؤخرته .. المقدمة عرضها حوالى عشرة سنتيمترات ، والمؤخرة حوالى خمسة .. وعلامات الأصابع تشير الى انها ذات شكل بيضاوى الا ان اصبعا منها منفرج قليلا عن الاصابع الاخرى ، وتتجه اثار الاقدام فى خط مستقيم ، وتفصل بينها خطوات يتراوح اتساعها بين ٥٠ الى ٩٠ سنتيمترا » ! .

وعن تحليل الفضلات التى وجدت منتشرة ومركزة فى ستة اماكن فوق ربوة صخرية ، وكانت وقتها جافة وصلبة ، فقد تبين ان هذه الفضلات تحتوى على بقايا اغلفة ثمار غير مهضومة ومنها ثمرة « ابو فروة » البرى ، ولم يكن بها اى اثر لبقايا طعام حيوانى ، مما يشير الى ان هذه الكائنات المجهولة نباتية التغذية !

لمن تكون كل هذه الآثار اذن ؟ .. وهل تشير من قريب او بعيد الى وجود كائنات بين صفات البشر والقرود ؟ .. اى ارقى من القرود ، واحط من البشر ؟ .. لا احد يستطيع ان يحدد ، رغم ما يتردد من روايات ، وما جمع من اثار .. لكن المخلوق ذاته لم يظهر ليصوره او يصطاده احــد ، وكانما هو اشبه « بفص ملح داب » ـ على حد تعبير عامة الناس .

وشاهد عيان اخر

وليست تلك هى المرة الأولى التى يوصف فيها هذا « الوحش » الغريب باوصاف تختلف من شاهد الى اخر ، بل هناك العشرات ممن يدعون رؤيته ، وتتبع اثاره .. اذ يصف احد مديرى الكوميونات الصينية بانج جينشنج البالغ من العمر ٣٣ عاما ما راى لجماعة بحثية تتبع اكاديمية العلوم الصينية فى بكين فيذكر « كان طول الكائن ذى الشعر الكثيف جدا حوالى سبعة اقدام ، وبكتفين اعرض من كتفى الانسان ، وبجبهة راس مفرطحة ، وبعينين غائرتين ، وانف افطس ذى فتحتين متسعتين ، ووجنتين غير بارزتين واذنين كالانسان لكنهما اكبر .. ولقد برز فكاه الى الخارج قليلا ، وكذلك شفتاه ، كما ان اسنانه بدت وكانما هى عريضة كاسنان الخيل ، وظهرت عيناه سوداوى اللون ، اما شعر راسه فكان بنيا داكنا وبطول يصل الى القدم على الاقل ، لينسدل على كتفيه فضفاضا (شكل ١ ـ وكما تخيله الفنان جريج سكوت من وصف الشاهد) .. لكن الشعر على كل وجهه ـ عدا الانف والاذنين ـ فكان اقصر .. ولقد تدلى ذراعاه حتى وصلا الى ما تحت ركبتيه ، ويمتلك يدين كبيرتين بهما اصابع طويلة لا يقل طولها عن ست بوصات ، لكن اصبع الابهام كان منفصلا قليلا عن الاصابع الاخرى ، ولم يكن له ذيل ، لكن شعر جسمه كان قصيرا ، وكان فخذاه مكتنزين واقصر من ساقيه ، وعندما يسير ، فباستقامة ، لكن ساقيه تبدوان منفرجتين .. ويبلغ طول قدمه حوالى ١٢ بوصة ، اما عرضه فتصف ذلك ، لكن الجزء الامامى اعرض من الخلفى ،



شكل (٣) صورة من الفيلم الذى التقطه راعى الابقار ، روجر باترسون ... وفيه يدعى ان تلك الصورة المهزوزة للانسان الوحش الذى ورد ذكره على السنة الناس منذ زمن طويل .. لكن يبدو انها خلاعة

وباصابع مفلطحة ، ولقد كان ذكرا ـ وانا متاكد مما رايت » .

وتذهب الكاتبة الصحفية اودرى توبنج التى كتبت شيئا عن هذه الظاهرة فى مجلة العلم الميسر ، لتوضح على لسان الرجل متى راى هذا المخلوق ، واين شاهده وكانت اول صحفية غربية يسمح لها بزيارة مجاهل منغوليا عام ١٩٧٣ اثناء حكم ماوتسى تونج .. ولقد كتبت رحلتها تلك فى كتاب نشر عام ١٩٨٠ بعنوان « روعة التبت » سجلت فيه ما شاهدت وما سمعت من غرائب هناك ـ فيذكر انه راى الكائن الكث الشعر فى شهر اكتوبر عام ١٩٧٧ فى غابة حيث كان يقوم بقطع الأشجار الواقعة على منحدر الحدود فى مقاطعة هوبى ، وعندئذ ـ والكلام على لسانه « تقدم نحوى اكثر فاكثر ، فانتابنى رعب شديد ، لكننى بدات ابتعد عنه كلما خطا نحوى ، الى ان اصطدم ظهرى بصخرة ناتئة منعتنى من الحركة ، وعندئذ تقدم المخلوق الكث الشعر حتى اصبحت المسافة بينى وبينه لا تزيد عن خمسة اقدام ، وهنا لم اتمالك نفسى ، فرفعت فى وجهه فاسى ، دفاعا عن حياتى ، ووقف كل منا يرمق الآخر ويحملق فيه دون حركة ، وبقينا هكذا لمدة ساعة كاملة ، وبعدها امسكت بحجر وقذفته به ، فاصابه فى صدره ، وعندئذ عوى وزمجر عدة مرات ، وهو يتحسس مكان الاصابة بيده اليسرى ، ثم استدار يسارا وتخطى شجرة ، وسار متباطئا نحو السفح وهو يصدر اصواتا مكتومة » !

ورواية اخرى تحكى قصة ستة رجال كانوا يتجولون بعربة « جيب » فى ليلة قمرية من ليالى شهر مايو ١٩٧٦ بغابة شيننجيا القريبة من قرية بمقاطعة هوبى ايضا ، وفى الطريق وقعت اضواء العربة الكاشفة على مخلوق غريب ذى شعر بنى كث وبدون ذيل ، وتوقفت العربة ولازالت اضواؤها مسلطة عليه ، وعندئذ ترك الرجال الخمسة سائق العربة ، وتوجهوا نحو المخلوق المعترض ليحققوا نوعه .. وتستطرد الرواية لتقول : لم يكن بينهم وبينه سوى عدة اقدام قليلة ، فعاينـــوه بوضوح ، فبدا عليه وكانه يتطلع اليهم بنفس فضولهم ، وبعدها انطلق ليختفى بين الأشجار ، وتسمر الرجال فى اماكنهم دون محاولة لتتبع مساره ، والكشف عن سره ، ولكنهم فى صباح اليوم التالى ابلغوا اكاديمية العلوم الصينية ببكين انهم راوا الانسان الوحش رؤية لا ريب فيها ولا خداع !

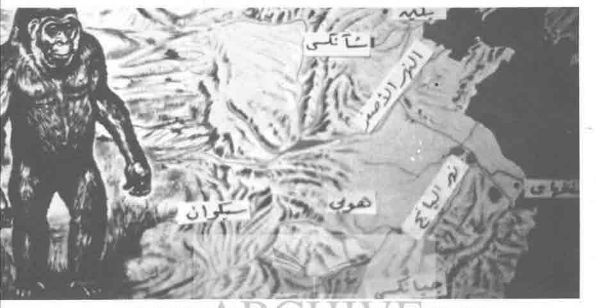
من وحش الغابة إلى وحش الثلوج

وهناك مئات القصص والروايات التى يتناقلها الصينيون منذ الاف السنين عن ظهور الانسان الوحش ...... لكن احدا لم يستطع أن يصطاد ولو مخلوقا واحدا ، حتى يثبت بالدليل القاطع وجود مثل هذه المخلوقات التى تتردد على السنة الناس ـ ليس فى الصين وحدها ، بل فى معظم القارات .. لكن قبل ان نتعرض بالحكم العلمى على ما يتحدث به البشر ، دعنا نسوق ظاهرة اخرى مختلفة كانت مثار جدل كبير ، وفيها يدعى البعض انه راى انسانا غريبا يعيش فى قمم الجبال العالية حيث الثلوج الدائمة ، ومن هنا اطلقوا عليه اسم انسان الثلوج الوحش !

ولقد ترددت على مر العصور حكايات بين سكان المناطق المتاخمة لهضاب التبت فى اسيا ، والهيمالايا فى اوربا ، ليس ذلك فحسب ، بل لقد انتقلت العدوى الى متسلقى الجبال من الاوربيين ، وادعوا انهم شاهدوا انسان الثلوج وهو يتجول بعيدا عن الانظار ، ثم يختفى باسرع مما ظهر داخل كهوف ثلجية !

ومن هؤلاء متسلق الجبال الشهير اريك شبتون الذى قرر انه رأى اثار اقدام غريبة بين ثلوج الهيمالايا فى نوفمبر عام ١٩٥١ ، وظل يتتبع تلك الآثار قرابة ميل الى ان اخفت الثلوج معالمها ، ومع ذلك فقد التقط لها بعض الصور كدليل على ما راى .. ثم ياتى واحد مثل « سير » ادموند هيلارى ـ الذى صعد من قبل الى قمة ايفرست ـ ليذكر انه يعتقد فى وجود انسان الثلوج ، اذ سمع من مرشده تنسنج نورجى ـ الذى صعد معه الى القمة ـ ان اباه (والذى صعد بدوره الى اعلى ايفرست) قد راى احد هـــذه المخلوقات الغريبة وقد تغطى جسمه بشعر كثيف ليحميه ! (شكل ٢) .

وفى عام ١٩٥٨ اثار دكتور الكسندر برونين العالم السوفيتى غضب زملائه عندما اسر لهم انه راى شبيه الانسان فى



شكل (٤) خريطة تبين بعض مقاطعات الصين ، حيث يدعى البعض ان الكائن الفرويلهر فى مقاطعة او اكثر منها ، والى اليسار رسم توضيحى لهذا المخلوق الخيالى .. وسوف يظل كذلك حتى يثبت ما يصحح ذلك !

جبال البامير (بوسط اسيا ، وجزء كبير منها يقع جنوب الاتحاد السوفيتى) واتهمه البعض بالخبل ، لانه لا يعرف شيئا عما يقول ، فان ما ذكره هراء فى هراء ! .

ويبدو ان العدوى قد انتشرت حتى وصلت الأمريكتين وكندا .. اذ ظهر الوحش هناك ، ولكن باسماء وصفات مختلفة .. وتناولت اجهزة الاعلام هذه الحكايات بالنشر والتعليق ، حتى زادت حصيلتها عن المئات ، ولكى تضع احدى دور النشر حدا لهذه القصص التى ثار حولها جدل كثير ، فقد اعلنت عن جائزة قدرها مائة الف دولار لمن يصطاد مثل هذا الانسان الوحش او يقدم دليلا قويا على وجوده ، لكن احدا لم يتقدم لنيل الجائزة حتى الان .. يضاف الى ذلك ان بعثة بحثية قامت بمسح منطقة واسعة معزولة ، حيث تتردد عنها اقاويل بان مثل هذا المخلوق يختفى فيها ، لكنها عادت بخفي حنين .

ومع ذلك فقد تقدم مربى الماشية روجر باترسون بفيلم طوله ٢٩ قدما مدعيا انه يحتوى على الدليل القاطع لوجود الانسان الوحش ، اذ راه يتحرك فى ممر ضيق معزول بالقرب من يوريكا بكاليفورنيا ، وكانت المسافة بينهما حوالى مائة متر .. والغريب انه وصف ذلك المخلوق بانه طويل وذو شعر كثيف وبقامة معتدلة ، وهو يعتقد انها انثى لوجود ثديين متدليين ، وكانت تقفز بخطوات واسعة ، وتهز ذراعيها وكانها تجدف بهما فى الهواء ، وقبل ان تختفى فى الغابة نظرت الى الة التصوير نظرة خاطفة .. وهو يعتذر لان الفيلم جاء مهزوزا وغير واضح (شكل ٣) ، لكن الخبراء الذين فحصوه قد اقروا بزيفه الواضح ، او هو خدعة لا تجوز الا على البسطاء .. وعلى هذا يعلق تونى ستيفنز رئيس تحرير جريدة « الينوى » محذرا بقوله : ان كل من يتجول فى هذه المنـاطق مرتديا لباس حيوان ، فلا يلومن الا نفسه ، فسوف تصيبه رصاصة فى عجزه .. وواضح ان ستيفنز يقصد اللعبة التى يقوم بها البعض علهم يروجون لوجود مثل هذه المخلوقات الأسطورية !

القصص بعد ذلك كثيرة ، وللاسف فقد نقلها بعض الكتاب العرب ونشروها على انها حقائق اطنبوا فيها وزادوا ، حتى تصبح عند القارىء العادى جذابة ومثيرة ومقروءة ، والغريب انهم اعطوها صبغة علمية ، وقالوا انها جاءت كذلك من مراجع علمية ، وان العلماء اعترفوا بها ، لكنهم لم يستطيعوا تفسيرها .. إلى اخر هـــذه الافتراءات التى تزيد الناس ضلالا ،

وتلصق بالعلم ما ليس فيه .. صحيح ان المراجع العلمية تضيف الى ذخيرتها مئات بل الاف الانواع من الكائنات التى تكتشف لأول مرة كل عام ، وهى كائنات صغيرة الحجم ، او قد تكون فى مجاهل الغابات (ومعظمها حشرات وديدان ونباتات وما شابه ذلك) ، او فى اعماق البحار .. المهم انها تجمع وتدرس وتضاف الى مملكتى النبات والحيوان ، لكننا لم نلحظ على الاطلاق ـ وبحكم تخصصنا ـ ان احدا من هذه الكائنات الخرافية ـ التى تتردد على السنة العامة ـ قد ادخلها العلم تحت لوائه ، فعلى اى اساس تدخل ، وليس هناك دليل واحد على هويتها ؟ .. تحت اى اسم او رتبة تدخل او تصنف ؟!

وحش الغابات..





شكل (٥) صورة حقيقية لطفل مغطى بشعر كثيف ، وبجواره تقف اخته دون ان تظهر عليها هذه الصفة الغريبة .. والى اليمين يظهر ظهر الطفل مغطى بشعر كثيف كأنه شعر ماعز !

عودة الى الانسان الوحش

ومع حرص العلماء على عدم الاندفاع وراء أهواء الناس وظنونهم ، ثم تضييع الوقت والجهد والمال فى امور لا فائدة منها ، ولا مغنم للعلم فيها ، لانها اشبه بمن يجرى وراء سراب خادع ـ مع ذلك ، فلا مانع لدى بعضهم من تحرى مثل هذه الامور ، حتى ولو لم يصلوا فيها الى نتيجة ، لان النتيجة السلبية هى على اية حال نتيجة تقـول : لا يوجد شىء من هذا القبيل ، وبهذا تضع حدا فاصلا بين الغث والسمين ، كما حدث مثلا فى وحش بحيرة نيس باسكوتلاندا (انظر مقالنا عن هذا الموضوع بالعدد السابق من هذه المجلة) .

من ذلك مثلا ان سيرادموند هيلارى الذى اشرنا إليه قبل ذلك ، قد راس بعثة مجهزة تجهيزا حسنا وممولة تمويلا طيبا ، وتوجه بها الى نيبال فى عام ١٩٦٠ للبحث عن الانسان الوحش الذى يعيش هناك ، والمعروف باسم « يى تى » .. الا ان البعثة لم تعثر على شىء يذكر ، لكن بعض الأهالى قد عرضوا عليه ان يرشدوه الى رجل يحتفظ بجزء من راس الانسان الوحش ، مقابل مبلغ من المال ، واسعده ذلك ودفع المطلوب وعاد « بفروة » راس الانسان الوحش ، وسلمها الى بعض العلماء ليفحصوها ، وعندئذ تبين لهم ان ما احضره سيرادموند ليس الا جزءا من جلد حيوان نوع من الماعز يعيش هناك ، وان الذى باعه له قد صنعه بيديه ليتقن الخدعة .. وتناقل القوم الخبر ليصبح « السير » اضحوكة ، بعد ان خدعه قروى ساذج من الشرق .

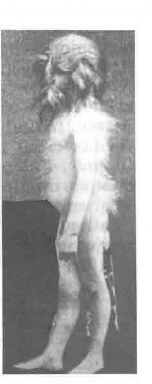
على اية حال ، فالامر هنا لا يخلو من تحقيق ، ففى عام ١٩٧٦ قامت فرق بحثية من بكين وشنغهاى ومقاطعات مثل هوبى وشانكسى وسيكوان .. الخ . وظلت تجوب الغابات التى يدعى الناس انهم راوا فيها الانسان الوحش ذا الشعر الكث ، ومسحت ما يزيد على ٦٠٠ ميل مربع ولفترة تزيد على السنتين .. ولكن لم يعثروا على اى اثر لهذا المخلوق الأسطورى المجهول .. تماما مثلما فعلوا مع وحش بحيرة نيس المجهول (شكل ٤) .

الأصل فى تلك المعتقدات

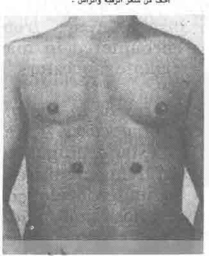
لكن .. لماذا يتفق الذين ادعوا رؤية هذا المخلوق الغريب على انه اقرب لانسان مغطى بشعر كثيف ؟ .. ثم الا يحتمل ان تكون البداية اسطورة لظاهرة راها الناس رؤية العين ، فحاولوا تعليلها باشباه بشر يعيشون معزولين فى الغابات ؟

ان ذلك محتمل جدا ، خاصة وان الانسان ذا الشعر الكث موجود بالفعل ، وشعره ينسدل على جسمه كانه شعر ماعز او دب او قرد .. لكن هذا الانسان الغريب ليس موجودا هذه المرة فى الغابـــات والأحراش ، بل موجود مع الناس الذين يطلقون هذه الحكايات .

لقد نشرت مجلة انباء الصين المصورة فى عام ١٩٧٨ مقالا مصحوبا بصورة طفل صينى يدعى يوزنهوان .. والطفل مغطى بشعر كثيف عدا الجزء الأمامى من وجهه ، وقد ولد الطفل لأبوين عاديين ، كما ان اخته الواقفة الى جواره قد جاءت عادية ايضا (شكل ٥) ومثل هذه الحالات نادرة



شكل (٦) صورة لصبى وعلى وجهه ورقبته شعر كثيف ، وكانما هو بصورة اقرب الى الاسد ، ومن هنا جاءت التسمية .. لاحظ ايضا ان جسمه مغطى بشعر طويل ، لكنه اخف من شعر الرقبة والراس .



شكل (٧) من المفروض ان يكون لكل فرد من النوع البشرى لديان لاغير .. ضامران فى الرجال ، مكتنزان فى النساء .. لكن احيانا نادرة يظهر اثر لديين اخرين ـ كما هو واضح فى الصورة ـ وهى ظاهرة الاتافيزم ـ كما يعرفها العلماء .

الحدوث جدا ولقد سجلت الصين ولادة ١٩ حالة مماثلة ، وناشدت الحكومة الناس الا يربطوا بين ولادة مثل هذه الحالات ، وبين ردة او نكسة نحو الحيوانية ، لان غزارة الشعر لا تعنى ان المولود ليس انسانا سويا ، بل هو انسان يتمتع بالعقل والذكاء وحسن التصرف ، وسمو العاطفة ، والبعد عن العدوانية .. الى اخر هذه الصفات الانسانية .

والواقع ان مثل هذه الظاهرة تعرف علميا باسم الاتافيزم Atavism ، وهى التى يظهر فيها الكائن الحى بصفة او صفات تملكها اسلاف حيوانية بعيدة عن الانسان ، لكنها احيانا تظهر فيه ، وبنسب ضئيلة للغاية ، وعادة ما يرجعها الناس الى تفسيرات غريبة .. كان يقال ان الام اثناء حملها قد وقعت عيناها على قرد ، او اعجبت بفرس ، او داخلها الشيطان .. الى اخر هذه التفسيرات التى لا تقوم على اساس !

تذكر لنا العالمة الروسية ايرينا كاروزينا فى كتابها « البيولوجيا » ان السيرك الروسى فى السبعينات من القرن الماضى كان يعرض ضمن برامجه رجلا وابنه بشعر يشبه شعر الكلاب ، وينتشر حول كل جزء من جسميهما .. وهناك ايضا الولد الاسد ، ويدعى ستيفان بوبروفسكى ، اذ جاء الشعر على راسه ووجهه ورقبته وكانما هو شعر اسد (شكل ٦) ، وبقية جسمه مغطى بشعر اخف ، كما ظهرت فى الهند عائلة ذات اجســـام مغطاة بشعر كث كشعر الحيوان ، بما فى ذلك النساء ، وتسلسلت هذه الصفة من الجد الى الحفيد .. كما عرضت ايرينا صورة انسان باربع حلمات (انظر شكل ٦) ، وولد بذيل .. الخ .

إن هـــذه الظــاهرة غير مفهـــوم اسبابها تماما ، والحديث فى اصولهـــا الوراثية قد يتشعب ويطول ، لكن يكفى ان نقول إنها ترجع الى عوامل جينيـــة (وراثية) ، حيث تجمع الصدفة النادرة بين جينتين او اكثر ، فتعبر عن نفسها بشذوذ خلقى ، ويعيده الناس الى اصول حيوانية ، ثم يتصورون ظهور هذه الاصول فى حيوانات اسطورية ليس لها من وجود حقيقى الا فى تصورات رديئة قد تتخذ احيانا شكل الهلوسة ، وهى لا تظهر الا عند انسان لديه عقيدة راسخة فى وجود مثل هذه الكائنات ، وقد تبدو له فى عزلته على هيئة تهيؤات ، فالذى يعتقد فى شىء يراه والذى لا يعتقد ، لا يرى .

ولاشك ان انتشار مثل هذه الحكايات على مر العصور قد حفر فى ذاكرة الاجيال اعتقادا راسخا بوجود هذا الكائن او ذاك فى الغابات ، او على قمم الجبال المغطاة بالثلوج ، وقد يكون ما راى خداعا بصريا ، او ربما حيوانا من حيوانات الغابة ، لكن خوفه وتصوره قد جسدا له ما رأى فى انسان غريب كث الشعر .. ومما يساند ذلك ان فقيها هنديا فى لغة هؤلاء القوم قد اعاد اصـــول كلمـــة « يى تى » الى كلمتين مستخدمتين بين اهالى التبت ، وتعنى احداهما احمر ، والاخرى دب ، اى الدب الاحمر ، واحيانا ما يقف الدب على رجليه الخلفيتين ، وربما اوحت استقامته للانسان المهيا نفسيا لذلك ، انه تقابل وجها لوجه مع انسان الغابة الوحش ـ كما اوحى اليه تراث الاجيال الاسطورى من مئات السنين ، ذلك ان اقدم اسطورة صينية عن هذا المخلوق المخيف يرجع تاريخها الى حوالى الفى عام !

وطبيعى أن كل نوع من الكائنـــات لا يمكنه ان يعيش فردا وحيدا ومشردا ، بل لابد ان تتالف افراده فى جماعات ، حتى يمكن ان يكون بينها تزاوج وذرية واجيال ، وبهذا يكتب لها الاستمرار ، وليس من المعقول ان يظهر واحد ثم يختفى دون اثر يذكر ، هذا رغم البعثات الاستكشافية التى تمسح قطاعات واسعة من الغابات ، ودون ان تهتدى الى موطن جماعة منها ، او الامساك باحد افرادها ، او حتى بالتقاط صورة واضحة لتكون دليلا عمليا على وجود مثل هذا المخلوق الاسطورى .

لكن كل ذلك قد يهـــون اذا ما قـــورن بمخلوقات اخرى اعجب واغرب تهبط علينا فى اطباق طائرة من الفضاء ، وهى لازالت مادة دسمة تتناولها الصحافة ، ويرددها الناس .. فهل هناك حقا مخلوقات فضائية حطت على ارضنا ، ام انها ايضا خدع وروايات ليس لها من اساس تماما كخدع وروايات وحش البحيرات والغابات والثلوج ؟ .. دعنا نرى .

عبد المحسن صالح

ويبقى الصوت حيّاً



قصة بقلم :
ليلى العثمان

تقول الحكاية : ان ذلك الصوت الحزين الباكي كان ينساب عبر نسيم الليل من مكان ما .. ليطرق الاذان .. ينسكب فيها انسكاب الماء الحارق على الجسد .. ياتى موجعا .. مترعا بالالم .. فيه مزيج من الشكوى .. والابتهال . وينذر بحدة قد تتفجر يوما فتصبح جنونا يشق بكارة الحي الغافي دائما على حكايات صغيرة .

هذا الصوت موّال بدا يسمع فى الليل ، يفوح صداه مثقلا بروائح الالم . وفى النهار رغم الضوضاء والصخب ، يحسه كل من يتحرك وكانه داخل اذنه .. يشقها ، ينتزعه من اشغاله اليومية ، ما بين اللحظة والاخرى وكانه يذكره بان الصوت ما يزال .

اصبح هذا الموال يقلق الصمت .. ويفجر التساؤلات وهو حزين شاك لا يفتا يردد :

« قلبى على طوير خضر
شالوه من إيدي
ماشافته العين لا
وما رضعه دويدى (١)
عيني عماها ملحها
والنار على خديدي
اصرخ وجمر فى الحشا
وينه ثرى وليدي » .

• •

يوم الجمعة ينفض شمل المصلين ، يخرجون من المسجد كل يحمل مسبحته ، تسبقهم ايات الحمد والشكر ، يتوزعون بين الدكاكين القريبة ثم يتفرقون متوجهين كل إلى بيته . يمرون عبر الأزقة الطينية حيث تبدو النساء الكادحات عائدات من « ساحة الصفاة » (٢) بعد نهار شاق ، واحدة تحمل قفص الدجاج على راسها . وتدب فى سيرها ، وشجار الدجاجات متواصل فى القفص ، وبعض الريش يتطاير حتى يلتصق « ببوشيتها » (٣) الكالحة . واخرى تحمل سلة مهترئة فارغة الا من بعض قشور بيض تكسر وتلون بلون الصفار الذي تجمد عليه . وام خضر ـ يعرفها اهل الحي ـ تدس بقشتها المليئة بحاجيات النسوة ، وغالبا ما يكون حجم البقشة فى طريق العودة اصغر مما كان عليه حين خرجت فى الصباح . وبائعة الباجلاء تهف على وجهها وقد اختارت ظلا تحت الجدار . ولم يكن الطريق يخلو من همهمات .. وسلامات .. واحاديث عابرة بين النسوة . وقد توقف إحداهن ام خضر لتفك بقشتها وسط الشارع لتتفرج على ما لديها من حاجات .

ويتراكض الاطفال بين النسوة والرجال يتطاير غبار الطريق تحت اقدامهم . ويشوطون الحجارة التى قد تنفلت وتسقط فى قدر الباجلاء ، فتثور بائعته وتسب ولا من يسمع .

والبنيات الصغيرات على رؤوسهن تتربع « مطابق » (٤) اللبن وهن قادمات من بيت ام علي . او صرر الملابس الملونة لقادمات من بيت ـ ام عبيدي ـ الخياطة ، وقد يتلاسن احيانا مع بعض الصبية المهرجين .

تصب هذه الافواج في الشارع الطويل ، ومنه تتوزع عبر الطرقات الدافئة الضيقة العابقة بروائح الطعام .. والكاز .. وبخار التراب .

وكل من يمر عبر تلك الطرقات كان الصوت يتهادى إليه .. وكثيرا ما شوهد الناس وهم يرفعون رؤوسهم باحثين عن المصدر الذى يصل منه إلى اذانهم ونوافذ بيوتهم ، فتعلو وجوههم دهشة وحيرة ؛ بينما السؤال يتوالى مع توالي الليالي والايام : من صاحبة ذلك الصوت المتفجر الما بكلمات تؤكد نواح ام فقدت طفلها ؟؟

• •

لم يكن احد ليعترف من الرجال بان لهذا الصوت وجودا . كان كل واحد منهم يخشى ان تلصق به تهمة إيواء هذا النواح لكن الفضول النسوى كان يوقف سير الاقدام التى كثيرا ما تحار اين تستقر : كل فراغ ياتي الصوت ، ومن كل نافذة يخرج .. ومن كل حجر ينطق ، حتى ان بعضهن اخذ يشيع ان « شيطانا ما » يفعل هذا .. وبعضهن يؤكد وجود امراة نائحة يستمعن إلى غنائها حتى تبتل بوشياتهن بقطرات الدمع .

تقول ام خضر وهى تفك بقشتها فى حوش احد البيوت :

ـ كان الصوت ياتى من بيت « فلان » فتضرب ام سليمان على صدرها الذى يكاد قفصه ان يشق الثوب :

ـ ويه : عنده زوجتان اراهما كل جمعة فى السوق .

وتحرك ام خضر اناملها بشكل مروحة ثم تستغفر ربها ثلاثا وتهمس :

ـ وعنده بنت عانس ! الله اعلم . فتصفق ام سليمان كفا بكف :

ـ لا حول ولا قوة الا بالله .. ولكن يا ام خضر هذه واحدة تنعي ولدها . تنفض ام

خضر عباءتها وتهب واقفة :

– الشكوى لله . والله لا ندري ما هي السالفة . وتخرج .. تترك السؤال مطروحا : ترى : هل ياتي الصوت من بيت فلان حقا؟؟ وتكاد المراة تؤكد كلام ام خضر لتريح خاطرها .. لكن « عبدة » (٥) بيت « ابو وزان » تهز قناعتها غير الكاملة حين تجيء في المساء لتوصل غرضا : جلست وتجشات فانتثرت في المكان رائحة فجل ، فهفت ام سليمان بمهفتها وهى تزم شفتيها قرفا :

– الله هداك يا « غروبة » كانك اكلت عشر شدات من الفجل .

ابتسمت بخجل :

– والله صحيح يا ام سليمان .. رعيت اليوم بالفجل دون أن ادري .. وانا في طريقي ظهرا من الدكان .. جاءني ذلك الصوت الشاكي .. تعوذت من الشيطان لاكمل طريقي ، لكن الشيطان جبار ، وسوس لي ، من هنا الصوت ، فامشي ، لكنه غاب حين وصلت وكانه ياتي من الخلف ويهمس لي : من هنا .. فاتبعته .. واحس بالجوع فاكل من الفجل ، ظللت ساعة واكثر حتى كاد يؤذن العصر ولا فائدة ، الصوت يهرب إن لحقته .. ويلحقني إن تركته .. و ...

قاطعتها ام سليمان :

– ما الذى يجبرك ؟ غيرك فعل مافعلت .. ولا احد حتى الآن استطاع ان يعرف صاحبة الصوت او مصدره .

فتفاخرت « غروبة » بصوت ابح :

– ويه .. يرحم والديك ، بدا النـــاس يتهامسون .

وتفجر فضول ام سليمان بفرح :

– بماذا ؟ من تهامس ؟؟

تهربت غروبة من ذكر اي اسم :

– الناس .. اقصد بعضهم .. وحتى عمى « ابو وزان » سمعته يهمس ان الصوت ياتي من بيت « ابو شهاب » .

ثم نفضت ثوبها : والله اعلم .

قالت ام سليمان :

– تقولين « ابو وزان » قال هذا ؟

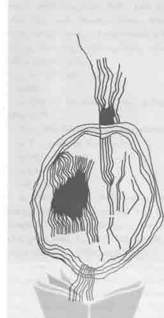
وانتشر رعب على وجه غروبة :

– الله يخليك يا ام سليمان . لا تقولي انني تفوهت بهذا .. الله اعلم .. قلت لعمتي حين لامتني على تاخــري ونقص الفجل الذى معي انني كنت ادور وأبحث عن مصــدر الصوت ، انني فعلا لم اتعرف او اقنع بمكان .

– وماذا قالت ؟

– سحبت الفجل من يدى بغيظ . وعند الغداء سمعتها تحكى قصتي « لأبى وزان » وهنا همس بما قلته لك .

وعدتها ام سليمان بالا تنطق بمــا سمعت ، وحين تركت غروبة حوش الدار ،





كانت ام سليمان تقف وفي خيالها خواطر ، وصور ، وتهيؤات ، ثم مشت وهى تهمس لنفسها : الشكوى لله الشكوى لله .. ساخبر « ابو سليمان » بما قاله « ابو وزان »

● ●

صارت الأغنية تتردد على افواه النسوة وهن يخبزن خبز الرقاق .. او يغسلن الثياب ، حتى وهن يفركن القدور السوداء بالرمل . وانتقلت العدوي إلى الاطفال صبية وبنات ، فاخذن يرددنها ليل نهار رغم صراخ آبائهن فى وجوههن ووجوه امهاتهن اللواتي يرددن الاغنية .

واصبح الامر اعتياديا .. المارون يسمعون ، يبحثون ، ثم يعجزون . والنسوة بفضولهن يخترعن كل يوم حكاية ، والرجال يستغفرون ويهربون من مناقشة الموضوع . حتى كاد الناس بعد ذلك ان يتجاهلوا الامر .. او ينسوه تماما .

● ●

ذات صباح تعكرت السماء بالغبار الأحمر . كان ناصر يمسك بيد اخته وضحة يقطعان الطريق من البيت الى المدرسة ، يوصلها اولا ثم يكمل طريقه إلى مدرسته ليعود بعد الانصراف ثانية ، فيجدهـــا تنتظره حاملة دفاترها ، وباليد الاخرى عصا من الحلاوة تمصها بتلذذ ، تعطي له نصفها ما ان يصل .

فى ذلك الصباح تاخرا فى النوم .. لذا كان يجرها من يدها راكضا .

صرخت :

– لماذا تركض ؟؟

– لقد تاخرنا ..

وتوسلت بصوت طفولي :

– لا تذهب من طريق الحوطة .. أريد أن امر على الدكان .

كرر وهو يجرها :

– لقد تاخرنا . اشترى الحلوى من قرب المدرسة .

وباصرار قالت :

– لا اريد .. لا اريد ..

صفعها صفعة خفيفة على وجهها .. وشدها إلى الحوطة ، يقطعانها إلى الشارع الآخر .

كان ملح السماء الاحمر يزداد .. والهواء يتلاعب باوراق الاكياس وبعض القاذورات والحوطة خالية تماما إلا من عنزة تركت لترعى بعض الورق والفضلات . وهما يركضان رغم الحصى والعلب الفارغة . وفجاة هوت اخته منكفئة وصرخت :

– إنك تسحبني .



ـ لقد تاخرنا . هيا .. قومي .

وانحنى ليرفعها عن الارض ، فاصطدمت عيناه بكومة من التراب المبلل . وقد تبعثر بفعل سقوط اخته عليه. رفعها .. نحاها جانبا ، نظر إليها وتساءل :

ـ ما هذا ؟

فصرخت فيه كانها تود الانتقام منه :

ـ هيا .. لقد تاخرنا .

وضع سبابته على شفتيه :

ـ هص . لنر . ما هذا أولا .

فجاة عوى كلب ، فارتجفت الصغيرة ، لكنه هداها .. وجلس بقربها .. واخذا يتاملان الكومة الرطبة .. وتساءلت العيون الاربع .. تباعدت .. وتلاصقت .. ثم عادت تعانق كومة التراب . مد يده .. اخذ ينبش الكومة فصاحت اخته بصوت مرتجف :

ـ لا .. لا يا ناصر .. يمكن أن تكون حية.

هداها :

ـ الحية لا تدفن نفسها هكذا .

ويده لا تزال تنبش .. وتنبش . حتى بدات تغوص بعد ذلك . وإذ اصطدمت بشيء ، التفت إلى اخته :

ـ وجدته .

شهقت :

ـ ما هو ؟؟

ـ كنز !

فرحت :

ـ كنز ؟ ذهب يعني !

قال وهو يكمل رفع التراب :

ـ ذهب .. فلوس . المهم وجدنا كنزا .

وحفر .. ثم مد كلتا يديه الصغيرتين ، وانتشل صرة من القماش الابيض . نفض عنها التراب ووضعها بينه وبين اخته :

ـ هيا .. فكي هذه الخيوط .

وانفرجت الصرة عن مشهد جعلهما يقفزان صارخين بصوت واحد : يما .. يما تثلجت اطرافهما لبرهة .. والكلب الذى كان يعوي فى اخر الحوطة اقترب . وصلب اذنين جرباوين ولسانه يلهث ، ثم اقترب . واخذ يشم الصرة ويرفع راسه نحوها .. ثم يدور .. ويدور بينما عيناهما تتقاذفان الخوف والسؤال .

نطق اخيرا بكلمات عوجاء :

ـ هذا ولد .

هزت راسها بايجاب ، ولمح دمعة على خدها تلونت بلون « الطوز » (٦) الاحمر .

طرد الكلب بحركة من يده .. ولما لم يتحرك امسك بعلبة فارغة ، قذفه بها .. ثم بعصا . لحقه حتى ابتعد قليلا ، وعاد إلى اخته التي مدت اصابعها تتلمس جسد الطفل الطري . وحين دنا منها سحبت يدها خجلى . فاخذ بدوره يتفحص الطفل . يشد ساقيه ويديه .. وقال :

ـ هذا ولد ميت .. ولكن !

وبكت :

ـ واي .. انا خائفة .. هنا يدفنون الاموات ؟؟

لامس كفها الصغير ليزيل بعض هلعها :

ـ لا .. يدفنونهم فى المقبرة .

واشارت باصبعها :

ـ وهذا ؟؟

ـ لا ادرى .

ثم انكفا يلف الطفل بقماشه ، وغيره من الصبية والبنات بداوا يهرعون عبر باب الحوطة . يقتربون .. يقتربون . وقبل أن يكمل وضع الطفل فى حفرته كانوا يتحلقون حوله متسائلين .. لكنه صرخ فيهم :

ـ ابتعدوا .. لا عليكم من هذا الامر .

وثار صراخ الاولاد .. ثم امتدت يد احدهم لتشد « ناصر » من فوق التراب .. وتسحب الصرة البيضاء وتفتحها امام اعين الجماعة التى ما كادت ترى المشهد حتى تطايرت رعبا . وتراكضوا إلى بيوتهم ليعلنوا الخبر . فشد على يد اخته .. والوى راكضا هو الآخر ناسيا المدرسة التى خرج إليها مسرعا هذا الصباح .

● ●

سرى الخبر سريان النار فى الهشيم . وخلال وقت قليل كانت الحوطة تعج بعشرات الرجال والنسوة وبعض الصبية الحفاة فى دشاديش النوم المقلمة القصيرة يفركون اعينهم التى لم تشبع من النوم .

اخذ بعض الرجال يهش الجموع ، لكن الجموع تبتعد من جهة لتزدحم من جهة اخرى . وبدا شجار بعض الصبية ، وكان ثارا قديما قد استفاق فجاة بينهم . وبينما تقرص اذانهم وزنودهم اصابع الامهات اللواتي يردن ان يسمعن كل كلمة ينطق بها الرجال المتحلقون حول جثة الطفل التى اصبحت مشاعا لكل الاعين .

قال احدهم :

ـ نواريها التراب .

اعترض اخر :

ـ هذه ليست مقبرة .

تنهد ثالث وتعوذ :

ـ من الذى فعل هذه الفعلة ؟

صرخ صوت :

ـ اقسم انه « ابن حرام » ارادوا التخلص منه !

هداه رجل :

ـ سم بالرحمن . لا تقسم قبل ان تعرف الحقيقة . لكنه احتد اكثر :

ـ حقيقة .. اية حقيقة ؟

واشار بيده إلى الجثة واكمل :

ـ الحقيقة امامك .. ولست اعمى .. جاهل ميت مدفون فى حوطة .

عاد يهدئه :

ـ صحيح .. صحيح .. لكن يمكن !!

ـ لا يمكن .. ولا يصير .. هذه فضيحة تتوارى وتنكشف .

كان الغبار الاحمر قد تزايد ، والهواء يرتفع ويهبط فيحمل معه الورق .. وبقايا القمامات . حتى عباءات النسوة بدات تتطاير ، ولمح احدهم ساق امراة فاقترب منها :

ـ انت .. خذي ولدك وارجعي إلى بيتك ..

ولم ينته حتى كان لسانها ينفلت بالصراخ :

ـ الم تجد غيري ؟ كل هؤلاء ـ واشارت بشكل نصف دائرة ـ كلهن ولا تجد غيري .. ام انني واحدة من اهـــل بيتك لتتحكم بي ؟ حمل الرجل نفسه وابتعد يهز راسه .

اخيرا جاء صوت ابو يوسف .. الرجل التقي :

يا جماعة الخير ! صلوا على النبي . نحمل الطفل إلى «الدختر» (٧) او الى « الامن العام » ونسلمه هناك والحكومة تتصرف .

وتدخل احدهم :

ـ لماذا لا ندفنه يا « ابو يوسف » واحدنا يخبر الحكومة . حرام ان نحمل جثة الطفل بهذا الشكل .

وافقت عدة اصوات :

ـ هذا افضل .. هذا راي معقول .

وتلفت « ابو يوسف » يســــتعرض الجموع .. والصغار واشار :

ـ وهؤلاء الناس ! هل سيتركون الامر بسلام ؟

ـ صدقت يا « ابو يوسف » صدقت .. صدقت ..

همهمات انطلقت ، وكل وجه يستعرض الوجوه الاخرى ، وابو يوسف يقترح :

ـ هل يتكفل احدكم بالذهاب إلى الحكومة .. وآخر بحراسة الجثة ؟ اما انتم ..

وشق طريقه بين الناس :

ـ ارجوكم .. كل .. إلى بيته .

وحين لمح وجوه بعض الاولاد الكبار صرخ فيهم :

ـ وانتم .. لماذا لم تذهبـــــوا إلى مدارسكم ؟ تراكض بعضهم بينما ردد باقون :

- الدنيا « طوز » عمي بو يوسف .
هشهم :
- زين .. زين .. يا الله .. كل واحد على بيته . تفرق الجمع .. بقي اثنان قرب الجثة التي واروها التراب ، وانسحب ثلاثة في طريقهم إلى التبليغ .
لم تتفرق النسوة .. سرن جماعات .. واحاديثهن تتطاير مع تطاير الغبار والقاذورات .. وكل واحدة تتساءل :
- هل يكون الطفل ابن فلانة .. او فلانة .. او فلانة ..
ففي الحي المجاور نساء معروفات ! لم لا تكون إحداهن قد ارادت الخلاص من الطفل ؟ وتساءلت اخرى :
- ولكن ! لماذا في الحوطة .. لماذا لم تدفنه في حوش بيتها ؟
- شيء عجيب ، هذه حكاية لم تخطر على البال ! ولكني اؤكد انه ابن حرام كما قالوا ، وإلا لما تخلصوا منه .

سخرت واحدة :
- كانك ترين ابن حرام لاول مرة ! كم من طفل وجدوه مع « مشيمته » في « البلدية » بين الاوساخ !
- صحيح .. لكن هذا ميت .. وربما مختوق !
- الخوف .. الخوف يا ام حمد .. او ..
التفتت احداهن إليها :
- او ماذا ؟
- الله اعلم .. ربما يكون ابن عائلة !!
وضعت النسوة اكفهن مفروشات فوق رؤوسهن ورددن :
- الله اكبر .. الله اكبر .
وشهقت واحدة بصوت عال :
- يا جماعة .. تذكرت .. اينكن عن الصوت ؟؟
اي صوت ؟ ماذا تقولين ؟
انطلقت التساؤلات من كل الالسنة بفضول ، وكانها تهزأ من جهلهن . قالت المرأة :
اي صوت ؟؟ كانكن نسيتن !
واخذت تردد :
« قلبي على طوير خضر ..
شالوه من ايدى ..... »
وقاطعتها احداهن محتدة :
- بس .. هذا غباء .. الصوت الذي نسمعه صار لها شهور ..
اعترضتها اخرى :
- ما المانع ان تكون ام الطفل ؟
عادت الاولى تدافع عن وجهة نظرها بذكاء تفخر به :
- لقد رايتن الطفل ! هذا مدفون جديد .. وذلك الصوت قديم .. فهل تبقى جثة الطفل سليمة هكذا ؟؟



ويبقى الصوت حيًا

سـاد صمت .. كان كل واحدة تلعن غباءها .. وتهامسن :

ـ صدقت .. صدقت .

عادت الأولى وكانها تريد ان تعيد ذقتهن بانفسهن :

ـ كلامكن عن الصوت صحيح .. والله اعلم .. ربما اخذوا من صاحبته الطفل عنوة .. ودفنوه لكنه على اية حال ليس هذا الطفل .. هذا له ام اخرى ارادت التخلص منه .. ومن يدري ربما اهلها .. ثم ضحكت :

ـ ومن يدري ايضا .. ربما غدا نسمع اغنية اخرى ..

قالت إحداهن وبوشيتها تلتصق بفمها :

ـ إن كانت له ام مغدورة .. فما ان تسمع حتى تهرع إلى المكان .. اما إن .

واكملت اخرى :

ـ إن كانت هي واهلها الذين تخلصوا منه فلن تتحرك .

ـ غدا نسمع الاخبار .

قالت واحدة بحسرة :

ـ من اين ياحسرة ! الحكومة ستاخذه وتدفنه وتضيع قصته كما ضاعت قصص اخرى قبله .

● ●

ولم يكن مقدرا ان تنام هذه الحكاية كما نامت قبلها حكايات .. فحين كان المارة يسمعون بكاء طفل فى اماكن البلدية المنتشرة فى الاحياء .. او فى الســـوق يجدون طفلا فى « زبيل (٨) » تثور الاقاويل .. تلمع الشائعات ثم تصدا بعد ذلك وينام عليها الغبار والنسيان .

● ●

استيقظت الاذان وصدى الصوت النائح يشق المسافات ، يعبر إلى الوجدان ، يهز النوم الراقد فى الاجفان .. ومنذ كبر المؤذن داعيا لصلاة الفجر كانت الاغنية الحزينة تنطلق وهى تشق رقعة السماء التى هدا نزيفها الاحمر . لم يعد الصوت وهما اجرد .. ولم تعد الاغنية مجرد صدى .. إنها حقيقة تؤكد نفسها اليوم ، وتمزق شرايين الصباح المتنفس بعد ليلة طال فيها السهر .. وكثرت الاقاويل .. والتخمينات .

نفض الناس عنهم دبق الاجساد ، والرجال تغيرت خطوتهم .. ساروا باتجاه الصوت الذى كلما اقتربوا .. وسحبت النسوة عباءاتهن وخرجن ، يلتقي فوج باخر ، يلحق بهن الاطفال والصبية .. والرضع على الاذرع لم يغسلوا بعد .. وربما لم يرضعوا .

الصباح يحمل الرنة الحزينة .. لا يسمع سواها ، وسوى صوت الاقدام .. يحذف احدها علبة مبعوجة فتئن ثم تخرس .. وقدم يحذف عصا فتطير مستقيئة .. وخبطت قدم فى « فضلات » احد الصبية .. فسحق نعل حذائه على التراب الخشن ، وفاحت رائحتها القديمة ، فابتعد الناس مهرولين كمن تلحقهم عصا إبليس .. والصوت يقترب .. ويقترب كلما دنوا من الحوطة .

وعند بابها توقف الجمع .. كان الصوت راقدا فيها .. عاريا هذه المرة .. يؤكد حقيقته بنواح مذبوح .

اندفع الفوج .. وعلى التراب الرطب .. كان جسدها ملقى .. عباءتها تنسدل عن نصفها العلوي فتبدو جديلتان فاحمتان تمتزجان بالتراب .. وصوتها يمتزج بدمعه ، جبارا كانه يعنف هذا العالم الراقد تحت جذور الخوف واتربة النهارات المرة المتعاقبة .

لم تجرؤ امراة من قبل ان تعلن عن نفسها واليوم ! ها هي قد انكبت على القبر الفارغ ! نبشته باظافرها .. مزقت رمله .. وطحنت حصاه ، وحين لم تجده فاح عواؤها البائس ..

ورددت الاغنية التي ربما كانت لام مفجوعة قبلها .. او لامهات تواد قلوبهن فى الليل تحت تراب الارصفة الشرهة للحم الخطايا الدائمة . انكفا رجلان .. رفع احدهما العباءة ليستر وجهها .. وامسك الاخر بذراعيها ليقتلعها من على التراب .. لكنها التصقت بالارض التصاقا يتحدى الاذرع القوية الممتدة .. غرست كفيها فى القبر المفتوح وصرخت :

ـ دعوني .. اموت لقد قتلوه .

لم يكن هم الرجال مسلطا على معرفة المراة ، فهم حتى لو شاهدوا وجهها تحت



اشعة الشمس المشرقة لما عرفوها .. لكن فضول النساء كان يغلي .. كل تريد ان تلمح ولو طرفا ، عينا .. او شفة او خدا .. لعلهن يحدسن من تكون .

لكنها لا ترفع وجها .. ولا تشعر بوجود من حولها .. لا تحس بالفضول القاتل المطل من العيون ، لا ترى حولها الا اشباحا لايد مزقت البارحة قلبها .. واختطفت الطفل

• •

تجذرت المرأة فى الارض .. تسكب عصارة الروح الجريحة . وتنبع اهاتها كما تنبع نافورة دم من أرض داستها اقدام دخيلة نجسة .. وصوتها يعلو .. وينخفض مبللا بالاسى .. ممزوجا بنغمات كانها حد السيف يذبح سامعيه ..

« اصرخ وجمر فى الحشا ..

• •

كان النهار قد شعشع .. جدائل باهتة بلون الوجوه .. ونواح النسوة .. يتقاطر .. كل تقف فى مكانها تغطي صفحة الوجه ببوشية سوداء رطبة . لم تعد واحدة تبحث بين الفوج عن شبر تطل منه لتعرف وجه المراة . كان الحزن قد تدفق إلى صدورهن ، فمات فيها الفضول .. ماذا يهم ان يعرف وجه المراة ، كان الغضب يلازم انات البكاء .. يود لو يصرخ فى وجوه الرجال المتحلقين .. ان يشير بالاصابع ! ان ينفلت كما تنفلت انات المراة ! وكما انفلتت جدائلها السوداء تتعفر بتراب الارض .. بملحها الذى رش على جثة الطفل .. وكانت العيون تتساءل : اين ذلك الرجل الذى شاركها الفعل وزرع البذرة ؟؟ لماذا لا ياتي كما جاءت ؟! ولا يبكي .. كما تبكي .. ويتمزق .. كما تتمزق جوارحها ؟؟ لكن تمد يدها به اليها .. وتستحلفها بالله :

ـ خذى .. هذا هو ابنك .. لم يمت .

لكن الخوف المنسوج كخيوط العنكبوت اوقف المحاولة .. وكذلك الصرخة الداوية التى ارتعد لها الفوج كله .. واستفاقت منه عيون الرضع النائمة .

صرخة المراة مزقت وجه الفجر المتفتح .. ثم ارتدت،سكين شقت الصدر الذى تمزق ثوبه .. وانكفات بلا حراك .

• •

حين تفرقت الجموع تسحب خطاها بحزن تحمل عثار طريقها الذى ما استطاعت جدائل الشمس ان تنيره .. كانت تتهادى إلى الأسماع تلك الأغنية ! حزينة .. لا تزال .. لكنها شديدة الوقع .. تخترق الآذان وكانها تطرقها بالاف المطارق .. توقظ فيها شيئا .. تذكر ان الصوت حي .. وانه .. سيبقى .

• •

وتقول الحكاية انهم حين جاءوا ليحملوا جثة المراة .. وجدوا حليب ثدييها المكتنزين يصب فى القبر .. ويروى التراب .

دفنوها .. دفنوا سرا عاش بصدرها .. ومات معها . لا احد يعرف الحكاية .. وحدها فقط كانت تعرفها . ولو بقيت عيناها مشرقتين على هذا الافق الجاحد لروت حكايتها التى تقول :

....

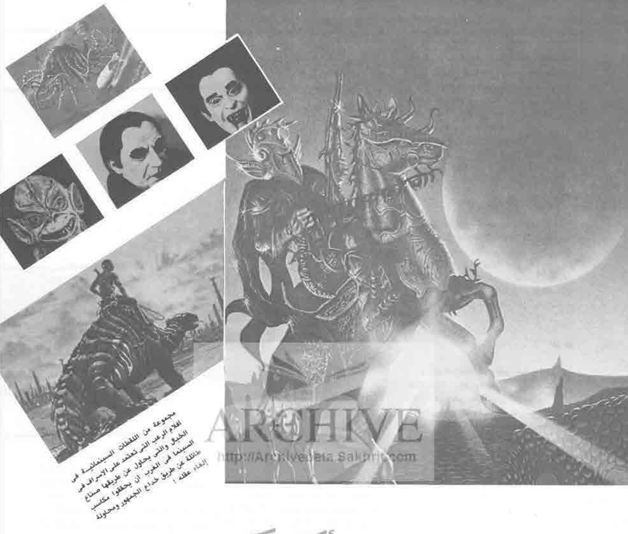
....

....

ليلى العثمان
الكويت

اشـــارات :

١ ـ دويدي : تصغير لكلمة ديد ومعناها ثدي .
٢ ـ ساحة الصفاة : ساحة رئيسية فى مدينة الكويت .
٣ ـ بوشية : غطاء الوجه للنساء ولونه من لون العباءة .
٤ ـ [illegible] مطبق ـ وهو وعاء خاص



مجموعة من اللقطات السينمائية في أفلام الرعب التي تعتمد على الإسراف في الخيال والتي يحاول عن طريقها صناع السينما في الغرب أن يحققوا مكاسب طائلة عن طريق خداع الجمهور ومحاولة إلغاء عقله !

الخائفون يدفعون والأذكياء يكسبون

أفلام الجنون تحقق الملايين

إعداد وترجمة: عبدالقادر عقيل

منذ ان وجد الانسان البدائي على سطح الارض ، بدأ يؤمن بان العالم مليء بقوى خفية غير منظورة يكون هو ضئيلا امامها . إن الموت والخوف من المجهول ، والرهبة من الكائنات الاخرى التي تشارك الانسان البدائي الحياة على هذا الكوكب ، دفعته للاعتقاد بالسحر ، والخوف من قوى خفية تتربص به دوماً .

ولم يستطع الانسان ان يتخلص من سلطة هذه القوى الشريرة ، إلا بعد مجيء العصر الذي رجحت فيه كفة العقل والمنطق على كفة الخيال الخوف والجهل ، جاء

عصر العقل ليوضح ويثبت بان هذه الخرافات ليس لها وجود مادى ، ولا توجد إلا فى خيال الانسان نفسه .

لكن مع كل التطور الحضارى والعلمى الذى توصل اليه الانسان ، فانه لايزال يميل «للوقوع فى شرك تفاهة الاشياء اليومية» كما يقول الفيلسوف هيدجر ، ولاتزال القصص المخيفة والحوادث المرعبة تثير شهيته ، لذلك فاننا لا نندهش لرواج قصص الرعب واهتمام الناس بها .

ومثلما تحتاج الغرائز فى الانسان الى متنفس ، فان الخوف ايضا يحتاج الى اطلاق أسره من أجل إشباع الغريزة المتوقدة بالداخل . وهذه الفكرة أوحت للمتاجرين فى صناعة السينما «الاسخياء» أن يقوموا ويعرضوا «خدماتهم» للانسان الذى ينتظر من يوقظ غريزته الفعالة .

ويبدو انه حتى الآن فان السوق الوحيدة التى تستطيع ضمان الربح المادى السريع للمنتجين هى سوق افلام الرعب . فافلام الرعب لا تحتاج ، مثل الافلام الكوميدية أو الدرامية ، الى جمهور متخصص او مادة ادبية جيدة ، يكفى ان تطرح مادة مرعبة تجذب الجمهور الى القاعة المظلمة .

ولان ســوق افلام الرعب مامونـــة ومضمونة الربح ، لذا فمنذ البداية لم تكن المادة الادبية والتقنية السينمائية موضع اهتمام كبير . ولكن حينما كانت تدمج المادة الأدبيـــة الجيدة والتقنيـــة السينمائية العالية فان الايرادات كانت تتخطى تصور المنتجين التقليديين .

افلام الرعب الجديدة استطاعت ان تجذب النخبة الراقية من الجمهور ، وان كان المنتجون التقليديون يفضلون قصص الرعب المباشرة ، والتى يعتقدون انها تحقق الايراد السريع اكثر من القصص المعقدة .

فالمباشرة والحوادث المفهومة والمغامرات الكثيرة ، والكمية الوافرة من الدماء ، هى الاطر التى ارتكزت عليها عقول هؤلاء المنتجين . لكن هذه الاطر لم تحقق الا القليل من الاثارة الحقيقية والتوتر لدى المتفرج ، وهذا ما أدى لفترة من الوقت الى ضعف رواج سوق افلام الرعب ، ولم تعد لهـا الحياة إلا بظهور الافكار المرعبة الجديدة .

فالتقنية السينمائية العالية ، والقصص المعقدة اخذت تجذب اهتمام المتفرج اكثر من تلك القصص المرعبة المألوفة ، فلا مجال للمقارنة بين افلام مثل «نفوس معقدة» و «الشياطين» و «الاشمئزاز» مع المواضيع المرعبة المالوفة مثل « غودزيللا » و « كينغ كونغ» .

افلام الرعب الجديدة اعتمدت على نفس الأسس القديمة لقصص الرعب ، إنما الاشكال المستهلكة تحولت الى اخرى جديدة ، فالساحرة الشريرة أو العرافة تحولت الى عالم مجنون ، وهاجس المسخ الى كائن قبيح كان فى الماضى يتمثل فى تحول الانسان الى ضفدعة ، الآن يتمثل فى تحول الرجل الى مستذئب ، المهم ان فكرة المسخ او تحول الجمال الى قبح مازالت باقية . مسالة انتصــار الفضيلة /الخير على الشر هى المفتاح الحقيقى لجميع افلام الرعب ، والتوليفة تظل متشابهة ومتكررة فى معظم هذه الافلام :

احـدهم ينتبه الى وجود شىء مخيف والاخرون لا يصدقونه او هم عقلانيون ومنطقيون لا يؤمنون بوجود تلك الأشياء ، مثل اساطير الجن القديمة ، ولذا فإن البطل ، وغالبا ما تشاركه البطلة ، يحاربان وحدهما « الوحش » أو « الكائن المخيف » حتى ينتصرا عليه ويخلصا الناس من شره .

وافلام الرعب ، كالحكايات القديمة ، ليست بحاجة الى تفاصيل منطقية وعقلانية ، فليس من الضرورى معرفة كيف تشتغل آلات فرنكشتاين ، او من اين احضر بعض المواد لبناء معمله .

مواضيع افلام الرعب :

١ ـ المجانين

كل افلام الرعب تعتمد على الخوف من المجهول . واحد عناصر المجهول هو الدماغ ، والخوف من الجنون والعته والاضطراب العقلى . فالمجنون تخافه الناس غريزيا ، لان لا سبيل للتفاهم معه ، والمكان المناسب له (خلاصا للناس من شره) هو وضعه فى مستشفى للامراض العقلية . لكن اذا كان هذا المجنون طليقا يجوب الشوارع مع الأسوياء ، هنا مكمن الخطر والرعب .

ولا حاجة للتاكيد هنا بان فيلم هيتشكوك «نفوس معقدة» هو الفيلم النموذج لهذا النوع بالتحديد من افلام «المجانين» . وهذا الفيلم عندما عرض للمرة الاولى اثار ضجة كبيرة ، مع ان النقاد استقبلوه فى البداية ببرود شديد ، ولكن الشهرة الواسعة للفيلم ، والاقبال المنقطع النظير اثار شهية العاملين فى صناعة السينما ، مما حدا بهم الى عمل مجموعة كبيرة من الافلام تعتمد كلها اساسا على فكرة هيتشكوك .



هذا الوحش الكاسر يدمر المدن ويقلب القطارات ويحطم المبانى فى احد افلام الرعب !

القواعد الثابتة لهذه الأفلام :

هناك ثلاث قواعد ثابتة لمواضيع افلام «المجانين» وهى :

١ ـ يوحى لنا المخرج بان المريض النفسانى الذى يرتكب مجموعة من الجرائم الدموية هو شخص معين من بين مجموعة من الشخصيات ، بعد ذلك يتضح لنا ان القاتل الحقيقى هو شخص آخر لم تحم حوله الشبهات . وفى نهاية الفيلم نحصل على حقيقة «المجنون» الذى كان طوال الفيلم يتصرف تصرفا طبيعيا ، ونراه «مجنونا» فعلا ، مع شرح سريع للجمهور ، من قبل الطبيب او مفتش الشرطة ، عن حالة جنونه .

من نماذج هذا النوع من الافلام فيلم «السترة الضيقة» للمخرج ويليام كاسل ، والذى أوحى للمتفرجين بان الممثلة جوان كراوفورد هى المسئولة عن اقتراف سلسلة من جرائم القتل ، ومن ثم نكتشف بان المريض النفسانى الحقيقى ليست هى إنما ابنتها التى كانت تضع على وجهها قناعا مستعارا لامها .

وفى فيلم «كريشيندو» يوحى المخرج بان البطل هو الذى يقوم بالجرائم الدموية ثم



كائنات خرافية في بعض الافلام السينمائية التي تحاول بكافة الطرق إثارة المتفرج !

أفلام المجنون تحقق الملايين

نكتشف في نهاية الفيلم ان شقيق البطل التوأم هو القاتل الحقيقي . اما في فيلم «السر الدفين» فترتكب سلسلة من جرائم القتل في سيرك متنقل بين مدن انجلترا .. وتحوم الشبهات حول عدد من الاشخاص ، ولكن في النهاية نكتشف ان القاتل المجنون هو ابنة صاحب السيرك التي ضجرت من حياة السيرك بسبب انشغال أمها عنها .

كل هذه الافلام تركز على غموض المجانين وخطرهم على الناس ، انهم دائما يؤكدون على ضرورة الحذر منهم ويذكرون المتفرج بجاك باقر البطون الذي كان يذرع الشوارع الضبابية بحثا عن ضحية جديدة .

في أحيان كثيرة تستخدم الكاميرا المحمولة باليد لتقوم بدور القاتل المتخفي عن أعين المتفرجين ، وبالتالي تكون الكاميرا عنصراً هاما في عملية الاثارة والتشويق . فالكاميرا تحتال وتنسل وتتقدم بسرعة نحو الضحية بطريقة توحي كما لو أنها القاتل . ففي فيلم «الغرفة المتداعية» مثلا تطل الكاميرا من عل وتراقب وتتوارى وكأنها عين لأخت كارول لبيكي المجنونة .

ب ـ التنويع الثاني في مواضيع المجانين يتركز على فكرة معرفة هوية القاتل المجنون في بداية الفيلم ومن ثم متابعة جرائمه الدموية واصطياده الماهر لضحاياه .

وعادة ما تكون هذه الافلام على هذا النحو : مجموعة من الفتيان والفتيات يعسكرون في مخيم او يحضرون حفلة راقصة او هم في رحلة جماعية . يظهر لهم القاتل المجنون ويقتل الواحد تلو الآخر حتى نهاية الفيلم ، وعادة ما يبقى هو والبطل او البطلة التي تقتله ، وقد يمارس هذا المجنون القتل ليثأر من واقعة حصلت له قبل سنوات طويلة ، ولكن في اكثر الأوقات يقتل بدون سبب معروف .

جـ ـ التنويع الثالث يرتكز على الاشتباه والخوف العام من المجنون . وعادة ما تصاب به البطلة بدفع وتشجيع من قبل الآخرين الذين لهم مصلحة شخصية في ذلك . في هذا التنويع نكتشف ، مثل التنويع الأول ، الانحراف في نهاية الفيلم . ان قوة هذه الافلام متوقفة على عدم قدرة المتفرجين في معرفة المجرم ، ثم اكتشافهم ان الشخص الوديع ، البريء ظاهريا ، يظهر في نهاية الفيلم إما في هيئة رجل مجنون عنيف ، او مجرم مولع بتدبير المكائد . وهذه الافلام تعيد التوكيد على الموعظة الاخلاقية التي تنصحنا بان لا نؤخذ بالمظاهر الخارجية .

إن المجنون في بعض الافلام يتضح احيانا بانه مجرد ضحية ، مثل الاشخاص الذين قتلهم ، فهو يبكي ويصرخ او يخاف من الظلام . والقاتل المجنون يفضل عادة السكاكين الحادة الطويلة او مقصا كبيرا او فاسا بدلا من الأسلحة النارية الأخرى ، فهو لا يستخدم البنادق ، اما الضحايا ففي الغالب فتيات جميلات .

ولان هذه الافلام تعتمد كلها على ظاهرة الجنون ، ولان الجنون ممكن حدوثه وتوقعه ، فالجمهور يقبل على هذه الافلام لانها في نظره قابلة للتصديق ، وهي بذلك تحقق الأرباح السريعة للمنتجين .

٢ ـ علماء مجانين يخترعون الوحوش

افلام هذا النوع تعتمد على فكرة العالم المجنون الذي يريد ان يتطفل على قوانين الحياة ويمسك بالمجهول ليستخدمه ضد البشر ، وهذه الفرضية محاولة مشبوهة للتقليل من شان العلماء الذين هم ، بدون شك ، ابعد ما يكونون عن الافكار الغامضة ان هذه الافلام تريد ان تقول : لتبق الاشياء كما هي ، ولا جدوى من محاولة البحث او ارتياد المجهول .

قاعدة الفيلم

كل الافلام ، مع اختلاف الشخصيات الرئيسية ، تتبع الصيغة التالية : عالم مجنون يخترع «كائنا» ما ، هذا «الكائن» ينفذ اوامره في البداية ثم يصاب بحالة من الهيجان تجعله يفلت من يد العالم ، ويخرج هذا «الكائن» الى الناس ليقتلهم ويسفك دماءهم ، ثم يعـود الى العـالم المجنون ويقتله ، ويموت هذا «الكائن» بطريقة مناسبة في نهاية الفيلم (النار افضل الوسائل واكثرها شيوعا) .

خير مثال على نوعية هذه الأفلام ، سلسلة افلام «فرانكشتاين» ، التي فتحت الطريق امام افلام اخرى من نفس النوع ، مثل العالم الذي يربي العنكبوتة الذئبية ، والعالم الذي ينوم مغناطيسيا غوريللا ويجعلها تهاجم حيا في باريس وتقوم بجرائم قتل كثيرة ، والعالم الذي يطلق نحلا قاتلا يستطيع ان يلاحق الضحية بفعل وجود مادة جاذبة لزجة يضعها العالم على ملابس الضحايا . والملاحظ ان اغلب الضحايا في هذه الافلام فتيات جميلات او رجال في متوسط اعمارهم . اما العالم فرغم مزاعم الجنون إلا انه يبدو لنا ذكيا وهادئا ومثقفا طوال الفيلم .

الفكرة الأساسية إذن في هذه الافلام هي نجـاح العالم المجنـون في اختراع

« كائن » رهيب ، ثم انفلات هذا الكائن فى ثورته المألوفة ونهايتـــه مـــع العـــالم المجنون .

من الافلام ذات المغزى الجيد ، والتى يمكن ان تصنف تحت هذا النوع من الافلام فيلم «الأسماك الضارية» الذى يحكى عن مجموعة من العلماء الامريكان تطلب منهم وزارة الدفاع «البنتاغون» اثناء حرب فيتنام ، تربية نوع من الاسماك الصغيرة القاتلة لتقذف فى انهار فيتنام لتقتل الثوار، ثم يتوقف هذا المشروع بعد توقف الحرب ، ولكن العلماء كانوا قد انجزوا المشروع ، فتحـفظ الاسماك الصغيرة فى حوض خاص غير انها تفلت بطريق الخطأ وتتسبب فى قتل الناس الأبرياء حتى يقضى عليها فى نهاية الفيلم .

٣ ـ كائنات من هذا الكوكب

منذ ان اكتشف المنتجون «كينغ كونغ» فى الغـــابة ، وحولوه الى كائن بشـــع يهاجم الناس ويقتلهم ، وهم لا يتوانون فى البحث عن اختراعات اخرى تقوم بنفس المهمة . ولكن أفلام الوحوش صارت مع الزمن مملة عند الجمهور ، وصارت غير مقنعة مسالة عشق الغوريلا للفتاة الشقراء ، وبسبب ضياع مبالغ كبيرة فى مثل هذه الوحوش فان المشـــتغلين بالسينما اهتدوا الى فكرة تحويل الوحوش الى كائنات اصغر حجما واقل تكلفة .

جميع هذه الأفلام ترتكز على فكرة واحدة وهى : ان كوكبنا هذا ليس مكانا خاصا بنا فقط ، وإنما هو كوكب مليء بالوحوش الضارية والكائنات الخطيرة . لذلك فالمنتجون حولوا الحشرات والطيور والاسماك والديدان والحيوانات الأليفة الى وحوش كاسرة همها الأول افناء الجنس البشرى . وعادة ما تقوم هذه الوحوش بتدمير بعض المدن وبقلب القطارات وتحطيم المبانى وارهاب بعض المدن الرئيسية حتى تصل الى العاصمة حيث يقضى عليها هناك بواسطة عقل البطل الخارق .

أفلام الوحوش القديمة كانت عن «كينغ كونغ» وهروبه وصراعه مع «كودزيلا» وعن ابن «كودزيلا» او الاخطبوط العظيم الذى يخرج من البحر ويهاجم المدن الامريكية ، او النملة التى نكتشف فجاة بانها ضخمة للغاية .

اما منتجو افلام الوحوش الجديدة ، بعد ان شاهدوا «طيور» هيتشكوك وهى تهاجم الناس بدون تفسير محدد ، فانهم استخدموا الكلاب والقطط والارانب والفئران والديدان والعناكب والأسماك وحولوها الى وحوش خطيرة .

وهناك مشاهد متكررة فى افلام الوحوش ـ والرعب عامة ـ : فتاة جميلة تستحم فى حمام او بركة سباحة او فى بحيرة / تسمع هذه الفتاة صوتا غريبا / تضطرب وتسأل بصوت متوسل : من هناك ؟ / تخرج وتجمع ملابسها / تركض / تسمع الصوت وهو يقترب اكثر منها / تصرخ ثم نراها فى لقطة سريعة والوحش يهاجمها .

وعادة ما يهتم الوحش بشخصيات محددة ومحاصرة ولا يحاول الابتعاد عنها ، كانما هدفه الوحيد هو القضاء على هذه المجموعة من البشر فقط ، ثم يقع الوحش بالطبع فى نهاية الفيلم فى الشرك الذى ينصب له من قبل البطل والبطلة او احدهما .

٤ ـ كائنات من كواكب اخرى

عادة ما تكون الكائنات القادمة من كواكب اخرى عبارة عن وحوش اتت فقط لتخويف وافناء الجنس البشرى . والوحش الغريب يظهر دائما بصورة ذكية جدا ، كما فى فيلم «غزو ناهشى الجسد» و «التحذير» ولكن الانسان هو الذى ينتصر دائما ، ويثبت قدرته على قهر الغزاة القادمين من الفضاء ، وحتى لو بدوا لأول وهلة بانهم اقوياء ولا يمكن قهرهم .

٥ ـ رعب آخر

منذ ذلك الوقت الذى كانت فيه الحكايات تروى عن تحول الانسان الوسيم الى ضفدعة والانسان يهجس بالخوف من التحول الى كائن قبيح . من اين جاء هذا الخوف ؟ إنه صعب التحديد ، ولكن الخرافـــات والحكايات الشعبية تؤكد على وجود الأجساد المسكونة ، وعلى سحر الحيوانات وقدرتها على تقمص الأرواح الشريرة ،



وهذه القصص تطورت الى أشكال متنوعة ، وقد يكون هذا النوع من الخوف هو اكثر رعبا على الانسان لانها تبدو له سرا مجهولا لا يعرف كنهه . والمنطق الوحيد فى تفسير ذلك هو ان الحيوانات تستطيع ان تسحر الانسان .

فى هذه الافلام ، البطل يتعرض الى حـــــادث ، ثم يتحـــول الى كائن نصفه انسان ونصفه حيوان . يقتل بعض الناس ثم فى النهاية يقضى عليه . وافضل مثال على هذا النوع من الافلام سلسلة «الرجل الذئب» رغم ان المنتجين لم يكونوا مقتنعين بالسبب الذى يجعل الانسان يتحول الى مستذئب .

والمستذئب عادة ما نراه فى صورة قبيحة : اياد مشعرة وانياب طويلة ، يجندل الضحية الاولى ويترك اثاره الذئبية بعد ذلك نرى الضحية تصرخ فقط امام الكاميرا كما ان المستذئب يهاجمها ، ثم نسمع عواء غريبا واصوات انقضاض . اما الشكل النهائى للمستذئب فيظهر فى نهاية الفيلم حينما يهاجم ضحيته الاخيرة ويفاجأ بانه مطارد ومحاصر ويصاب برصاصة فضية ، ثم نرى المستذئب وقد تحول الى هيئته البشرية مثيرا للشفقة على الحالة التى وصل اليها .

٦ ـ الأموات الأحياء

الخوف الانسانى الدائم من الموت وما وراء الموت كان موضوعا مفضلا فى افلام الرعب . وكلها تدور حول الأموات الذين تعود اليهم الحياة ويعيشون من جديد . واهم انواع هذه الافلام ، فزومبى (الميت الحى) ومصاص الدماء . وكل المواضيع لها جذور قديمة .

ومنذ ان نشر برام ستوكر روايتـــه « دراكيولا » حول الكونت الشرير الذى يعود الى الحياة ، وهذه الشخصية صارت اكثر انواع الاحياء الأموات شهرة وتشبثا بالعودة الدائمة الى الحياة .

وقصص مسلسل افلام « دراكيولا » معروفة ، انها مثل افلام « فرانكشتاين » : هناك دائما شخص يعود الى الحيـــاة من اجل ان يكون خادما لاحد الاشرار . أما دراكيولا فينام فى تابوت فخم ، وعنده قوة تنويم مغناطيسية هائلة ، وذعر شديد من النور ، وصورته لا تنعكس فى المرايا .

يقول كرستوفر لي (الذى مثل دور دراكيولا لمدة ١٥ عاما) : ان الكونت دراكيولا جعل منى رمزا رهيبا ، وبمعنى



أفلام الجنون تحقق الملايين

الفك المفترس .. حقق منتجه ارقاما خيالية من الارباح لاختياره موضوعا مثيرا حول سمكة قرش ضخمة تهاجم المصيفين فى احد الشواطىء !

اخر ، دراكيولا النموذج المثـــالى للرجل الجذاب ، وهو السيد الذكى ذو الخصائص النبيلة .

وقاتل « دراكيولا » هو الدكتور فان هلسنغ من بنسلفانيا (عادة ما يمثل هذا الدور بيتر كوشنغ) الذى اما ان يطعن دراكيولا بالوتد فى قلبه او يحرقه بالنار او يرش عليه الماء المطهر او يعرضـــه لضوء الشمس . المهم ان نرى فى نهاية الفيلم دراكيولا وقد عاد الى التراب فى مراحل متعددة وسريعة للتحول .

ولتنويع افلام « دراكيـــولا » فقد صنع المخرجون مصاص دماء يهودى ، ومصاص دماء شاذ .. الخ . اما الضحايا فدائما فيتات جميلات غبيات .

فى افلام الزومبى ، نرى شخصاً ميتاً يتحرك ، فى الغـــالب دون سبب يذكر ، ومن ثم يقوم باحضار اصدقائه ، بعد ان تحركوا مثله ، ويقتلـــون الضـــحايا الذين يتحولون بدورهم الى كائنات مشابهة تاكل لحم البشر .

الطريقة الوحيدة للقضاء عليهم باطلاق رصاصة فى الرأس او تهشيم الجمجمة والا فان الطعن والوسائل الاخرى لا تؤدى الى عودتهم الثانية الى الموت .

هناك اختلافات كثيرة بين مصاص الدماء والزومبى : عيون مصاص الدماء ممغنطة ، وهو ذكى جداً ، ولا نرى مصاص الدماء الا رجلا ارستقراطيا نبيلا ، فلا يظهر فى هيئة فلاح او مزارع ، على عكس الزومبى الذين اغلبهم من الفلاحين الفقراء وهم اغبياء ، ثيابهم رثة ، اشكالهم قبيحة ، والكثير من مواقفهم تبعث على الضحك ، مثل طريقة المشى والسقوط على الأرض . لا هم لهم الا اكل اللحم البشرى ، على عكس مصاص الدماء ، حيث نرى امراة فى غاية الفتنة وهى تستدرج الرجال لتقضى عليهم ، أو نرى شاباً وسيماً يقوم باغواء الفتيات .

افلام الزومبى تدور احداثها عادة فى قرية صغيرة تقع بالقرب من قصر قديم او مقبرة او بحيرة . بينما تدور حوادث افلام مصاص الدماء فى القصور الفخمة . حيث نرى فى البداية جياداً بيضاء تجر عربة سوداء فى ليلة مقمرة ، تجوب الغابة بسرعة شديدة ، ثم تدور الحوادث المفزعة .

ان كريستوفر لى لا يظهر فى افلام الزومبى ، وبيتر كوشنغ لا يظهر ابدا كمصاص دماء . ان المنتجين دائما يراعون ذوق الجمهور .

٧ ــ السحر :

كان الانسان لفترة طويلة مسكونا بالخوف من الشيطان والتعامل فى السحر الاسود واستدعاء الأرواح الشريرة التى تستطيع ان تبث الخراب والدمار فى المجتمع . وعلى هذا فقد تعرض الاف البشر للتعذيب الرهيب والموت البشع بتهمة تعاملهم بالسحر والطقوس الشيطانية ، واجبرت الكثيرات على الاعتراف تحت التعذيب بالاتصال بالابالسة .

والحرب القديمة بين الدين المسيحى والسحر امتدت الى السينما . وصارت افلام السحر والشياطين اكثر جدية وقوة من المواضيع السابقة الذكر ، فالقوى المخيفة واللامرئية تعتمد على الخيال الانسانى ، لذلك يفضل المنتجون هذه الافلام مع افلام المجانين على بقية الانواع لمكاســـبها المادية .

الأرواح الشريرة لا تظهر امامنا ، ولا شرط ان تكون مجسدة ، انما تكفى حركات انغلاق الباب والنوافذ ، وهبوب الريح القوية ، وتحرك الصحون والاثاث وتطاير السكاكين لتثير الرعب فى نفوس المشاهدين اكثر من مشهد ظهور المستذئب او الوحش .

ان ابتسامة الطفل الشيطانية فى نهاية فيلم « البشير » كانت مرعبة جداً ، لانها اوحت للمتفرج بان الروح الشريرة مازالت حرة طليقة .

ان الحضارة الغربية قائمة على القمع والعنف ، وهذا العنف ، بكل مظاهره ، انتقل الى السينما ، وموجة افلام الرعب لن تنتهى ، لانها توفر للانسان امكانية التلذذ بالعنف ، وتمثل الفرصة الوحيدة فى الذهاب الى الشطط بالخيال .

يقول فرنر هيرتزوغ ــ وهو احد الاسماء المهمة فى السينما الالمانية ــ عن اخراجه للفيلم المرعب « نوسفيراتو » : « ان مجتمعنا اصبح يمارس القمع والقهر ..

وهذا المناخ ينعكس بالضرورة على الأدب والسينما .. ولهذا فنحن نشهد ميلاد ثقافة مضادة ، كرد فعل ضد مجتمع مادى والى الى اقصى حد .. وفى رايى ان افلام مصاصى الدماء غالباً ما تظهر بعد الثورات المجهضة .. وانا شخصياً لا استطيع الهروب من التاثيرات التى يمارســـها علينا مجتمعنا » .

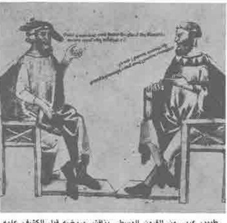
ترجمة : عبد القادر عقيل ــ البحرين

المصـــــدر :

١ ــ البعض يفضلها مقرفة ــ مايكل ارمسترونغ ــ مجلة فيلم اند فيلمنغ ١٩٧١/٧/٤ .

٢ ــ الانسان وقواه الخفية ــ كولن ويلسون ــ دار الاداب ــ ١٩٧٧ .





طبيب عربى من القرون الوسطى يناقش مريضه قبل الكشف عليه

عرض وتقديم : عبد اللطيف الأرنـاؤوط

« إن العرب أشـــعلوا سراجهم من القناديل اليونانية ، وبلغت حرفة الطب عندهم من القرن الثامن الى القرن الحادى عشر للميلاد من المكانة والاهمية مالا نكاد نجد له مثيلا فى التاريخ » .

هذه رؤية المؤرخ الانجليزى « السير وليم اوسلر » من خلال بحوثه فى الحضارة العربية والعلوم عند العرب ..

وقد تبوأ الأطباء العرب منزلة رفيعة فى العلوم الطبية بعامة وفى طب العيون بخاصة ، وكتبوا فيها المؤلفات القيمة التى تدلنا على مبلغ ماوصل اليه الطب العربى حتى أن العالم الالمانى « هيرشبرغ » يستشهد قائلا : « إن طب العيون عند العرب قد بلغ فى القرنين الرابع والخامس الهجرى مرتبة سامية تدعو الى الدهشة والاستغراب » ..

وهكذا نرى كيف ساهم كثير من العلماء والباحثين فى التنقيب عن الآثار العلمية التى خلفها اجدادنا العرب .. والتى بقيت رمزاً لحضارتنا المجيدة .. وفخراً للاجيال المتعاقبة ..

ومن هذا المنطلق حرص الدكتور / نشات حمارنة / استاذ طب العيون فى جامعة دمشق ان يساهم فى البحث العلمى فاصدر كتاباً بعنوان : تاريخ طب العيون عند العرب .

ولاهمية مثل هذه البحوث القيمة التى تكشف عن حقيقة تاريخية كاد الزمن ان يطمسها بغبار النسيان ، رايت ان اقدم هذا الكتاب الذى ضم بين صفحاته تاريخ الطب عند العرب من خلال الدراسات التى تخفق بين ثناياها القلوب الحية لحضارة الامة العربية المزدهرة .

ونظراً لشغف الدارسين باستطلاع التاريخ ، وحب المعرفة ، والكشف عن خبايا الحقائق التاريخية .. اخترت هذا الكتاب الذى صدر حديثا .. ونوسد المكتبة العربية .

لقد مهد الدكتور نشات حمارنة كتابه بلمحة موجزة عن نشاة الطب ، وممارسة الانسان القديم له ، وبدء ظهور النظرية الطبية ، وعرفنا بمظاهر الطب فى الحضارات القديمة عبر التاريخ . فقام بتصنيف دراسته ضمن البنود التالية :

١ ـ اجدادنا العرب .. ونظرتهم الى الطب .

٢ ـ أعلام أطباء العيون العرب قبـل الاسلام .

٣ ـ تراجم الاطباء العرب .

ويتحدث المؤلف فى هـــذا البحث عن الهجرات الكثيفة التى استوطنت جزيرة العرب ، والحضارات التى اجتذبت قبائل بدوية الى ارض مابين النهرين ، وفى بلاد الشام ، حيث سيطر فيها العنصر العربى منذ اقدم العصور ، وظهرت حضارة الكنعانيين والآراميين المتطورة والمتصلة ببلاد النهرين ووادى النيل وببادية العرب .

(كل ذلك يشير الى ان هؤلاء العـــرب (البدو الرحل) الذين يتحدث عنهم المؤرخون حينما يؤرخون للحياة العقلية والعلمية ، لم يكونوا معزولين عن العالم المتحضر المحيط بهم ، ولم يكونوا قليلى التطور الذهنى ، بل شاعت المعرفة العلمية عندهم) . والدليل على ذلك هو تطور اللغة العربية وغناها بالالفاظ المترادفة التى تشير الى ثروة ذهنية ، والى نشاط المعرفة العلمية ، مما يبرهن على ان عقل العربى فى الجاهلية لم يكن عاجزاً عن ادراك الفروق الدقيقة بين المعانى ، لوفرة المترادفات ، وغنى التعابير ، ومرونة اللغة . فغنى مفردات اللغة العربية ، وتطور قواعدها ، هو انعكاس واضح لارتقاء المعرفة ، ونشاط الذهن .

كل هذا فى عصر الجاهلية .. ثم جاء الاسلام ، فوسعت هذه اللغة المتطورة كل المعانى التى جاء بها . وجاء عصر ترجمة العلوم من لغة الاغريق ، واللغة الآرامية الى اللغة العربية . فوجد المترجمون فى هذه اللغة قدرة عجيبة على استيعاب مفردات من انواع العلوم المختلفة . وكان عصر الأزدهـــار ، وظهـــور المعـــاجم والقواميس التى اتسعت لشتى العلوم .

لقد اراد المؤلف فى عرضـــه ان يجسد معنى العلوم العربية والطب العربى ، فالعرب هم ورثة الحضارة والعلم ، ورثة مصر القديمة وبلاد الرافدين القديمة .

وعندما استعرض المؤلف أعلام اطباء العيون العرب قبل الاسلام ، قال ان الطبيب فى المجتمع المصرى ذو شـــخصية محترمة تتمتـــع



غلاف كتاب اطباء العيون العرب الذي قدم فيه تاريخ الطب عند العرب

بسمعة جيدة ، وقد وصل الينا الكثير من المعلومات التى عرفها اطباء العيون فى العصر المصرى القديم ، يوم ظهرت البرديـات المكتوبة فى الألف الثانى قبل الميلاد ، والتى كانت بدورها منقولة عن برديات اقدم بالف عام او اكثر .

لقد وصف المصريون القدماء الكثير من امراض العيون ، وعرفوا العديد من الاعشـاب التى تعالج العيون ، كمـا استعملوا ادوية من اصل معدنى او حيوانى ، وعرفوا ايضا بعض الطرق الجراحية .

واستفاد الاغريق من الطب المصرى بشهادة المؤرخين القدامى .

وينقلنا المؤلف الى عصر اطبـاء العيون فى بلاد مابين النهرين ، إذ ظهرت قوانين نظمت المهن الطبية ، وحددت اجور الأطباء واتعابهم عن المـداواة والعمليات الجراحية ، كما سنت قوانين صارمة وقاسية ومجحفة بحق الطبيب ، لكنها شكلت رادعا حقيقيا ضد الادعياء الذين يزعمون انهم يستطيعون ممارسة المهنة الطبية .

وفى بلاد الرافدين جاء عهد تدريس الطب والامتحان .. فاصبحت الدولة مسؤولة عن منح الاجازة الطبية ، والسماح بممارسة المهنة .

ولم يغفل التاريخ القديم عن ذكر اسماء كثير من الأطباء الذين عاشوا فى صحراء الجزيرة العربية اوفى باديتها او نجودها

تراجم أطباء العيون

لقد انهمك الأطباء الأوائل فى بغداد فى ترجمة مؤلفات اسلافهم الى اللغة العربية فصنفوا المعلومات الطبية سواء كانت من اصل يونانى او هندى او فارسي ، وكان المصدر الرئيسي لدراسة حياة الاطباء العرب ومؤلفاتهم كتب التراجم مثل :

١ ـ عيون الانباء فى طبقات الاطباء ـ لابن ابي اصيبعة .

٢ ـ تاريخ الأطباء والحكماء ـ لاسحق ابن حنين .

وابرز اطباء العيون عند العرب الذين احتلوا مراكز هامة فى هذا الميدان :

● يوحنا بن ماسويه :

ولد فى عام ١٦٠ هـ ـ ٧٧٦ م فى جند نيسابور من اسرة سريانية . هاجرت اسرته الى بغداد وهو فتي ، وتلقى تربية صارمة فى وسط علمي وفى بيت مرموق ، تعلم الطب من والـده واصـبح رئيس البيمارستان فى بغداد ، ونال مركزا رفيعا فى عهد هارون الرشيد ، واصبح طبيبه الخاص . وكان / يوحنا / يذهب الى بيزنطة للحصول على كتب الطب ، ويحملها معه الى بغداد . اشتهر بغزارة نتاجه ، ووضع فى طب العيون كتابين : ١ ـ دغل العين . ٢ ـ معرفة محنـة الكحالين .

ويبدو ان / ابن ماسويه / لم ينل من مؤرخي الطب اهتماما كبيرا ، لذلك فان ماروته عنه المصادر يحتاج الى التدقيق ، وان انشغاله بادارة / البيمارستان / والتعليم والتاليف وصحبته للخلفاء ، منعته من ان يعطي الوقت الكافى للممارسة الطبية . وهو اول من وصف (السبل) المرض الذى يظهر بتشكل اوعية دموية على القرنيـة ، والذى يعـود سببه إلى التراخوما .

وكتاب (دغل العين) اقدم كتاب تعليمي فى طب العيون كتب بالعربية . ويتميز اسلوب هذا الكتاب بحيوية بارزة ، ويعطى اهمية كبيرة إلى عملية استجواب المريض . ويعرض / ابن ماسويه / الاعمال الجراحية عرضا موجزا ، ويمكننا القول ان الكتاب مختصر يضم / ٤٧ / فصلا .

اما كتاب / معرفة محنة الكحالين / فهو اقدم كتاب عربي طبي ، اختصر فيه كل علم امراض العين فى عدد محدد من الأسئلة .

● حنين بن اسحق :

يعد الطبيب العربي / حنين بن اسحق العبادي / من مشاهير اطباء العيون في القرن التاسع الهجرى ، كان ميالا الى دراسة الطب ، وهو من عداد تلامذة الطبيب / يوحنا بن ماسويه / ويروى ان / ابن اسحق / قد ترك مدرسة الطب في بغداد ،لانه كان يضايق استاذه بكثرة الاسئلة ، فذهب الى / بيزنطة / وتعلم اللغة الاغريقية ، وعند عودته الى بغداد بدأ عمله كمترجم .

وكان ابن اسحق يجمع المخطوطات للنص الذي ينوي ترجمته ويقوم بفرزها ومراجعتها وتبويبها ثم ترجمتها ، وتكون الترجمة الى اللغة السريانية ثم الى اللغة العربية .

نقل الكثير من العلوم الاغريقيـــة والسريانية الى اللغة العربية ، واصبح ترجمان الخلفاء وطبيبهم الخاص . كما تعرض الى الدسائس والمؤامرات من خصومه وحساده .

ومن أشهر مؤلفاته في الطب :
١ ـ المقالات العشر في العــين ..
٢ ـ حكمة العين .. ٣ ـ مسائل في العين .

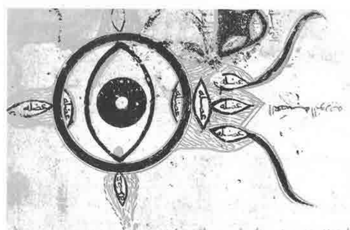
● علي بن عيسى الكحال :

يعد هذا الطبيب من اعظم اطباء العيون وهو مؤلف كتاب / تذكرة الكحالين / وانطلق فيه على منهج علمي حسب تشريح العين ، بدأ بامراض الاجفان وامراض جهاز الدمع ، ثم التهاب الملتحمة ، وانتقل إلى أمراض القرنية والقزحية ، فيوضح ماهية المرض وطبيعته ، ثم يذكر اعراضه وعلاماته واوصافه وميزاته ، واسباب هذا المرض وكيفية معالجته باسلوب علمي واضح .

وهناك عدد اخر من اطباء العيون عند العرب .. منهم :
١ ـ ابو علي بن أعين ـ مؤلف كتاب أمراض العيون ومداواتها .
٢ ـ محمد بن سعيد التميمي ـ صاحب كتاب / ماهية الرمد وانواعه واسبابه وعلاجه .
٣ ـ ابو علي خلف الطولوني ـ وكتابه النهاية والكفاية في تركيب العينين وخلقتهما وعلاجهما وادويتهما .

والواقع ان السمعة الوطيدة التي تمتع بها اطباء العرب في ارجاء الدنيا قاطبة ، كانت تعتمد على باع طويل في العلوم والخبرة والامتحانات القاسية ، فلم يكن بامكان احد ان يتعاطى مهنة الطب دون دراسة سابقة ، وحرصا على ابقـــاء العيادات الطبية وممارسة هذه المهنة بعيدة عن الاستهتار والامتهان او ادعاء الباطل ، كان كل طبيب مضطرا الى نيل تصريح رسمي خاص يشهد بعلمه وكفاءته ، فقد كان هذا صادراً عن الخليفة .

اما الكحالون / اطباء العيـــون فيمتحنهم المحتسب بكتاب / حنين بن اسحق ـ العشر مقالات في العين ـ فمن اجتاز الفحص بتشريح العين ، وعدد طبقاتها السبع وعرف رطوباتها الثلاث ، ثم ادرك امراضها الثلاثة وما يتفرع عن ذلك من الامراض ، وكان خبيراً بتركيب الكحل وامزجة العقاقير ، منحه المحتسب اجازة بالعمل لمداواة عيون الناس .


مخطوط نادر .. للعشر مقالات التي قدمها الطبيب حنين ابن اسحاق عن العين والعضلات المحركة لها في العصور الوسطى

ويضم كتاب / تاريخ اطباء العيون العرب معلومات مختصرة عن نظرة العرب في العلوم الطبيـــــة .. وكان باستطاعة المؤلف أن يقدم للقـــارىء معلومات غزيرة مما تحتويه مخطوطاتنا العربية .. وقد كتب المستشرقون والمهتمون بالبحوث العربية الكثير عن فضل العرب في العلوم بانواعها . وهم الذين استطاعوا ان يجعلوا من اسم الطب العربي الاسلامي حقيقة مشرقة بتجاربهم واختباراتهم وابتكاراتهم في مختلف الفروع العلمية .

عبد اللطيف الارناؤوط

حتى لا يتحول التليفزيون إلى خطر يهدد الثقافة ويقضي على العقل!

بقلم : أحمد عبد الملك

تتصل عملية التعليم بالاعلام باعتبارها جزءا منه ، فنحن عندما نعلم انما نريد احداث تغيير فى سلوك وتصرف الطالب ، وما الهدف من عملية الاتصال والارسال الاعلامى سوى احداث التغيير فى سلوك المستقبلين .

ورغم خطورة الاعلام فى توجيه الفرد ايجابا وسلبا عبر مختلف القنوات .. وتعدد توجهات البرامج سواء فى الاذاعة والتليفزيون او فى المجلات والكتب الا ان هذه الخطورة تصل الى ذروتها عند استخدام وسائل الاعلام فى التربية والتعليم ـ خصوصا سهلة الاقتناء ـ كالتليفزيون .

ولقد اصبح الجيل التليفزيوني اقل اقبالا على مصادر التعليم التى تتطلب جهدا ووقتا . وفى هذا الصدد يقول الدكتور احمد بدر فى بحثه :

« دور التليفزيون فى التنشئة والعادات القرائية كعناصر قاعدية فى التاثير على المجتمع المعاصر » ـ الصادر عن جهاز تليفزيون الخليج :

● التعميم الذى ذهب اليـــه معظم الباحثين ان التليفزيون قد قلل من الوقت المتاح للقراءة له انطباعات عدة .. نذكر منها ما يلى :

١ ـ انه يمثل تحولا فى الوقت من نشاط فردي (للقراءة) الى نشاط جمـــاعى (مشاهدة التليفزيون) .

٢ ـ انه تحول من المتابعة النشطة لاهتمامات إيجابية الى تقبل سالب لبرامج معروضة .

٣ ـ انه مكســـب لوســط اعلامى (التليفزيون) الذي يقدم للجمهور الحياة في شكلها الواقعى او الدرامى على حساب وسط اخر (القراءة) التى يفترض ان لها مطالب كبيرة على الخيال والقدرة على التجرد .

٤ ـ انه تغيير من وسط (القراءة) يقدم لجمهوره فرصة لا نهائية فى اختيار الموضوعات التى تهمه الى وسط اخـــر (التليفزيون) الذى يعتبر قوة هـــائلة للتجانس والتوحيد الاجتماعى والثقافى .

ويجدر بنا فى نهاية هذا العرض عن تاثير التليفزيون على القراءة بصفة عامة وعلى الكتاب بصفة خاصة ان نشير الى تقرير هيئة اليونسكو الدولية عن موقف الثقافة العربية فى السبعينات واوائل الثمانينات . حيث اكد التقرير على تدهور نشر الكتاب العربى خلال السنوات العشر الماضية .

لقد جاء في تقرير اليونسكو انه في عام ١٩٦٥ صدر فى الوطن العربى ٥١٩٩ كتابا .. وان هذا الرقم انخفض عام ١٩٨١ الى ٢٨٥٠ كتابا .. وكان من المتوقع مع زيادة عدد السكان وارتفاع نسبة التعليم أن يرتفع عدد الكتب الصادرة فى الوطن العربى الى ١٠ر٠٠٠ كتاب على الاقل . ويعزو تقرير اليونسكو المذكور هذا التدهور في حركة التاليف والنشر الى اسباب عديدة اهمها : دخول التليفزيون الى البلاد العربية وتراجع عادة القراءة لدى الاجيال العربية الجديدة وذلك بالاضافة الى ارتفاع سعر الكتاب بشكل مبالغ فيه .

من هنا اصبح التليفزيون ابا ثانيا .. ومدرسا ثانيا .. بل يحمل من المواصفات مايجعله ذا تاثير كبير وهام على توجـــه الطالب .

ومما زاد عملية التعليم تعقيدا فى الأونة الأخيرة ظهور اجهزة الالعاب وغيرها من الملهيات التليفزيونية .

اذن فنحن مطالبون ـ إزاء الاغراءات .. والملهيات البسيطـة السهلة التنـاول ـ الى تخطيط برامجنا التعليمية والتربويـــة بشكل ينافس الاشكال الموجودة التى تجذب النشء .. وتستحوذ على اهتماماته .

ومن اهم النصائح التى قيلت لنا ـ عندما كنا ندرس الاعلام التربـــوى فى الجامعات الامريكية ـ ان نتجنب إحضار المدرس الى غرف الطلبة بالمنزل ، اى ان نعمد فى تقديم برامجنا التعليمية على هيئة محاضر يكرر ما يردده المدرس فى الفصل .

وعلينا ان ناخذ فى الاعتبـــار الأمور التالية :

● من ناحية انتاجية : فان هـــذه الاشكال من البرامج تكون سهلة التنفيذ .. قليلة التكلفة .

● من ناحية فنية : تفتقر هذه الاشكال من البرامج الى عنصري المفاجاة والتشويق . وهما عنصران اساســيان لاحداث الاستجابة (كما يقـــول علم الاتصال) .

● من ناحية تعليمية : يكون مردود هذه البرامج ضعيفا جدا وذلك لان الطـالب (المشاهد) سبق وان مر بنفس التجربة على مقعد الدراسة .. فى ذات الوقت توجد مغريات اخرى سبق تقديمها ، بالاضافة الى الافتقار للعنصرين سابقى الشرح .

ان وضع مخطط الدورة البرامجيـــة للتليفزيون التربوي تتطلب وعيـــا تليفزيونيا (اعلاميا) بالدرجة الأولى

وكثيراً ما انصب جهد التربويين على الجانب التعليمي فأغفلوا الجانب الاعلامي وبذلك تضعف الرسالة .. وتضعف الاستجابة فتضيع جهود التربويين والاعلاميين على السواء .

ان نجاح رسالة التليفزيون التربوي لا يقاس بعدد ساعات البث ولا بمقدار الأموال التى صرفت على التجهيزات والمباني بل بالمردود العلمي الذي يستوطن عقل الطالب .

وفي وقت ازدادت فيه وسائل إلهاء الطالب ـ كما سبق ـ وهي بطبيعة الحال تحدث تغييرا في سلوكه واسلوب حياته تلح الحاجة الى مزاوجة التعليم بالتربية وعدم الفصل بينهما .. وان لا نقدم التعليم على صحن من فضة ونلزم الطالب بتناوله بطريقة جبروتية .. فرضية ونتناسى التربية وتقويم السلوك .. فلا نحن ننجح في الاولى ولا في الثانية

ومحاولة لتاسيس علاقة متينة واعية بين الطالب والتليفزيون التربوي لابد من الوصول الى الآتي :

١ ـ التوفيق بين التوجه الاعلامي البحت والتوجــه التعــليمي البحت . والوصول الى ارضية مشتركة لخطــة التليفزيون التربوي .. ويندرج تحت هذا الباب تعيين المخططين والمنفذين ومعدي البرامج ، وايجاد قنوات اتصــــال بين التليفزيون التربوي وعلماء التربية .

٢ ـ تقديم المواد التعليمية باسلوب غير مباشر يعتمد على عنصري التشويق والمفاجأة .. ومحاكاة واقع الطالب باسلوب علمي .. وبتقنية مدروسة بعد اجراء تجارب ميدانية وورقية ومن ثم الشروع في تسجيل البرامج .

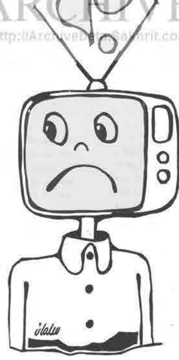
٣ ـ اشراك الطلبة انفسهم في البرامج ـ ليكون التوجيه في مستوى واحد بين صاحب الرسالة والمتلقي ، اذ ان ذلك يزيد من الثقة بين الطرفين .. ويتوفر الاقتنــاع ـ الذي هو هدف الرسالة ـ ثم ان ذلك يكسر طوق الاوامر والنواهي المضروب في حياة الطالب وفي فكره .

٤ ـ تلاقي برامج المسابقات المدرسية والثقافية اهتماما جيداً لدى أوساط الطلاب .. فعند التفكير في تقديم هذه البرامج يراعى ان تكون شمولية ، فنحن عندما نجبر الطالب على الحفظ (في مرحلة التذكر القصيرة) نجعله يفقد تلك المواد المحفوظة قسراً عندما يمر بتجربة اخرى مماثلة، اما عندما نذكره عن طريق المناقشة وتداول الاسئلة بين الطالب والسائل .. والجمهور ـ حاضر تسجيل البرنامج ـ ننشط فيه الذاكرة ونعوده على عدم الآلية في التسجيل واعادة التسجيل .

٥ ـ يلاحظ ان التليفزيون التربوي في بعض البلاد العربية موجه الى المراحـل المتقدمة في الدراسة (الاعدادية والثانوية) لكن الحاجة تلح الى اشباع رغبات جميع شرائح الطلاب ـ بكل المراحل ـ ومن هنا ـ تبرز اهمية تخطيط البرامج بحيث يراعى سن الطالب في كل مرحلة .

٦ ـ التعرض لأهم ـ واكثر ـ مشاكل الطلبة باسلوب تمثيلي غير مباشر .. فذلك يساهم في تحول سلوكيات الطلبة .. ويقيم ما اعوج منها .

٧ ـ التليفزيون كعلم جديد ـ خصوصا في مجال التعليم الدقيق ـ يتطلب موظفين اكفاء ـ خصوصا مقدمي المادة ـ اذ ان



هنالك مواصفات حددها علماء الاتصال يجب ان تتوفر في مقدم برامج التليفزيون منها :

ا ـ اتقان اللغة .

ب ـ الحضور والبديهة .

ج ـ حسن التصرف .. ولفت انتباه المشاهد .

د ـ القدرة على الحوار باســلوب حواري .

هـ ـ الاناقة في الملبس .

ولكن الملاحظ في برامجنا التعليميــة ـ نظراً لظروف التسجيل وعدم توفر اكفاء في المجال التعليمي الاعلامي ـ أن نرى في تسجيل عشر حلقات المدرس بالملباس نفسه .. ونرى كذلك ان المدرس يتكلم (يفهم منه انــه لا يريد استجابة من احد) .. وبهذا يكون الدرس المدرسي اهم من الدرس التليفزيوني لانه مباشر .

كما نرى نفس المواد التى ملها الطالب مثل السبورة والطباشير والخريطـــة او الوسيلة .

كما انه من رؤية فنية : فان المشاهد يمل من الكادر غير المتحرك .. اذ ان جميع دروس التليفزيون التربوي تؤخذ بنفس الكادر (اللقطة) وهي المتوســــطة فبالاضافة الى تشتت انتباه المشاهد لرتابة اللقطة يصبح الدرس التليفزيوني اذاعيا .. اذ ان المعلول الاســاسي للتلفزيون هو الحركة .

وبعد ، فنحن وان كنا مازلنا نحبو في تعاملنا مع التكنولوجيا الحديثة الا ان ذلك لا يعني السير دون خطى مدروسة .. كما انه لا يعني اننا لن نخطىء ولا يعني اننا نسكت عن اخطائنا ونتخوف من مناقشتهــا ، مهما كانت الدوافع .

ان التليفزيون التربوي جهاز خطير جداً .. وله رسالة هامة وسامية ـ لانه تخصصي ـ اكثر من نظيره الرسمي في البلاد العربية . فهلا حاولنا انتشاله !

احمد عبد الملك
مراقب اخبار التليفزيون ـ قطر

المراجــــــع :

1- Foundation of Communication Theory New York

٢ ـ جهاز تليفزيون الخليج ـ سلسلة بحوث ودراسات تليفزيونية ، « دور التليفزيون في التنشئة والعادات القرائية كعناصر قاعدية في التاثير على المجتمع المعاصر ١٩٨٣ .



يعني الربيع في انجلترا عودة الحياة ، ويقظتها في كل شيء !... شجر يجتمع له الورق الأخضر .... طير تنطلق من حناجره نغمات من صنع الله جلت قدرته ... ارض تباهي بزهرها أبيضه ، واحمره واصفره ... نسيم يرق ، ويرق بعد ليل طويل من صقيع ، وزمهرير .

ولقد مر الأدب الانجليزى فى مسيرته بمراحل شبيهة بتلك التى مرت بها الآداب العالمية ، واشتركت فى تطويره أسباب غير بعيدة عن تلك التى اشتركت فى تطوير هذه الآداب جميعاً ...

ولم يختلف ادب امة عن هذه الحقيقة التى يشير اليها استقراء الاداب العالمية بوساطة المختصين فى ذلك من كبار النقاد ، والادباء والشعراء ...

على اننا نلحظ فى مسار التطور الزمنى للانسانية ان هـذه الاغراض المختلفة فى الشعر تتفاوت فى جيل عنها فى جيل اخر ... فالغزل والوقوف على الاطلال فى العصر الجاهلى ، والشعر السياسى والنسيب فى العصر الاموى ، والوصف بانواعه فى العصر العباسى . أغراض مختلفة لكل غرض منها شانه فى عصره يجعله فى مقدمة الاغراض الاخرى من حيث ولع الناس به ، واقبالهم عليه .. .

وعلى الرغم من ان هذا لا يدخل فى نطاق بحثنا (الربيع فى الأدب الانجليزي) فاننا ذكرناه من باب التمثيل ، فالأدب الانجليزي كما قلنا مر بمراحل متعددة ...

إن اغراض الشعر فى العصور التى جاءت قبـــل عصر الملكة (اليزابيث) والتى بعدها تختلف فى كل عصر عنها فى العصر الآخر .. فقبل عصر النهضة وحتى بدايته لا نجد للربيع ادباً فى هذه المرحلة .. ولم نسمع شعراً فى الربيع الا قصيدة نادرة من نظم (تشـوسر) فى منتصـف القرن الرابع عشر وتعتـــبر هذه القصيدة اول قصيدة كتبت خارج الاطار المالوف الذى كان سائداً فى هذا العصر !

قال (تشوسر) .

« حين تنفذ قطرات ابريل الندية الى الجذور
الجافة فى شهر مارس .. وتسقيها .. تتفتح الأزهار
وحين تهب نسائمه على الاغصان وتاخذ الطيور
تغرد الحانها تهب النفوس من رقادها لتستقبل
الق ابريل الخالد ... ... »

ويعد (جيفرى تشوسر ١٣٤٠ ـ ١٤٠٠ م) اهم الشخصيات



الادبية التى لمعت فى سماء الادب الانجليزى قبل (شكسبير) ..

وفى بداية عصر النهضة ترجمت روائع امة اليونان الى اللغـــات الاوربيـــــة الحديثـــة ومنهـــا (الاليـــاذة) و (الاوديســـــا) رائعتـــــا (هـــوميروس) كمـــا ترجمت آثار مدرسة الشعر الريفى ووصف المروج والمراعى واعيـــاد الربيـــع التى اســـــها (يثوقريطس) فى القرن الثالث قبل الميلاد . وكذلك اغانى الرعاة التى جاءت فى شعر (فيرجيل ٧٠ ـ ١٩ ق . م .) واطلق عليها الشعر الريفى

فتاة انجليزية امام بيتها الذى تشابكت على جدرانه اغصان الورد .. ثم حقل من الزهور فى الريف الانجليزى الذى الهم الشعراء الانجليز فوصلوا إلى نتائج فى الشعر لم يصل إليها الشعر فى اية امة أوربية اخرى



وقد تأثر بهذه الترجمات شعراء الطبيعة فى انجلترا شهد بذلك (سبنسر) و (شللى) و (ارنولد) و (ورد زورث) و (كيتس)

شكسبير والربيع

وكان مولد عبقري الآداب العالميــــــة (شكســـبير) فى قريته (استراتفورد . اون . افون) ١٥٦٤ م مؤذنا ببدء مرحلة جديدة تنوعت فيها اغراض الادب لتعبر عن اشواق الامة الانجليزية وتطلعها الى تكوين امبراطورية لا تغرب عنهـــا الشمس ..

وفى اليوم الذى حطمت فيه انجلترا (الارمادا) اســـطول (اسبانيا) المسيطر على البحار .. بدا يلمع كوكب المجد الانجليزى فى سماء السياسة العالمية .. وانعكس ذلك على الادب الذى بدا عصراً جديداً مختلفاً عن العصور التى سبقته ، واخذ إحساس الناس بالطبيعة وما ينطوى عليه من جمال يعمق فى نفوسهم ،حتى انشدنا (شكسبير) اناشيد الطبيعة بصورة لم نالفها من قبل ، اضاف فيها الى الادب الوان النور ، والظلال وتغنى بازهار انجلترا البرية ، واقمارها ، وربيعها ، وجمالها .

قال شكسبير .. وقد اقبل الربيع :

تعالىْ .. واحبي معى .. وكونى حبيبة فؤادى ...
إن التلال .. والوديان .. والمروج .. والجبال

تنشر فى طريقنا العبير ...
هنالك سوف نجلس فى الربيع ...
فوق يانعات الزهور ...
حيث يتراءى الرعاة يطعمون الاغنام ...
وتنجلى الاطيار الصوادح فوق الغدران ...
تترنم سكرى باعذب الالحان ...
هنالك ساصنع لك من ورد الربيع سريراً ...
ومن نوار الاف الازاهير ...
ساصنع لك قبعة جميلة ...
وثوبا موشى باوراق من الزهور البيضاء ...

(فشكسبير) فى هذا النص . يمزج بين الطبيعة وبين مشاعر بنى الانسان ، ويحاول ان يجد علة ذلك الفرح الانسانى فى المظاهر المتنوعة ، والظلال المتناثرة ، ويكشف لنا عن حقيقة الروح الانجليزية التى بدات تحس بذاتها فتطلب المتعة فى الطبيعة

وجـــاء بعد شكسبير (ج . ميلتـــون) ففتـــح للربيع منافذ ذاته لتطل على الكون فاحس بهذا الجمال الذى يملا الأرض والسماء كلما اقبل ربيع ..

وكتب رائعته فى الربيع والطبيعة .

قال ملتون :

عذب نفس الصباح .. وشروق جبينه مع الطيور
المبكرة ...
ومبهجة هى الشمس عندما تنشر لاول وهلة ...
شعاعاتها على الأرض الفرحة ...
وعلى العشب ، والشجر ... والثمر ...
تلك الشعاعات من الانداء
وشذية هى الأرض الخصبة بعد الطل الناعم
وعذب مجيء المساء الشكور ، والليل الساجى
بطيره الموقر
وهذا القمر الوديع .. ولآلىء السماء ...

ويعتبر النقاد قصيدته (الفردوس المفقود) من أروع ما جاء فى الأدب الانجليزى ..

وحـــاول من بعـــده (الكســندر بوب ١٦٨٨ ـ ١٧٤٤) إحياء الشعر الريفى ليكون (فرجيل) انجلترا ..

ومن الذين احسوا بالطبيعة إحساسا عميقا وتغنوا بمفاتنها وجمالهـــا (جيمس تومســـون ١٧٠٠ ـ ١٧٤٨) وكتب قصيدته التى تغنى فيها بالربيع ، والصيف ، والخريف ، والشتاء .. ونشرها فى مجلة اسماها الفصول .

شعراء الرومانسية

وقد اختلفت نظرة شعراء النهضة فى لغتهم ، واخيلتهم واحاسيسهم بجمال الطبيعة فى النصف الأول من القرن السابع عشر عن هؤلاء الذين جاءوا فى النصف الاخير منه وابتدعوا الرومانسية ، وابدعوا تلك النماذج الخالدة التى ما يزال بريق الجمال يشع منها إلى اليوم ...

وسوف يظل بريقها يرسل اشعاعاته الى آخر الزمان ...

والرومانسية فى الأدب مذهب آمن بالفرد ومشـــاعره ، والرومانسيون يرون أن الجمال هو الغاية التى يسعون اليها والجمال هو مرآة الحقيقة المنشودة ..

قال (دى موســـــيه) شـــاعر فرنســــا الاكبر :

(لا حقيقة سوى الجمال ... ولا جمال بدون حقيقة)

و (وردزورث) واحد من شعراء الرومانسية الكبار في الأدب الانجليزى هؤلاء الذين تغنوا بجمال الطبيعة ، وإشراقة الربيع ويعتبرونه المؤسس الحقيقى للمدرسة الرومانسية لتاثره العميق بآراء (روسو) وبالثورة الفرنسية ..

وقد قضى (وردز ورث ١٧٧٠ ـ ١٨٥٠ م) الجانب الاكبر من حياته فى منطقة البحيرات بالقرب من (لانكشير) حيث تلبس الطبيعة هناك ابهى حللها .

قال وردز ورث فى الربيع :

سمعت مزيجاً من الوف النغم ..
بينما كنت فى الغاب مستلقيا ...
وانا فى تلك الحالة النفسية الحلوة ...
التى تتابع فيها على الذهن ...
صور بهيجة ، تتلوها صور كئيبة ...
إن الطبيعة قد وصلت روح الانسان ...
التى تجرى فى دمائى بمظهرها الجميل
وما اشد كربة قلبى
حينما اذكر ما يفعل الانسان باخيه الانسان

● ● ●

هذه اعشاب البحر
تتضافر اكاليلها مع زهور الربيع
فى ظلال الاشجار النضرة اليانعة
وفى عقيدتى ان كل زهرة
تستمتع بالهواء الذى تستنشقه

● ● ●

إن الطيور حولى
تقفز وتلعب
ولكننى لا استطيع لفكرها فهما
غير ان كل هزة فى حركاتها
تبدو لى نشوة من نشوات السرور

● ● ●

إن الاغصان المزهرة تنشر أوراقها
كى تتلقى نسمات الهواء
وإنى إخال
ويبدو لى من كل ما ارى
ان السرور ينشر فوق المكان جناحيه
فان كانت هذه العقيدة قد هبطت الى من السماء
وان كان هذا هو تدبير الطبيعة المقدسة
افلا يحق لى
أن ارثى لما صنع الانسان ...
باخيه الانسان ...

و (وردز ورث) فى هذا النص يزيح الستار عن جمال الربيع





وليم شكسبير

شيللي





وردزورث

د . هـ . لورانس

بانامل رقيقة .. إنه يسجل بريشته الملهمة حركة العشب على شاطىء البحر .. وهزة السرور فى الطير ، وبهجة الورق الأخضر ، والغصن المزهر .. ثم هو بعد ذلك يربط فى نفسه بين هذا الجمال الألهي الخالد ، وبين ظلم الانسان لاخيه الانسان ...

وسواء ادرك (وردزورث) علة ذلك ام لم يدركها فاننا لا نطالبه بضرورة هذا الادراك .. ولا يعنينا ان يكون هو احد المناضلين الاجتماعيين طالما ظفرنا به شاعرا من العباقرة المتفردين ..

وقــد نشر (وردز ورث) اشـــــعاره واغانيـــــه التى اشترك فيها مع صديقه الشــاعر (كلوردج) الـــــذى قاد مع زميله الحركة الرومانسية فى الشعر واقترن اسمهما معا ١٧٩٨ م ..

وقد أكد (وردز ورث) و (كلوردج) فى هذه الاشعار ان الشعر ليس كلمات مصفوفة وانما هو فيض من المشـــاعر الرقيقة الفياضـــة ..

وقد عاشا يقتسمان معا ميدان الاغانى الشعبية .. وبينما كان يولع الأول بالحاضر الذى يعيشه ، كان الاخر يترنم بالجمال الذى كان فيه يتنفس ، ويعيش ..

ومن طاقة الزهور العطرة التى تضم عباقرة الرومانسية الذين حلقوا فى سماوات الخيال واسمعوا الدنيا نبض قلوبهم (وليم هاملتون) و (شللى)

عشاق الربيع

إن (شللى) لا يسجل بريشته ما يراه فى الكون بل هو يغوص بها فيه حتى يصل الى ابعد ابعاده .. وينتقل الى اقصى اماده ..

إن هذا الشاعر الكبير ترك وراءه آثارا ضخمة على الرغم من قصر عمره حيث مات غريقا فى ايطاليا عن ثلاثين عاما ..

اننا ما نزال نقرا شعر شللي الى اليوم فنشعر ان هذا الشاعر العبقرى يضرب باجنحته فى كل تخوم الكون وما تزال روائعـه الى اليوم وستظل الى آخر الزمان من أعظم ما ابدعه الشعراء من بنى الانسان ...

اقرا له (نشيد الى قبرة) او (الريح الغربية) لترتفع مع هذا الشاعر الى قمة مشاعره ..

ثم استمع الى (شللي) وهو يمزق الأستار عن اسرار الطبيعة يقول .

فلنقطف الورد فى غدوة حياتنا ، ولنعش فى الرياض
بكرة اعمارنا ، ولنتنسم اريج الربيع الغامر ، ولنغمس
قلبينا فى فيض اللذة النقية الطاهرة ..
وليكن هوانا يا حبيبتاه . بحرا لا حد لسعته

ومن الصعب عليك ان تحاول المفاضلة بين هؤلاء الشعراء .. إنهم كالازهار المختلفة الالوان فى حديقة الخلود قد تعجب بوردة حمراء ولكن ذلك لا يمنعك من ان تفتن بواحدة من الفل الأبيض .. ثم تجذبك اليها واحدة من الاقحوان ..

ومن عشـــاق الربيع (هربرت) وهو من مدرســـــة (دون Donne) وكانت هذه المدرســـة تهتم بالناحيـــة الميتافيزيقية ..

يقول هربرت :

ايها النهار الصبوح الذى لا نسمع فيه ركزا
وقد غمرته الأشواق ...
كانك يوم عرس للسماء والارض ...
إن الظل سيحزن عليك عندما يهبط المساء
لانك ستلفظ انفاسك الاخيرة
ايها الربيع الباسم المتفتح الورود
كانك الصندوق امتلاء بصنوف الحلوى الشهية
إن الحانى تخبرنى ان لديك نهاية
ولابد لكل شىء حينئذ ان يموت

فاذا نحن انحدرنا عن القرن الثامن عشر الى القرن الذى يليه ثم الى العصر الحديث فاننا سنجد ان ولع الانجليز بالطبيعة لا يحد ... بل هو نار مشبوبة فى صدره دائما ..

إن الحديث عن الورد ، والعطر ، والطير ، والزهر والنسيم .. لا ينتهى ...

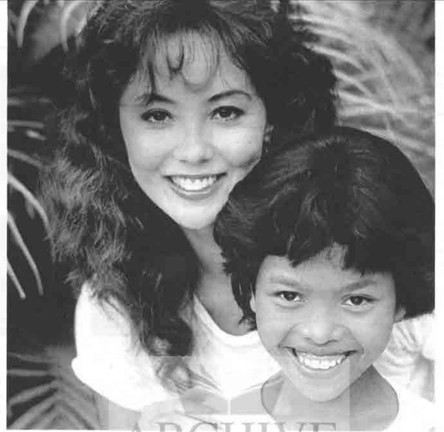
إنك تجده على لسان كل شاعر حتى على لسان شاعر متشائم مثل (توماس هارى) او عاكف على لذاته الحسية مثل (د . هـ . لورانس) او ضارب فى جذوره التاريخ مثل (ت . س . إليوت) ..

وبالرغم من مذاهب هؤلاء الشعراء ، وتعدد اتجاهاتهم الفنية وتباين نظرتهم الى الحياة والوجود ...

.. اقول بالرغم من ذلك كله فانهم لم ينظروا الى الطبيعة من حولهم نظرة من يسجل ما يراه ، ويصف ما يشاهده بل هم نظروا اليها نظرة المتعمق الفاحص بعين الروح،المنقب فى ترابها بفاس الخيال .. وقد وصلوا الى نتائج لم يصل اليها الشعر فى اية امة اوروبية اخرى .

لقد عشق الانجليز الطبيعة ، وتوغلوا فى بواطنها واسرارها وفهموا كل ما يجرى فى دروبها ، وكهوفها ، وبحارها ، وجبالها وحقولها ، وبحيراتها من معان لا تحد ، وصور لا تحصى ومخبات عن العيون لم يصل غيرهم اليها على مدى الزمان .

مصطفى عبد الرحمن



عارضة الازياء الشهيرة « ماريا هيلين » مع طفلتها الاندونيسية « باريشي » التي اختارتها بالمراسلة !

أطفال بالمراسلة

دعوة إنسانية لإنقاذ الطفولة في العالم الثالث

نادية يوسف

.. يا آباء الأطفال فى مدن الاحلام .. اتحدوا من اجل رعاية أطفال العالم الثالث .. ليكن عند كل واحد منكم طفل إضافي يرعاه بالمراسلة .. وتربطك به علاقات الحب . بـ ٩ دولارات فقط يمكنك ان تصبح ابا او اما لطفل من اطفال الدول النامية .. ترعى شئونه الصحية والتعليمية والمستقبل .. من اجل ذلك كله كان انشاء اول جمعية من نوعها فى العالم .. تفتح الطريق امام الأطفال الفقراء فى العالم للحصول على العلم والمعرفة والكساء والطعام . كان صاحب الفكرة مراسل حربى انجليزى لاحدى الصحف اليومية التى تصدر فى لندن .. اسمه « جون لا نجدون دافيز » .. انها ليست وكالة تتبنى الأطفال للقيام بواجب رعايتهم .. ولكنها جمعية تدير برامج التنمية من خلال أطفال العالم الثالث .. فيكفى أن يقع اختيارك على طفل فى احدى هذه الدول - ويمكن ان يتم هذا بواسطة الصور - حتى يتم تغيير وتطوير كل شىء حوله ..



اطفال القرية الاندونيسية الذين شاركوا الطفلة بارتيني فى فرحتها اثناء لقائها لاول مرة بعارضة الازياء الانجليزية .. ثم لقطة لعارضة الازياء وسط عائلة بارتيني

.. ان اعضاء هذه الجمعية (١) التى لا تعمل بالسياسة ولا تتبع اى طائفة .. جميعهم من الآباء يدفع كل منهم ٩ جنيهات شهريا ليتبنى طفلا بالمراسلة .. وهذا المبلغ هو راس مال الجمعية الاساسى .

(.. لقد أصبح عدد هؤلاء الآباء حتى الآن ٢٠٠/٠٠٠ (مائتى الف اب وام) معظمهم من استراليا وكندا وهولندا والولايات المتحدة .. وفى انجلترا وحدها يوجد حوالى ٢٠٠٠ الفين من هؤلاء الآباء .. الذين يقومون بواجب رعاية اطفال العالم الثالث من خلال الرسائل والصور فقط التى يتبادلونها بصورة وجدانية محببة الى قلوبهم . ورغم ذلك فان الجمعية تفخر بان كل اربعة من خمسة من اعضائها يذهبون لزيارة اطفالهم مرة واحدة فى العمر .. فى محاولة للتعرف على مشروعاتها المستقبلية مع الأطفال الذين يولونهم بالرعاية عن بعد.

مشاعر اللقاء الأول

هذه تجربة ام بالمراسلة .. تحكى مشاعر اللقاء الأول مع طفلتها فى احدى قـرى أندونيسيا .

.. انها عارضة الازياء الشهيرة « ماريا هيلين » .. التى تعيش كاشهر واغنى عارضة ازياء فى انجلترا .. ولانها زوجة للمصور المعروف « دافيد بيلى » .. فان حياتها مستقرة تحسدها عليها الكثيرات من النساء فى العالم .. فمنزلها مؤسس على احدث طراز .. ويحتل مساحة لا باس بها فى احد احياء لندن الهادئة .. تقضى وقتها بين العمل والأصدقاء المقربين من امثال جيرى هول ومايك جاجر .. عادة ما تقضى شـهور الصيف والاجازات مـع والدتها وشقيقتها فى هاواى .. حيث ولدت وقضت جزءا من طفولتها ..

.. هكذا كانت حياة « ماريا هيلين » .. ولكن اعلانا صغيراً نشرته جمعية صنداى تايمز يوما ما .. لفت نظرها .. وفكرت فيه طويلا .. الاعلان عبارة عن صورة لطفل بعيون واسعة وابتسامة عريضة .. وتحت الصورة هذه الكلمات (بـ ٩ جنيهات استرلينية فقط .. تدفعها كل شهر .. تستطيع ان تمنح السعادة الدائمة لطفل من اطفال العالم الثالث ..) .

انني احب الاطفال .. وهذا لا يكفى .. المفروض ان يتعدى هذا الحب حـــدود الابتسام لهم من بعيد حتى يصل الى مرحلة الاهتمام الشديد بهم والى الشعور بالمسئولية الكاملة نحوهم . قالت ماريا لنفسها :

والحق انه داخل كل منا وتر حساس .. يكفى ان تدق عليه ولو لمرة واحدة لتتحرك العديد من المشاعر .. وهذا بالضبط ما حدث لماريا عندما سالتها احدى صديقاتها .. ان كانت ترغب فى أن تصبح واحدة من الأمهات اللائى يمنحن الرعاية والحب عن طيب خاطر لواحد من اطفال العالم النامى .. لم تتردد ماريا مطلقا .. وبالفعل وقع اختيارها على طفلة من اندونيسيا تدعى « بارتينى » وعمرها الآن ١٢ عاما .. تعيش « بارتينى » فى احدى قرى اندونيسيا المتواضعة .. ومع بداية تبنى ماريا لها منذ عامين تغيرت حياتها بالكامل .. التحقت بالتعليم .. ثم قامت الجمعية بتغيير البيئة من حولها .. واثناء هذين العامين كانت بارتينى تبعث الى ماريا بخطابات منتظمة مصحوبة بصور تحكى تطور حياتها اولا باول .. اكتفت ماريا بصور طفلتها بالمراسلة لعامين .. ولكنها قررت ان تـــذهب الى « بارتينى » فى قريتها الاندونيسية لتراها على الطبيعة ..

وبالفعل طارت ماريا الى جاكرتا مع ممثل من الجمعية ومصور صحفى ومحررة صحفية لتسجيل اللقاء ..

.. بعد ساعتين بالسيارات وصلت ماريا الى « قرية سومبرلور » تصفها بقولها .. « انها قرية صغيرة تتفرع من زقاق مترب على الطريق الرئيسى » .. وتصف مشاعرها ايضا فتقول .. « طوال الطريق كنت قلقة بشــان لقائى ببارتينى .. طفلتى بالمراسلة .. كنت اتساءل باستمرار كيف سابدو لها يا ترى .. هل سنجد ما نتحدث حوله . كيف ستنظر الينا هى واطفال القرية .. ونحمل اجندات فى ايدينا وكاميرات على اكتافنا .. ولكن خوفى مالبث ان تلاشى عندما اقتربنا من القرية .. فلم نجد سوى الترحيب الحار والابتسامات الدائمة على وجوه اهالى القرية .. كما لو كانت الاميرة ديانا هى التى ستزور القرية » .

وتضيف ماريا .. « ان كل أهالى القرية تطوعوا لتوصيلنا الى منزل بارتينى .. وهناك سرعان ما تعرفت على والدها السيد « وانرتو » وكنت قد رايته فى الصور التى ارسلتها الى ابنته بارتينى .. اقصد ابنتى بالمراسلة .

فى البداية استولت على مشاعر الدهشة الممزوجة بالاعجاب .. « الكلام مازال لماريا ..



عارضة الأزياء التى تلتقى بطفلتها بالمراسلة لاول مرة .. وتعود لتتساءل » .. كم هى ظالمة تلك الصور إن بارتينى اجمل منها بكثير .. لقد اعتقدت لفترة طويلة انها اجمل طفلة فى القرية .. لكننى بمرور الوقت .. اكتشفت كم كنت فخورة بها الى الدرجة التى كنت اراها اجمل فتاة ليس فى اندونيسيا فقط . ولكن فى العالم كله ..»

الأمومة تتحدث

«.. الأمومة داخل ماريا تتحدث .. من الضرورى أن يرتبط الطفل بشخص ما يشعر أنه مسئول عنه .. وهو الشعور الذى يدفعه الى بذل الجهد والنجاح والتفوق . شكرا للجمعية . لقد كان منزل بارتينى .. طفلتى الاندونيسية .. اجمل منازل القرية بالفعل .. اعيد بناؤه بحيث اصبحت حوائطه من الحجارة وحوله حديقة صغيرة ولكنها جميلة ومليئة بالزهور .. اما فى الداخل فالمنزل شديد النظافة .. جيد التهوية .. وبه نافذتان واسعتان من خشب البامبو .. يتخللهما ضوء الشمس بحرية .. وبه ايضا بارفان ـ حاجز ـ يفصل ما بين حجرتى النوم والمطبخ .. لقـــد تكلفت التحسينات التى ادخلت على منزل بارتينى واسرتها ١٧٥ جنيها استرليتيا فقط .. وقال لى ممثل الجمعية ايضا : ان الجمعية تحاول النهوض باحوال الأسرة منذ اصبحت بارتينى طفلتى بالمراسلة .. فقد ابتاعوا للأسرة عنزتين تدران اللبن للاطفال .. ومن ناحية اخرى فان ممثلى الجمعية يساعدون اهالى القرية .. ليس باعطائهم معونات مالية .. ولكن بتعليمهم كيف يساعدون انفسهم ..

.. تعرفت على شقيق بارتينى ووالدهـا ووالدتها .. اما بارتينى طفلتى .. فقد كانت تنظر الى بابتسامة خجولة من حين لاخر .. ربما يكون سبب خجلها هو هذه المساحيق التى وضعتها على وجهها للمرة الاولى تحية لى فيما يبدو ..»

.. عندما سالت ماريا طفلتها بالمراسلة بارتينى عما تنوى عمله بعد انتهائها من دراستها .. قالت لها .. سوف اذهب الى المدرسة العليا .. ثم ماذا بعد ذلك ؟ .. ردت بارتينى بسرعة .. اريد ان اصبح معلمة اطفال ..

«.. والغريب ان اهالى القرية جميعا وخاصة النساء والاطفال كانوا يتبعوننا الى منزل بارتينى . ويبدو ان الفتاة واسرتها كانت تعرف هذه الحقيقة .. فاعدت ثلاث بشات خشبية للجلوس عليها .. بينما وقفت هى بجوار الباب للترحيب بالزوار .

.. فى هذه الحالة كان استخدام القاموس ضرورة ملحة .. ورغم اننا كنا نحمله فى ايدينا الا ان مفعوله تضاءل الى جوار الابتسامة الصادقة النابعة من القلب .. لقد فعلت الكثير من اجل التفاهم بينى وبين اطفال القرية .. وبسرعة قدمت الاسرة للزوار الموز والفول السودانى واللحم المشوى وعصير الفواكه ..» ولكن ماريا لم تستطع ان تاكل والعيون من حولها تنظر اليها ..

بعد ذلك قالت لبارتينى .. «لقد احضرت هدايا من لندن .. ارجو ان تحوز رضاءك .» ثم شرعت ماريا فى التقاطها من الحقيبة واحدة وراء الاخرى ..«اتسعت عينا الطفلة ببريق محبب .. وامسكت بالهدايا .. وكانت عبارة عن اقلام حبر ورصاص وكتب و اقلام للتلوين من اجلها .. وبدلة لشقيقها الرضيع وقطعتين من الـ تى شيرت من هاواى لشقيقها الثانى ـ ٨ سنوات ـ وهاندباج او شنطة يد لوالدتها .. وخلية نحل .. احضرت توا من مصنع للخشب .. وعلبتين كبيرتين من الحلوى .. واحدة لبارتينى واسرتها والثانية لاطفال القرية وما ان اعطينا العلبة للصغار الاعزاء حتى اختفوا وهم يجرون وراء بعضهم البعض .. وبعد فترة قصيرة عادوا وعلى وجوههم الكثير من البهجة والمرح ..»

.. وقدمت ماريا هيلين الهدايا .. وكل من حولها يضحك ويتكلم .. الا هى .. كانت تفكر .. فى السعادة التى اجتاحت كيان هؤلاء الصغار من اجل اشياء تعد صغيرة وتافهة بالنسبة لها .. كانت تفكر فى لقائها بطفلتها المحبوبة لاول مرة .. وقالت انها سوف تتذكر هذه اللحظة لفترة طويلة قادمة .. وعندما طلب ممثل الجمعية من بارتينى ان تكتب لماريا هيلين كلمة فى كراستها الجديدة .. كتبت بارتينى بخط متعرج « ـ مرحبا ماريا ـ لقد تاثرت كثيراً حتى كدت ابكى » .. ثم خرجت ماريا بينما اصدقاؤها الصغار يلتفون حولها متشابكى الاذرع وكانهم يحتفلون بها ..

ليس هناك جدال فى ان هذا اليوم هو يوم بارتينى .. فكرت ماريا هيلين .. ولكن

كان كل أهل قرية «سومبرلور» يشاركونها سعادتها .. وطبعا كان من المستحيل ان تلتقط صورة منفردة لها مع بارتينى وحدها او مع عائلتها .. لان الكل كان يتزاحم حولها وكانهم عائلتها الكبيرة .

وقال لنا ممثل الجمعية .. ان حياة الأسرة بالكامل قد تغيرت منذ أصبحت ماريا اما لبارتينى ومسئولة عن رعايتها .. الأب « وانرتو » يزرع الارز وفول الصويا من اجل الاسرة،الجد يكسب قليلا من عمله فى المزارع .. امـــا الام « تيكـونيم » ففى استطاعتها ان تكسب دخلا من عملها فى الحقول بعد ان تكبر رضيعتها قليلا .. ولكن باللغرابة .. ان دخل الاسرة كلها لا يزيد عن عشرة جنيهات .. تصرف معظمها على التغذية والطعام .. ورغم ذلك فان الاسرة الآن تدخر ٤٠٠٠ روبية من هذا الدخل البسيط .

ويؤكـــد « جوس هول » المدير المسئول عن الجمعيـــة ، وهو أمريكى الجنسية ، يبلغ من العمر ٥٥ عاما .. ان خطة الجمعية تتلخص ليس فى اعطاء معونات مالية .. ولكنها فقط تساعد الناس على ان يساعدوا انفسهم .. اما النقود التى يرسلها الأباء بالمراسلة .. فانها عادة ما تصرف على تعليم الطفل وتكملة دراسته .. اما الجمعية من جانبها فانها تقوم بتطوير وتحسين مستوى المعيشة فى القريـــة فاحيانا تقوم ببناء مغسل جديد .. واحيانا اخرى تساعد الاهالى على انتاج محاصيل جديدة .. وعلى الرغم من ان الجمعية تعمل بالاتفاق مع الحكومة الاندونيسية والهيئات الاجتماعية فى جاكرتا .. فانهـــا لا تتلقى دعما ماليا من اى جهة .. وخلال الاسبوع الذى قضيناه فى زيارة الطفلة بارتينى راينا مشروعات القرى الاخرى مثل بناء خزانات للمياه حتى تستطيع القرية أن تجد المياه للاغتسال والاستحمام اثناء مواسم الجفاف .. وقد تعلم اهالى هـــذه القرى كيف يساعدون انفسهم .. فهناك اسر تقوم بتربية الدجاج وانتاج البيض .. ومزارع خاصة .. واخرى تصنع الحقائب من الجلد وثالثة تصنع الزى الاندونيسى الجميل .. انها نماذج ناجحة ولاشك .. ولكن الخطة تقوم فى الجانب الاخر بتنفيذ مشروعات صغيرة مثل ادخال الكهرباء ومواقد الغاز لمساعدة الاطفال على اداء واجباتهم المدرسية .. او بناء مراحيض لكل وحدة لخدمة اهالى القرى .

.. وبالمصادفة المحضة وصل محقق صحفى اثناء زيارة ماريا لطفلتها بارتينى الى « سومبرلور » لعمل تحقيق صحفى عن الجمعية .. وتساءل عما اذا كان هناك مناطق اخرى فى العالم تحتاج الى مساعدة الجمعية أكثر من اندونيسيا .. وكانت اجابة ريتشارد تويتز مساعد الجمعية .. ان هناك مناطق عديدة فى العالم مثل الهند واجزاء اخرى من افريقيا .. تعانى من الفقر وسوء التغذية حيث تكون الفرصة متاحة امام التدرن الرئوى للهجوم والقضاء على اكبر عدد من الاطفال فى هذه المناطق .

المشكلة الأساسية

.. والمشكلة الاساسية التى تواجه رسالة الجمعية ليست فى تعليم الاطفال هناك .. ولكن فى توعيتهم بالطرق الصحية لاستخدام مياه الانهار .. والمؤسف انهم حتى الآن يستخدمون مياه الانهار للتبول والاستحمام فى وقت معا .. وهنا تبرز المشكلة ليست فى جانبها الاقتصادى والاجتماعى فقط .. ولكن فى انها مشكلة ماساوية فى المقام الاول .

وعلى اى حال كما يقول ممثل الجمعية .. ان سياسة الخطوة خطوة .. تلك التى تتبعها الجمعية حتى الآن فى المناطق التى توجد فيها .. مازالت تحتاج الى مناقشة .. ان النجاح الذى حققته هذه السياسة حتى وقتنا هذا .. لا يعفى مسئوليتها فى ضرورة الاستماع الى اراء اعضائها من الاباء بالمراسلة . لقد اجمعوا جميعا وعلى راسهم ميشيل اسبل ـ مريم ستوبارد ـ مارى تيلور ـ مور بارونز ـ ايوارت بيجز .. ان درجة الاحتواء لم تصل بعد إلا الى الاطفال .. وهذا فى نظرهم لا يكفى .. لان الاحتواء المفروض ان يمتد ليشمل الاسرة كلها .. بل والحى او القرية كلها اذا امكن ذلك . والحق انها المغامرة الكبرى التى تواجه مشروعات الجمعية .. فى كل مناطق التخلف فى العالم الثالث .

.. تصوروا مثلا طفلة فى الثانية عشرة من عمرها مثل بارتينى لم تر مركبا فى حياتها .. بدا هذا واضحا عندما اصطحبت معها شقيقها ـ ٨ سنوات ـ وبعض اطفال القرية .. بارتينى وقفت طويلا امام البحيرة .. فى البداية اعتقدت ماريا .. ان الطفلة بارتينى ماخوذة بشكل البحيرة وكمية المياه بها .. ولكن ميجوتو شقيق بارتينى أوضح لها الامر فقال .. انها ماخوذة بالقارب الذى يسبح فوق مياه البحيرة .. انها مثل كل اطفال القرية لم تر اى قارب من قبل .. بل انها ـ يؤكد ميجوتو ـ المرة الأولى التى تخرج فيها من ـ سومبر لور ـ قريتنا .

.. وطوال الرحلة داخـــل حديقـــة الحيوانات كانت علامات الدهشة والانبهار على ملامح الاطفال .. حتى لو ماريا قررت ان تاخذهم مرة اخرى الى الحديقة .. حتى ترى الفرحة مرة اخرى على وجوههم .

.. زار الاطفال مع بارتينى وماريا احد المعارض هناك .. ثم اتجه الجميع الى الفندق الذى تنزل به ماريا .. وهناك .. تقول ماريا : « كانت الفرصة لخبرة جديدة يعايشها الاطفال لاول مرة ايضا .. ذلك انهم جميعا وبلا استثناء قد شبكوا ايديهم فوق صدورهم خوفا من الهواء البارد الذى يحدثه جهاز التكييف الموجود بالفندق ..

صعدنا مع الاطفال فى المصعد الخاص بالفندق .. وطبعا كانت المرة الأولى التى يستقلون فيها مصعدا .. حتى انهم كانوا فى منتهى الاستغراب والتاثر كما لو كانوا قد ركبوا صاروخ فضاء .. وعندما تثاءب الاطفال واحدا بعد الاخر .. عرفنا ان يوما كاملا من الخيال والمتعة قد انتهى .. » .

قبل يوم الرحيل قامت ماريا هيلين بزيارة خاصة لبارتينى لتقول لها وداعا .. كانت لحظة حزينة للطرفين معا .. ولكنها لم تكن نهاية لعلاقة ماريا بهذه الطفلة واسرتها .. وسالت ماريا جوس هول مدير الجمعية فى اندونيسيا عن نوع الهدايا التى يمكن ان تقدمها للاسرة «.. تناقشنا طويلا ثم قررنا شراء حظيرة كبيرة لتربية الدواجن .. لاننا ستكون كمن ضرب عصفورين بحجر واحد .. انها بمثابة طعام للاسرة الى جانب كونها يمكن ان تدر ربحا معقولا على افرادها».. وبالفعل تركت ماريا للاسرة ادوات واخشاب ومسامير لصنع الحظيرة بالاضافة الى عشرين جنيها لشراء الدواجن .

تؤكد ماريا اثناء رحلة العودة .. ان ٩ جنيهات استرلينية شهريا .. ليست بمبلغ كبير بالنسبة لعديد من الناس .. ولكن عندما نرى ماذا يمكن ان تصنع هذه الجنيهات القليلة من اشياء ذات نفع لاناس عديدين .. عندئذ .. سوف ندرك بالفعل كم كنا انانيين .. طالما فكرنا فى انفسنا طويلا .. ولكننا نتجاهل دوما ان الاهتمام بالآخرين يلقى ببذور السعادة فى قلوب هؤلاء الأطفال .. وقلوبنا نحن ايضا .. وعن نفسى .. تهمس ماريا .« ان جلب السعادة لطفلتى بارتينى بالمراسلة .. هى السلام الحقيقى الذى احس به الآن بكل تاكيد » .

نادية يوسف

هـــامش :

عنوان الجمعية : Foster Parents 114
New Bond St, London
W. L. Tel. 01-4091667

بقلم: جمال قطب

ذات المروحة وشاعرية الحب والصفاء



الفنان العربي محمد حسن
١٨٩٢ ـ ١٩٦١

تعودنا سويا ـ منذ سنوات ـ على ان نرنو بابصارنا وبصائرنا إلى اروقة المتاحف الكبرى فى العواصم العالمية . لنستعرض اعمال الأساطين من الذين خلدوا فى ضمير البشرية ، واضافوا الى التراث الانسانى ابداعات من الفكر والفن الرفيع . وقد جرت عادتنا ـ فى العالم الثالث ـ على ان نتغنى بعبقريات هؤلاء الأفذاذ ، وهذا منطق عادل وطبيعى ، لانهم صفوة موهوبة تستحق من بني البشر ان يفخروا بهم على مـــر السنين ولكن ، غالبا ما يعترينا نوع من التادب والحياء والتواضع فننسى انفسنا وعبقرياتنا الجديرة بالذكر. فالعبقرية ملك للبشر جميعا ، ومنة يهبها الله لمن يصطفى من عباده .. كما انها غرس يصـــلح إذا ما صلحت التربة الطيبة وحظى بالرعاية الدائبة .. وهكذا كانت السيطرة فى القرون الوسطى ، وحتى مشارف العصر الحديث ، للفكر الاسلامى وإبداعات الفنان المسلم .. فكانت الأندلس ومآثرها وروائعها الفنية ـ مثلا ـ منارة من الفن والثقافة العالمية يهتدى بها الغرب والشرق على السواء .

ولما تهاوت ممالك العرب وانحسرت دولتهم ، ثم تفككت بعد انهيار الدولة العثمانية التركية فى العصر الحديث تحت سطوة النفوذ الغربى والقهر الاستعمارى .. اندثرت وحدة الفكر ، وذابت شخصيتنا الفنية فى كيانات غريبة اخرى .. ولم يبق منها إلا القليل .

ومن هذا القليل قامت على ارض مصر فى اوائل القرن العشرين ما يعرف بالنهضة الفنية الحديثة ، وظهر جيل وطنى متحمس لايجاد فن راق يماثل الفن الاوروبى الذى غزا العالم متمركزا فى العاصمة الفرنسية ويلقى باشعاعاته على المنطقة العربية من واقع السيطرة الاوروبية الشاملة انذاك .

وتالقت اسماء عربية كبيرة شهدت المحافل الفنية فى اكاديميات الغرب لبعضها بالتفوق والعالمية !

ومن هذه الأسماء اللامعة : محمـــود مختار ـ يوسف كامل ـ راغب عياد ـ احمد صبرى ـ محمد حسن ـ محمد ناجى .. ومحمود سعيد . وهم جيل الرواد الذين يطلق عليهم : اعمدة الفن السبعة ..

وفناننا محمد حسن هو خامس الرواد الكبار . وقد احيا دور الفنان الصانع او الفنان التطبيقى .. او دور (الابـــداع والابتداع) ؛ اى انه يبتكر الفكرة ثم تتحول بين انامله إلى عمل فنى رائع . وهذا هو مدلول العمل الفنى قبل ان يتحول إلى سباق تشكيلى دون مراعاة للمضمون . وقد شاء الله ان يكون محمد حسن همزة الوصل بين الفنون الجميلة والفنون التطبيقية ، ولذلك قصة طريفة : فقد كان فناننا من ابرز طلبة الدفعة الأولى لمدرســة الفنون الجميلة التى افتتحت ابوابهـــــا عام ١٩٠٨ بالقاهرة ، واقيم المعرض الاول للنوابغ من اقسام المدرسة المختلفة .

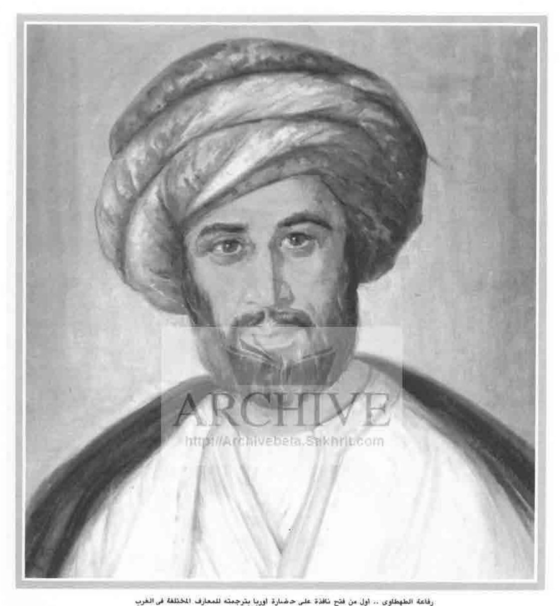
وامتازت اعمال محمد حسن بطابعها ومذاقها الخاص . وكانت هناك مدرستان تطبيقيتان فى ذلك الوقت بجانب مدرسة الفنون هما مدرسة الفنون التطبيقية ومدرسة الفنون والصنايع ، وحضر افتتاح المعرض ـ ضمن من حضر ـ رئيس قسم الزخرفة بمدرسة الفنون والصنايع ، وبهر الرجل باعمال فناننا الشاب ، فسعى الى تعيينه مساعدا له ، وبذلك استولى الفن التطبيقى على مشاعر محمد حسن ، واوفد فى بعثة طويلة لدراسة فن صياغة المعادن .. وبعد عودته عام ١٩١٩ اسس صرحا فنيا جديدا هو مدرسة الصناعات الزخرفية .. ثم عاوده الحنين إلى هواه الأسلى ، واوفد فى بعثة فنية طويلة اخرى سنة ١٩٢٥ لدراسة الفنون الجميلة فى ايطاليا . وبسبب النجاح السابق الذى كان بمثابة انقلاب وطنى فى الصناعة الفنية الدقيقة ، قرر المسئولون تعيينه فى مجـــال الفن التطبيقى حتى وصل إلى مدير مدرسة الفنون التطبيقية عام ١٩٣٧ ، وينتقل الفنان الكبير من منصب إلى اخر .. حتى وصل فى ختام حياته إلى ان يكون اول مدير مصرى للادارة العامة للفنون الجميلة ثم تمتد خبراته إلى المسرح ، فيتولى الاشراف على الفرقة القومية ، ويظل خط الوظيفة من السمات المميزة لحياة الفنان ، حتى بعد بلوغه سن التقاعد عندما عين مديرا للاكاديمية المصرية للفنون فى روما ، ثم مديرا لمتحف الفنون الجميلة بالاسكندرية الى ان فارق الحياة عام ١٩٦١ . وفى الذكرى الاولى لوفاته ، قرر المسئولون منحه (جائزة الدولة التقديرية) ، وهى ارفع وسام يحصل عليه عمالقة النابغين فى مصر .

ويعتبر محمد حسن من عباقرة الفن العربى والعالمى فى شتى مجالات التشكيل : فى فن النحت (وقد درسه فى مدرسة الفنون الجميلة بالقاهرة) ، وفى فن التصوير (عندما درسه فى بعثة طويلة إلى ايطاليا) ، وكذلك فى الفن التطبيقى الذى درسه فى بريطانيا ، وارسى قواعده الوطنية فى مصر ، وافسح له الكثير من المعاهـــد والتخصصات والممارسات الرفيعة .

وعلى الصفحة المقابلة ، يرى القارىء احدى لوحاته فى فن التصوير الزيتى ، وقد انجزها عام ١٩٢٨ واسماها ذات المروحة ، منتهجا اسلوبه الواقعى الذى يمتـــاز بالشفافية والصفاء ورهافة الحس .. وتلك كانت خصاله وشخصيته وخلقه ، ومن اقواله المأثورة : الفنان كالشاعر لا يكون مجوادا إلا إذا هيا لنفسه جوا من الحب والصفاء !



ذات المروحة (من مقتنيات متحف الفن الحديث بالقاهرة) رسمها الفنان عام ١٩٢٨



رفاعة الطهطاوى .. أول من فتح نافذة على حضارة أوربا بترجمته للمعارف المختلفة فى الغرب

عندما تكشف الألوان أسرار الإنسان:

ستة من الخالدين في مرآة صلاح طاهر

صبحي الشاروني



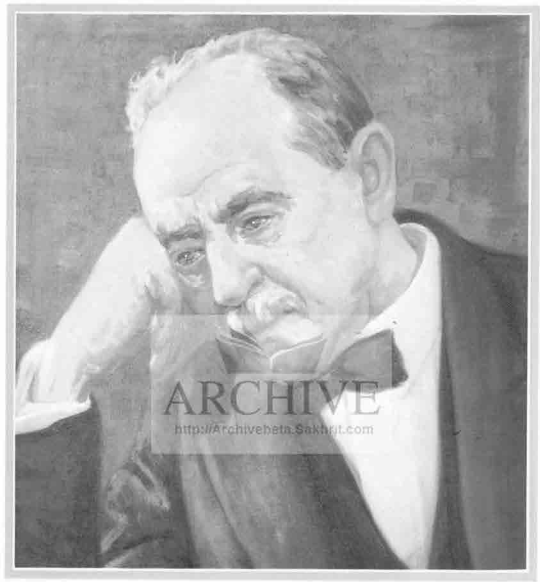
احمد لطفى السيد .. رغم انه كا من مشاهير رجال القانون ، إلا انه احب الفلسفة وترجم ارسطو

منذ عشرين عاما بدا الفنان الكبير صلاح طاهر فى رسم وجوه الادباء ورجال الفكر والصحافة فى مصر خلال القرن الاخير .. ولكنه لم يرسم حتى الآن سوى ستة وجوه ثبتت اخيرا فى قاعة المؤتمرات والمحاضرات بمبنى جريدة الاهرام ، وهناك اكثر من ٣٠ لوحة لم تتم تنتشر فى مكتبه بالجريدة التى يعمل بها مستشاراً فنيا ، وكان التخطيط الاول للمشروع ان يتضمن ايضا وجوه رؤساء تحرير الجريدة منـــذ تاسيسها عام ١٨٧٥

والملاحظ ان معظم هذه الشخصيات التى يرسمها قد رحلت عن عالمنا ، ولهذا يستعين الفنان بالصور الفوتوغرافية التى يحتفظ بها الارشيف .ومن بين هذه الصور يختار ما تمثل الشخص فى افضل الاوضاع واشهرها ثم يبدا العمل مستعينا بمعاصريه واحاديثهم عنه ثم كتاباته ، ليتعرف على روحه ويعايشه ، ثم ما كتب عنه اذا كان قد تناول سيرته احد ـ وهو بهذا يجتهد ان يتوصل الى اعمـــاق الشخصية التى يترجم صورتها بالالوان .

اما المعاصرون فبعضهم يجلس امامـــه للرسم والبعض الاخر يجلس معه للحديث ولا يعطى للفنان سوى فرصة ضئيلة ليضع بضعة خطوط ، فيضطر للاستعانة بالصور

ويحكى الفنان قصة اللوحات التى تمت، وهو يعد باتمام الباقى فى اقرب فرصة ، مؤكداً أن معرفته بصاحب اللوحة اذا كانت وثيقة كانت مهمته فى رسمها اسهل ..



الشاعر احمد شوقي .. اختار الفنان هذا الوضع الشهير له لندرة صوره الخاصة !

وكانت ذكرياته اثناء رسمها من الذكريات التى لا تنسى ..

رفاعة الطهطاوى

رغم أن رفاعة الطهطاوى لا ينتمى الى القرن الاخير الا انه يمثل الاب الروحى للتنوير والثقافة المعاصرة فى الشرق العربى .. فهو اول من اطل على الغرب فى بدايات القرن الماضى ، وفتح نافذة على حضارة اوربا وخاصة فرنسا عندما نقل الى العربية المعارف المختلفة مترجما ومعلما ، بالاضافة الى ملاحظاته الذكية ومشاهداته التى اشرك معه القراء فى الفرجة عليها ومتابعتها .

ويقول الفنان صلاح طاهر عن رفاعة الطهطاوى :

إننى اشعر بمدى عمق اتصاله وانتمائه لوطنه ، احس بغيرته الشديدة على مصلحة وطنه ، والمس ذلك من اهتمامات المفكرين المعاصرين به خلال فترة الرسم .. لقد كان الدكتور حسين فوزى اكثرهم حماسا لهذه اللوحة فهو من المغرمين برفاعة الطهطاوى وكان يمر على مكتبى ـ حيث اعمل ـ كلما جاء الى الدار .

أما الدكتور لويس عوض فقد بلغ ولعه بهذه اللوحة وتلهفه عليها الى حد المطالبة بتثبيتها فى مكتبه بالاهرام ثم اصراره على ذلك عندما اوضحت له انها رسمت



طه حسين .. جمعته عدة لقاءات بالفنان .. وكانت مليئة بالذكريات !

خصيصا لقاعة المؤتمرات والمحاضرات .. ورغم ذلك لم يهدأ حتى احتكمنا لمحمد حسنين هيكل رئيس التحرير وقتئذ فكان حكمه بأن من يرغب فى مشاهدة هذه اللوحة وتاملها فليذهب الى قاعة المؤتمرات والمحاضرات ويتاملها كيفما شاء .

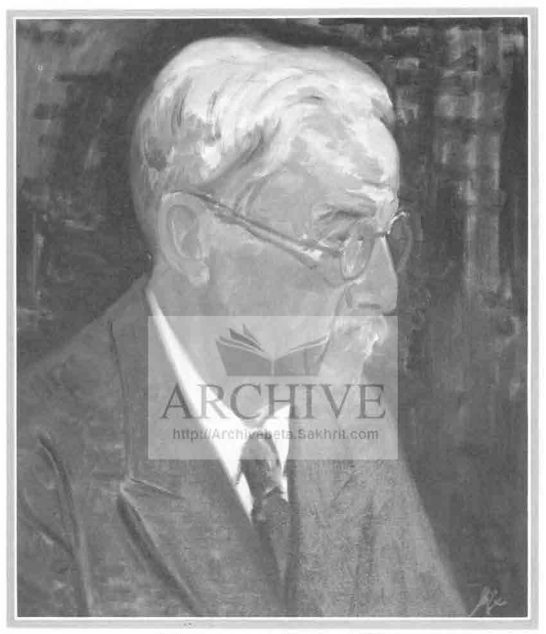
لطفى السـيد

ويتحدث صلاح طاهر عن بقية المشاهير العرب خلال القرن الاخير بحرارة وحماس وحب شديد :

كان لطفى السيد من رجال القانون ، لكنه احب الفلسفة وترجم أرسطو الذى لم يكن يخفى اعجابه بفلسفته .. لقد مد الله فى عمره حتى قارب المائة ، وكان رجال الفكر والأدب الذين يترددون على مكتبى اقل حماسا لهذه اللوحة من رجال القانون حتى ان احدهم كان يتابع نضج هذه اللوحـة يوما بعد يوم ويقول انه يقرا فيها كل يوم شيئا جديدا وكانها تفصح عن تاريخ صاحبها كلما سرت خطوة فى طريق اتمامها، حتى اذا ما انتهيت من رسمها اصبح اقل ترددا على مكتبى .

احمد شوقى

عند رسم لوحة احمد شوقى واجهتنا مشكلة ندرة الصور الفوتوغرافية لأمير



الشاعر خليل مطران ، الذى كان مديرا للمسرح القومى فى الثلاثينات !

الشعراء ، فهى قليلة للغاية ، ولم نجد بدا من اختيار هذا الوضع الشهير له مع اضافة الحس الشاعرى المرهف والعميق لاحمد شوقى .

وكنت اخطط لمناقشة الموسيقار محمد عبد الوهاب الذى عايشه وكان جليسه واكثر الناس التصاقا به ، لاستنير برايه فيما افعل اثناء الرسم ، كنت امنى نفسى بالاستماع الى ذكرياته عن استاذه شوقى ، لكننى للاسف لم اوفق فى الجمع بين محمد عبد الوهاب وهذه اللوحة ، لاننى فى كل مرة اسعى اليه اجده فى باريس ، حتى بعد ان اتممت اللوحة كان ذلك فى الصيف وهو الفصل الذى يقضيه الفنان بالخارج .

اما الشعراء المعاصرون فقــد كانوا يتجمعون ويزوروننى فى مجموعات لا تقل عن ثلاثة ليتابعوا عملى فى هذه اللوحة وابداء رايهم فيها .

خليل مطران

اما لوحة خليل مطران فقد اهتم بها

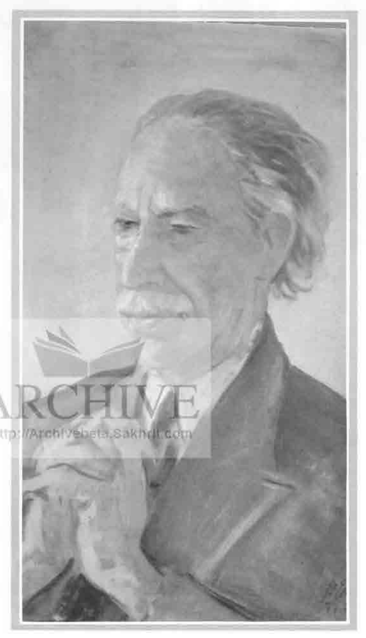
لرسم هذه اللوحة الا انه لم يجلس امامى لاتمها له ، لكنى كنت التقى به من وقت لآخر لاتأكد من بعض التفاصيل من وجهه ، ولعل اعجب لقاء تم بينى وبينه عندما كنت مشرفاً على مرسم الفنون الجميلة الذى يعقد شتاء بالاقصر وصيفا بحى الغورية بالقاهرة ، وكان هو مستشاراً فنيا لوزارة المعارف ..

كان اللقاء فى معرض لصور ولوحات اعضاء مرسم الفنون الجميلة وكان امراً غريباً أن يحرص الدكتور طه حسين – وهو ضرير – على افتتاح معرض للصـــور والرسم ، وقد رافقته فى جولة الافتتاح وحاولت قدر طاقتى ان اقربه الى رؤيتنا لكل لوحة وكل قطعة فنية بجميع ما تتضمنه من قيم جمالية وتفاصيل شكلية وحس فنى ثم توالت اللقاءات بيننا بعد ذلك ، ولم اواجه اى صعوبة فى تاكيد شخصيته العظيمة فى هذه اللوحة .

توفيق الحكيم

اما وجه توفيق الحكيم فقد رسمته عنه مباشرة .. لكننى واجهت مشـــكلة مستعصية .. فمن عادته عندما يجلس بين الصحاب ان يتخذ احد موقفين : اما أن يجلس ساكتا لا يفتح فمه بالكلام طوال الجلسة ويظل مستمعا ، واما ان يتكلم فلا يكف عن الكلام طول الوقت .. وكان من حظ هذه اللوحة انه كلما جلس امامى لا يكف عن الكلام لحظه .. وقد لجانا الى الاستعانة ببعض الاصدقاء للحضور فى موعد الرسم لكي يتحدثوا بدلا منه ويبقى هو مستمعا ، فلم نفلح .. الى ان حضر صديق وافهمنـــاه المـوقف ، ونجح في الانفراد بالحديث ، عندما تكلم عن موضوع يعتبر خطيراً بالنسبة لشخصية توفيق الحكيم ، وكان الحديث حول الضرائب المستحقة عليه .. عندئذ استغرق الحكيم فى التفكير وتحول الى الاصغاء ، فانتهزت هذه الفرصة وانجزت هذه اللوحة بسرعة .. لقد رسمتها فى اقل من ساعة ونصف ساعة .

بعد ذلك عندما رأى الحكيم ما فعلت استحلفنى الا المسها او اضيف اليها شيئاً وطلب منى ان اوقع امامه ، فلم اكملها كما اريد وتركتها كما يريد ، لانه تصور ان اى لمسة اخرى ستفسد المعانى التى اودعتها هذه الصورة وقد احترمت وجهة نظره .



توفيق الحكيم .. كان لا يكف عن الكلام اثناء رسم هذه اللوحة !

الاستاذ توفيق الحكيم ، فكان يتردد على كثيراً اثناء رسمها ويحضر معه جلساءه ، وينطلق فى حكايات وذكريات عن علاقته بخليل مطران عندما كان مديرا للمسرح القومى – فى الثلاثينات على ما اذكر – فكانت جلسات مسلية وذكريات جعلتنى اعيش تلك الايام وانا ارسم ،

هذا وقد تحمس احد الأصدقاء فاحضر ديوان خليل مطران ، وكنا نعقد جلسات استماع لأشعاره اثناء عملى فى الرسم ، حتى استحوذ على ايقاع شعره ومعانيه .

طـه حسين

رغم ان الدكتور طه حسين كان معاصراً

صبحى الشارونى



في بيتنا تقاليد شعبية:

الأعراس والمجالس والملابس الزاهية

تحقيق: يوسف الحرمي

تم بناء بيت التقاليد الشعبية فى وسط الدوحة ـ منطقة الأسواق مع بداية القرن الحالي ، ويتميز عن المنازل المحيطة به ببرجه الهوائي « البادجير » الذى يعرض طريقة المعيشة داخل البيت القطري وجوانب الحياة الاجتماعية فى الفترة التى سبقت اكتشاف البترول .

إن كل غرفة من غرف هذا البيت تبرز جانباً من الحياة اليومية لأفراد العائلة : استقبال الرجال والنساء ونشاطاتهم وسمرهم ، العاب الأطفال ، الزواج ، نشأة وتطور حياة الولد والبنت ، وكذلك عادات الطعام فى البيوت القطرية ..

وفى ذلك الوقت لم يكن هناك دور محدد للغرف السكنية عدا المجلس والمطبخ ، فاهمية هذا البيت انه يعكس حياة الانسان القطري وطرق معيشته فى زمن كان فيه يعتمد على مهارته الشخصية فى توفير

أسرة قطرية اثناء زيارتها لبيت التقاليد الشعبية الذي نرى بداخله حياة الانسان القطرى وطريقة معيشته في ايام زمان

كافة ادواته المستخدمة فى المنزل .

ويزخر بيت التقاليد الشعبية بنمط فريد من نوعه للحياة الاجتماعية التى كانت تدور فى داخله من نشاط فى مناسبات مثل الزواج وقد اعد لهذه المناسبة غرفة خاصة تسمى « الخـــلة » وهى بمثـــابة مكان يستضيف فيه والد العروس عريس ابنته لمدة تصل الى أسبوع واحد ، وخلال هذه المدة يعتبر ضيفاً على اهل العروس ولذا فهذه الغرفة ليست من الغرف العادية ، حيث يتم تزيينها باجمل الاثاث والمناظر « المرايا » ذات الرسوم الجميلة التى يتم استعارتها من بيوت الحي خلال هــذه المناسبة السعيدة .

وفى هذا البيت نرى كذلك « الدزة » وهي عبارة عن صندوق مليء بملابس العروس الزاهية التى تم اعدادها خصيصا للمناسبة ، بالاضافة الى بعض الحلي الذهبية كالقلايد والسلاسل !

أمـــا فيما يخص بقيــــة العــــادات الاجتماعية ، فقد اعد فى البيت معرض للالعاب الشعبية التى كان يمارسها الاولاد والبنات سواء كانوا فى داخل البيت او فى خارجه ، والصور المعلقة على جدران البيت يمكن للمشاهد الزائر ان يتاملها فهى تعبر عن نفسها بالقراءة والمطالعة !

وكما نعرف فان « المجلس » يلعب دوراً كبيراً فى تنظيم العادات والتقاليد داخـــل جدران البيت ، حيث يستقبل رب الأسرة ضيوفه من رجال الحي ليقضـــــوا فيــه سهراتهم الليلية يسردون القصص والحكايات وتلاوة الاشعار والحديث عن شئون الحياة اليومية ، وغالباً ما تدور « فناجين » القهوة العربية ، وهى تعتبر رمز الضيافة لدى اهل البيت .

ويشاهد الزائر بالمجلس صورتين تعبران عن الوظيفة الاولى للمجلس ، فهما تمثلان مجموعة من الرجال يحتسون القهوة ويلتفون حول الوليمة او « العزيمة » بشكل جماعى .

والبيت يستقبل فى الغالب كل يــــوم نساء الحي فى فترة ما بعد العصر ، حيث ينشغلن بسرد القصص المسليــــــة او الحكايات الطريفة ، بالاضافة الى اعمال الحياكة بالابرة اليدوية لاعداد ملابسهن الخاصة وملابس الاولاد !

وقد قال مدير إدارة السياحة والآثار جـــاسم محمـــد زينى إنه إذ يشـــــكر الاخوة المسئولين بوزارة الاعلام ووزارة الأشغال العامة على حسن تعاونهم الكامل فى انجاز هذا المشروع الهام ، فهو سعيد جداً بتحقيق ما كان يتمناه ، فقد كانت تلك الفكرة تدور فى مخيلته منذ وقت طويل ولذا كم كانت سعادته بالغة عندما راى جزءاً من مظاهر الحياة القديمة يبرز حيا إلى الوجود ، لتشاهده الاجيال الجديدة وتتعرف على حياة الاجداد بصورة طبيعية وليتذكروا القول السائر : من لا ماضى له لا حاضر له ، فالآثار والتراث شيئان يعبران بصدق عن حضارة المجتمع ، ونحن فى دولة قطر نريد بذلك ان نثبت باننا نعيش حياة لها جذور اصيلة وعادات وتقاليد جميلة نفتخر بها ونحافظ عليها من خـــلال رعايتنا لبيت التقاليد الشعبية .

وبعـــــد ..

هذه هى اهم الملامح التى يحتويها بيت التقاليد الشعبية التى تتصل بالحيـــــاة الاجتماعية فى قطر ، حيث يعتبر هذا المشروع الوحيد من نوعه فى دولة قطر لكونه يعكس دراسة خاصة عن حياة الأسرة القطرية التى تغيرت جذريا عندما دخلت الوسائل الحديثة الى مجتمعنــــــا اليوم .

وسيكون هذا البيت بمثابة معرض دائم للاجيال القادمة ، يشاهدون فيه طريقة الحياة التى كان يعيشها اجدادهم بكل ما فيها من بساطة واعتماد على النفس .

عبدالكريم البليخ

مدينة الشعر والجمال:

كنز أثري تحت الرمال!



المدخل الرئيسي لمدينة الرصافة مازال الى اليوم عن طريق الباب الشمالي بملامحه القديمة وزخرفته الملفتة للانظار

حفلت البادية السورية منذ اقــدم العصور بمدن وقصور ومنشات من كل نوع رائعة التخطيط مترفة البنيان ، اندثر اكثرها فلم يبق قائما منه اليوم سوى خرائب متناثرة فى جنبات الواحات وبين الرمال . وربما تحدت بعض الاعمدة الرشيقة والجدران والنقوش عوامل الزمن وافتنات الانسان فظلت منتصبة تثير الخيال عندما يمر المسافرون من امامها اثناء تنقلهم عبر قرون من الصمت إلى عهود كانت تضج فيها بالنشاط والفن والرفاه . من تلك المواقع عشرات اصطلح على تسميتها بالمدن الميتة شرقى حماه وفى جبل الزاوية بين حماه وإدلب وفى جبل باريشا وجبل العلا الى الشمال الغربي من حلب . ومنها آثار «قصر ابن وردان» و «ديرصليب» و «قصر اسرية» . ومن اهمها جميعا تدمر و « دورا اوروبوس » وماري . ومنها القصور الاموية « الحير الغربى » و « الحـــير الشرقى و « اسيس » فى القطر السورى و « قصر عمره » و « المشتى » و « خربة المفجر » و « خزانة » فى القطر الاردني الشقيق وقصر عنجر فى لبنان الحبيب وغيرها كثير .

وكثير من المدن والقصور مايزال مطمورا تحت رمال البادية السورية تظهره معاول المنقبين وجهودهم سنة بعد سنة . والرصافة واحدة من تلك الروائع التى يزدان بها الكنز الاثرى فى بلادنا وان تكن لم تحظ بعد بما تستحق من عناية باحثينا ورجال الآثار .

وقد ورد ذكر الرصافة فى النصوص الآشورية ، وفى سفر الملوك الرابع من العهد القديم ، وقد جاء اسمها بصــيغة « راصف »

ثم تحول اسمها فيما بعد الى الراسابة ثم الى الرصافة وهو ضم الشيء إلى الشيء كما يرصف البناء . وقد دعيت بعد القرن الرابع « سرجيوبوليس » اي مدينة سرج او سرجيس نسبة الى سانت سرجيس الذى قتل فيها نحو سنة ٣٠٥ ، على عهد ديوقلتيانوس .



بقايا حمامات الرصافة مازالت تشهد على مجدها القديم الزائل

المسرح القديم ببنائه الضخم وساحته



فتاة من الريف القريب من مدينة الرصافة الأثرية اثناء اعدادها طبقا من الخوص



بقايا قصر الخليفة الاموى هشام بن عبد الملك

اهمية المدينة

إلى الجنوب الشرقي من مدينة حلب على بعد ١٨٠ كيلومتر تقع الرصافة ، وتبعد عن مدينة الرقة ٤٠ كيلومترا الى الجنوب .. شيدت فوق منطقة تضم بعض المرتفعات ، ويرى الناظر عندما يطل من خرائبها فضاء منبسطا لا يحده سوى خطوط الأفق البعيد . يحيط بالمدينة من الجهة الجنوبية والشرقية هضاب تضم اثارا لم يكشف إلا عن جزء منها حتى الآن . وتقع ضمن واحة وادى الملح التى كانت توصل مياهه إلى صهاريج بناها هشام لما وقع الطاعون بالشام وكان يسكنها فى الصيف كما ذكر بعضهم ، ووجدت فى اخبار ملوك غسان ، ثم ملك النعمان بن الحارث بن الايهم وهو الذى اصلح صهاريجها وصنع صهريجا عظيما ، وقد كانت ماثلة للوجود قبل عهد الاسلام بدهر ليس بالقصير ، ولعل هشاما عمر سورها او بنى بها ابنية يسكنها وقال احمد بن يحيى وما رصافة الشام فان هشام بن عبد الملك احدثها .. وقال الاصمعي : الزوراء رصافة هشام ، فيها وبرعجيب وعليها سور ، وليس عندهم نهر ولا عين جارية إنما شربهم من صهاريج عندهم داخل السور ، وربما فرغت في اثناء الصيف فلاهل الثروة منهم .. لهم عبيد وحمير يمضي احدهم إلى الفرات العصر فيجيء بالماء في غداة غد لأنه يمضي اربعة فراسخ او ثلاثة ويرجع مثلها ، وعندهم ابار طول كل بكر مئة وعشرون ذراعا واكثر ، وهو مع ذلك ملح ردىء ، وهى في وسط البرية ، ولبني خفاجة عليهم خفارة يؤدونها إليهم صاغرين ، وبالجملة لولا حب الوطن لخربت ، وفيها جماعة من اهل الثروة لانهم بين تاجر يسافر الى اقطار البلاد ، وبين مقيم فيها يعامل العرب ، وفيها سويق عدة عشرة دكاكين ، ولهم حـذق فى العمل ، وكل رجل عظيم مهما كانت حالته إن كان فقيرا او غنيا يغزل الصوف ونساؤهم ينسجن ، ولهذه الرصافة غنى الفرزدق بقوله :



احد صهاريج الرصافة الاربعة ، وتظهر فوهة الصهريج وجسمه المتبقى فى باطن الارض

إلام تلفتين وانـــــت تحتى
وخير النـــــاس كلهم امامي ؟
متى تردى الرصافة تستريحى
من الانساغ والجلب الدوامي

كما ذكرها ابن بطلان الطبيب في رسالته الى هلال بن المحسن فقال : بين الرصافة والرحبة مسيرة اربعة ايام ، قـال : وهذا القصر ، يعني قصر الرصافة ، حصن دون دار الخلافة ببغداد مبني بالحجارة وفيه بيعة عظيمة ظاهرها بالفص المذهب انشاه قسطنطين بن هيلانة وجدد الرصافة وسكنها هشام بن عبد الملك

وتكمن اهمية الرصافة في موقعها على طريق القوافل القديم وهو الطريق الذي يخلف الفرات في موقع « سوار » ويسير باتجاه البحر الابيض المتوسط ماراً بتدمر ودمشق .

وتدل اقدم الشواهد التاريخية على وجود تجمع بشرى فيها فى القرن التاسع عشر قبل الميلاد .. وعندما ادرك الرومان اهمية الطريق المؤدية الى البحر من الفرات اصلحوها واقاموا لحمايتها عـدداً من الحصون الصغيرة ، وكان منها واحد في الرصافة . وتم تشييد ابنيتها من الحجر الكلسي المشرق البياض فهي تلمع في نور الشمس كانها ابراج من الزجاج

السور والقصر القديم

اقام الامبراطور « جو ستنيان » اسوار الرصافة لحمايتها من الهجمات ، وتختص احجارها الجصية التي بنيت بها اسوارها من الحجارة الجصية المتبلورة .. وتمتد هذه الأسوار على شكل مستطيل يتجه باتجاه الجهات الأصلية ويبلغ طول ضلعه باتجاه ٥٣٦ متراً والجنوبي ٥٥٠ متراً وطول الضلع الشرقي ٣٥٠ متراً والغربي ٤١١ متراً ، ولها في منتصف كل ضلع من هذه الأضلاع باب ، والبابان الرئيسيان هما الشمالي والجنوبي ، ويعتبر الباب الشمالي أجمل الأبواب الباقية في الرصافة حاليا بزخارفه ، ومداخله ، واعمدته وتيجان نقوشه النباتية الرائعة فوق العمد كما تزين الأفريز الأعلى نقوش حيوانية تمثل ثوراً واسدين وكباشاً . اما سور الرصافة فيبلغ سمكه ثلاثة امتار ، وله ابراج متعددة ، مضلعة الشكل ، وابراج الزوايا الأربعة في السور مستديرة . وداخل هذه الاسوار مزدوج ، استعملت فيه الاكتاف او الدعامات ، بدل الاعمدة لاقامة اروقة ذات اقواس مدورة ، تحتوي على نوافذ لقـــذف النبال ، وهـــذا يـــدل على اهميتهـــــا فى اغراض الدفاع ..

لقد اتبع فى تخطيط الرصافة نفس اسلوب المعسكر في العصر البيزنطي ، إذ كان المهندسون في هذا العصر يقيمون المعسكرات على شكل مربع او مستطيل قريب من المـربع مما يســاعد حسب راي «جوليوس الافريقي» على إجبار العدو المهاجم ، على توزيع جنوده ، موجها القوة الكبرى نحو الواجهة

واول ما يلاحظ فى الداخل .. عندمـا تشرع فى الدخول الى المدينـة القديمة من الباب الشمالى تشـاهد كنيسة الشهادة « المارتيريوم » وما تزال اقسام كثيرة منها قائمة .

والى الجنـــوب تقوم بازيليكا سانت سرجيوس وهى اضـخم ابنية الرصافة المتبقية واوقعهـا فى النفس ولا تـــزال تحتفظ باكثر اجزائها الأصلية .

وفى الزاوية الجنوبيــــة الغربية من السور تقوم منشات صهاريج اربعة جبارة معقودة السقوف ما تزال بحـــالة سليمة تدعو للاعجاب وتوحى بصـــلاحيتها للاستخدام لولا تهدم اقسام صغيرة من سقوفها ، وكانت تفيد فى اختزان كميات احتياطية من مـــاء المطر تكفى لظروف الحصار .

اما إذا ترك الزائر المدينة من ثغرة الى الشمال الشرقي من السور على بعد مئتي متر تقريبا فانه يلتقي ببقايا قصر اموي كان دون شك قصر هشام بن عبد الملك الذى كشفت عنه البعثة الالمانية برئاسة السيدة « دورن » .

والقصر مربع الشكل طول كل جانب منه قرابة ثمانين متراً ويحمي كل جانب برجان مستديران يرتكز كل منهما على قاعـــدة مربعة .

ولقد تم تشييد اسوار الرصافة الضخمة فى العهد البيزنطي ، وكذلك بناء الصهاريج العميقة لجمع المياه ، كما تركزت حـاميه تتناسب مع اهمية المدينة . واثناء تولي الامبراطور « انا ستازيوس » عرش بزنطية دعيت الرصافة « انا ستازيابوليس » على اسم هذا العاهل الذى شيد فيها بناء البازيليكا الفخم ، ويمكن للمؤرخ ان ينسب للعاهل نفسه بناء اسوارها وصهاريجها الضخمة ، فكل شيء يدل على انها تسبق زمن « يوستنيان » الذى اصطلح على نسبتها لعهده ، واستوطنت المدينة فى تلك الفترة قبائل العرب الغسانين وجعل اميرهم المنذر بن حارثة ـ القرن السادس ـ مقره خارج الاسوار ولا يزال نقش باللغة اليونانية على واجهة الكنيسة المربعة يذكر المنذر الملك العربى .. وكانت توجد حامية بزنطية ترابط بالرصافة فى القرن الخامس حينما هاجمها كسرى الاول ملك الفرس اثناء توليه حملة على سورية الشمالية ، ولكنه فشل فى هجومه بفضل اسوارها المنيعة ولم يستطع الوصول الى كنوزها .. غير أن ابنه كسرى الثانى تمكن من التغلب على المدينـة ونهبها رغم تجـــــديد الحصون الذى قام به « موريكيوس » ،

الاقواس التى تعلو الباب الشمالى فى مدينة الرصافة .. ويلاحظ النقوش النباتية الرائعة التى تزينه ..

وظلت الرصافة بعد ذلك النهب مهدمة .. حتى حلول العهد الاسلامي ..

فى ظل الحكم الاسلامي

وتمتعت الرصافة فى ظل الحكم العربى الإسلامي ، بالحرية التامة لما كان للعرب من تسامح مع أصحاب الديانات الاخرى ، وقد اقترن اسم الرصافة فى العصر الأموى بالخليفة هشام بن عبد الملك

وتذكر النصوص التاريخية ، ان الخلافة اتت هشاما سنة (١٠٥ هـ) (ـ (٧٢٣ م) فى الزيتونة بمنزل فى دويره له هناك .. فجاء البريد بالعصا والخاتم ، وسلم عليه بالخلافة فركب هشام من الرصافة حتى أتى دمشق وكانت وفاته بالرصافة يوم الاربعاء لست ليال خلون من ربيع الاول سنة ١٢٥ هـ ـ ٧٤٢ م ،وبها قبره ،كما تذكر النصوص التاريخية ان هشاما قد سكن الرصافة ، وشيد بها قصرين وكان يهرع اليهما صيفا

.. وكان سبب نزوله اياها ، ان الخلفاء الامويين وابناءهم كانويتسابقون ويهرعون من دمشق هربا من الطاعون . فينزلون البرية خارجا عن الناس . والحقيقة ان بادية الشام ، واطرافها فى عهد الخلفاء الامويين كانت قد لاقت عهداً جديداً من حياتها ، وتبديل معالمها ، إذ ان هؤلاء الخلفاء قد انشاوا فى رحابها الفسيحة قصورهم الحسان ، وزرعوا بساتينهم النضرة ، واحالوا سكونها إلى ضجيج ملأ ارجاءها ، ونقلوا ترف الحضارة ، ومزجوه فى بساطة البادية .

ولئن فقدت الرصافة مكانتها السياسية ، بعد العصر الاموي فقد ظلت زاهرة من نواحي اخرى ويتمتع اهلها بالعيش الهادي ويبنون علاقتهم مع من جاورهم من الاقطار .

وكان دير الرصافة فى العصر العباسي يستهوي قلوب الشعراء ويحرك مشاعرهم ، اذ انه كان يدهش زائره بحسن عمارته وبنيانه حتى قال ياقوت « وهو من عجائب الدنيا حسنا وعمارة » ومر به فى القرن الثانى ابو نواس الشاعر فقال :

ليس كالدير بالرصافة دير
فيه ماتشتهي النفوس وتهوى

وكان المتوكل على الله فى اجتيازه الى دمشق قد وجد فى حائط من حيطانه رقعة ملصقة مكتوبا عليها هذه الابيات :

أيا منزلا بالدير أصبح خاليا
تلاعب فيه شمال ودبور
كانك لم تسكنك بيض أوانس
ولم تتبختر فى فنائك صور
وابناء إملاك الملوك غياشم
صغيرهم بين الانام كبير
إذا لبسوا أوراعهم فعنابس
وإن لبسوا تيجانهم فبدور
على انهم يوم اللقاء ضراغم
وانهم يوم النوال بحور
ولم يشهد الصهريج والخيل حوله
عليه فساطيط لهم وخدور
وحولك رايات لهم وعساكر
وخيل لها بعد الصهيل شخير
ليالى هشام بالرصافة قاطن
وفيك ابنه يادير وهو أمير
إذا العيش غض والخلافة لدنه
وانت طرير والزمان غرير
بلى فسقاك الله صوب سحائب
عليك بها بعد الرواح بكور
تذكرت قومي بينهم فبكيتهم
بشجو ومثلى بالبكاء جدير

فارتاع المتوكل عند قراءتها ، واستدعى الديراني ، وساله عنها ، فانكر ان يكون علم من كتبها ، فهم بقتله ، فساله الندمان فيه ، وقالوا ليس ممن يتهم بميل إلى دولة دون دولة فتركه .. ثم ان الابيات من شعر رجل من ولد « روح بن زنباع الجذامي » . من اخوال ولد هشام بن عبد الملك .

ومما هو جدير بالملاحظة ، ان الرصافة عرفت من أهلها كثيراً من رجال العلم والفكر ، فى عصورها السابقة ويذكر منهم « شعيب بن دينا » كاتب فى ايام هشام بن عبد الملك .. وكان يكتب له ، ويعد من مشاهير الكتاب فى الاسلام ومنهم « ابو سليمان محمد بن شهاب ، الزهري » من اهل القرن الرابع من رجال الحديث ، ومنهم الحجاج الرصافى اعلم الناس بخلق الفرس من راسه الى رجله ، وكان عالما بالنبات ايضا ، إلى جانب الحديث ، مات سنة ٢٢١ هـ ـ ٨٣٥ م .
وقد زالت أهمية الرصافة ، وضعف شانها ، فى مطلع القرن التاسع عشر من جراء الزلزال الذى اصابها فتصدعت ابنيتها وانهار بعضها الآخر .
وتم نقل « اهل الرصافة » وترحيلهم إلى السلمية شرق حماة بامر من السلطان بيبرس بين عامى (١٢٦٠ ، ١٢٧٧) ويبدو ان مظاهر الحياة اخذت تتلاشى هناك منذ ذلك التاريخ وليس بعيداً ان يكون الغزو المغولي هو الذى اجهز على الرصافة بالضربة القاضية حين اطبق على المدينة القريبة منها ، ويمكن رؤية خرائب الرصافة قبل الوصول إليها بعدة كيلومترات وهي واقعة فى منبسط من الارض بين جبلي البشري وأبورجمان ولا يقصدها الا بعض البدو الذين يتنقلون مفتشين عن الكلا .

والرصافة اليوم بلدة مهجورة بعيدة عن العمران والتجمعات الانسانية وعن المياه ، على أن آثارها الباقية تعتبر من اجمل ما تضمه البادية السورية من روعة وبهاء ..

عبد الكريم البليخ
الرقة ـ سوريا

بقلم: حسن الملا

فنان يمني يلفت النظر:

استقلال الفنان شرط للإبداع والابتكار

في انتظار المهاجر



علي غداف

تكتسب ارض اليمن قيمتها العظيمة من كونها اكثر الأقطار العربيــــة احتفاظا بالرصيد الحضارى ، فهى كنز لا ينضب من كنوز المعرفة والتراث العربى المعاصر ..

ومنذ المعرض الأول لاتحاد الفنانين العرب فى عام ١٩٧٣ ، برز الفنان اليمنى علي غداف كواحد من اهم الفنانين العرب المبدعين القادرين على البوح باسرار التراث المحلى والاسلامى عامة ، باحدث الأساليب الفنية وايسرها تعبيرا ، واستطاع باجتيازه لهذا الطريق الرحيب ان يتبوأ مركزه كفنان عربى معاصر ، سلاحه البحث والتعمق من اجل الدمج بين التراث والمعطيات الثقافية والحضارية لعصرنا الراهن ..

ويخيل الى ان الثقة بالذات لدى هذا الفنان ، كانت ولازالت ترتبط باحساسه الرهيف وانطوائه على عالمه الداخلى الخلاب من اجل بلورة رؤيته للعالم من حوله !

وهو اثناء كل ذلك يلجــأ الى اكتشاف احساسه بالحضارة اثناء اغترافه من معين الفنون الحرفية المحلية ، واستخدامه لامكانيات الحرف العربى ، محاولا توسيع قاعدة الاحتمالات الفنية التى ينتقى منها ويستلهم افكاره المتميزة فى لوحاته التى تعبر عن مدى ما تختزنه ذاكرته التدوينية من افكار ومعطيات فنية !

ومن هذا المنطلق الأصيل المتجدد ، جاء معرض الفنان اليمنى علي غداف فى الفترة ما بين ٧ الى ١٢ فبراير ١٩٨٤ ، غنيا بمعطياته الحضارية والتقنيـــــة على الصعيدين التدوينى والفولكلورى !

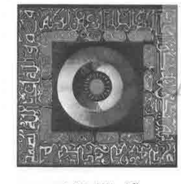
ومن خلال هذا المعرض الهام يطالعنــا الفنان فى اعماله الاخيرة باهتماماته التشخيصية والتجريدية ، وهو بذلك يحاول ان يكتشف العلاقة بين مشـكلة الظهور والخفاء او الظاهر والباطن ، فهو يرسم الانسان بملامحه الطبيعية ، لكنه يعود فيثرى ما يرسمه بالتكوينات الزخرفية وكانه يجد فى ذلك ضربا من النظام السحرى ، يستعيره من رموز تعبيرية او ميتافيزيقية او إشارة مبهمة زخرفية او بنية كائن ليس له شكل معين !

على ان تجريداته الشعبية ـ إذا صح هذا التعبير ـ سرعان ما تجد لها متنفسا فى بعض تكوينات الحرف العربى ، ليساهم فى إغناء عالمه التشكيلى بهذا المضمون اللغوى العظيم !

وبالاضافة لكل ذلك ، فان ما يلفت النظر فى اعماله الاخيرة ، هو محاولته ان يعثر



تكوين عربي



نقوش وزخارف اسلامية

تكوين اسلامي

على مفردات لغوية تشكيلية جديـــدة ، يستمدها من ذلك الحوار المستمر ما بين شخوصه ، ففى اى لوحة من لوحاته يستطيع المشاهد ان يحس ـ بكل يسر ـ بالعلاقة بين الانسان او المنظر واللغة المدونة ، فكل حرف ابجدى فيها يتكامل مع الحرف الآخر ، وهذه الحروف فى مجموعها وسيلة للتفاهم بين كل معطيات العمل الفنى ، من خلال نسق معقد من الوحدات !

والملاحظ ان بعض اعمال الفنان تدل على تعمقه فى تجاربه الحرفية فيما يتعلق بفن « الجرافيك » ، فقد اخذ بصناعة الأصول المطبعية مع تطعيمها بمعادن واكسدتها ، وبذلك اضفى عليها جواً من الطرح الحرفى ، الذى برهن به الفنان على مواصلته المستمرة فى مجال الابداعين : الحرفى والفنى !

استلهام الحرف العربى

يقول الفنان علي غداف عن رحلته فى عالم الفن التشكيلى ، انه فى بداياته سار على درب المدرسة الانطباعية ، حتى اخذ يترسخ فى نقل الطبيعـة والاشـــخاص وما حوله من جماد أو طبيعة صامتة ، وبعد ذلك أحس برغبة عارمة فى ان ينتقـــل بتجربته الى المدارس الفنية المتعددة الأخرى وخاصة السريالية ، وخلال ذلك كان يبحث عن خط واضح لعمله الفنى ، حتى استطاع استاذه المجرى « ماسدلى » صاحب مدرسة « البوب آرت » فى فرنسا حالياً أن يترك اثراً واضحا فى نفسه قبل عام ١٩٧٤ ، وأن يوجهه الى الطريق الذى استطاع فيه ان يكتشف قدراته من خلال تجارب فنية متعددة فى العمل : كالرسم والحفر والطرق والتشكيل بمواد اخرى ، وهنا بدا يتخذ الرمزية المبسطة كطريق لأسلوبه المعاصر مع استلهام الحرف العربى كلغة تشكيلية يحافظ من خلالها على الشكل والمضمون .

ان البدايات فى استلهام الحرف العربى ـ كما يقول الفنان ـ كانت لفنانيين عراقيين مثـــل شاكر حسن آل ســعيد ومديحة عمر وجميل حمودى ، حيث كانت الانطلاقة المكثفة بين جمع من الفنانين اطلق عليهم : جماعة البعد الواحد .. هذا مع العلم بانه كانت هناك محاولات اخرى لاستخدام الحرف العربى من بعض الفنانين الاوربيين المعروفين ولكنهم فشلوا بالاحساس بجمال الحرف العربى ومعناه !

فنان يمني يلفت النظر



تكوين شرقي

واقول للفنان علي غداف : إذن وعلى ضوء كل ذلك جاءت تجربتك الفنية من خلال الاطلاعات والتجارب المستفيضة ..

ويقول لي : نعم .. جـــاءت تجربتي المتواضعة من خلال كل ذلك ، بحيث يستطيع اى متذوق فنى ان يتعرف على اسلوبى من خلال « التوليفات » الفنيـة المستخدمة فى اللوحة ، ومن خلال فك رموز زخرفة المصوغات اليمنية القديمـــة واستخدامها فى لوحاتى ، وايضا من خلال التشكيل بالمواد البارزة الأخرى للاشكال التراثية الاسلامية فى البناء والهندسة والزخارف وكل ماله صلة بالاصالة ، مع عدم تجاهل التقنيات الأوربية المعاصرة فى تكوين العمل الفنى !

شخصية اللوحة العربية

قلت للفنان اليمنى علي غداف : ما رايك فى خطوات الحركة التشكيلية فى وطننا العربي ؟

قال : انها نشطة الى حد ما فى بعض الدول العربية ، نتيجة لما تلاقية من دعم مستمر وامكانات متوفرة ، إلا انهـا حتى الآن لم تستطع ان تواكب الحركات الفنية المعاصرة .. فمثلا الفنان العربى المرتبط بالوظيفة لا يمكن مطلقا ان يعطى كل طاقاته الابداعية فى عمله الفنى ، فالوظيفة تحد من عطائه الابداعى واستمراريته .. وهناك محاولات جادة من خلال التجارب الفنية والعطاء المستمر فى بعض البلدان العربية التى توجد فيها معاهد واكاديميات للفنون التشكيلية ،ومن خلال الفنانين الموفدين للخارج للدراسة والاطلاع ، وحتما ستعطى هذه الخبرات ثمرة طيبة فى ارض الحركة الفنية التشكيلية العربية فى المستقبل !

● وما رايك فى الاتحاد العام للفنانين التشكيليين العرب وما هو دوره الـذى تتمناه ؟

ـ فكرة تكوين الاتحاد كانت ولازالت املا لكل الفنانين العرب الجادين فى مستقبل الحركة الفنية العربية ، ولكن تلك العقول المبدعة التى حاولت جمع كلمة الفنانين فى هذا الاتحاد والتخطيط المبرمج من خلاله للحركة الفنية حسب معطياتها فى الوطن العربى ، صدموا وهم يرون هذا المجهود يضيع تدريجيا ، فقد شاركت فى عضوية الأمانة العامة التاسيسية للاتحاد من عام ١٩٧٣ وحتى عام ١٩٧٧ ، وقد شهدت تلك الفترة فعلا نشاطا فعالا فى واقع الحركة الفنية التشكيلية العربية ولكن التراجع حدث فى الاعوام الاخيرة نتيجة للشح فى الدعم لميزانيـة الاتحـاد والبرمجـة فى الانشطة المتباعدة وعدم الاهتمام بمقررات المؤتمرات واللقاءات ، واصبح الحال أن يعود كل عضو امانة عامة بعــد رحلة استجمام قصيرة دون تنفيذ لهذه المقررات . ولذا نتمنى ان تدعم كل الدول العربية من خلال تجمعاتها الاتحاد العام فى ميزانيته ومشاريعه وان يتفرغ لمكتبه التنفيذى الأعضاء المناسبون .

● وما رايك فى الحركة التشكيلية فى قطر ؟ ..

ـ تلاقى الحركة الفنية التشكيلية فى قطر دعما ملموسا من الدولة ، وذلك من خلال الاهتمام المباشر والمستمر الملموس ، فتخصيص دائرة لهذا الفن وإنشاء المرسم الحر وايفاد الطلبة المبدعين للدراسة فى الخارج والدعم للجمعية القطرية للفنون التشكيلية؛ كل هذا سيعطى ثمرة طيبة وإحساسا بالمسئولية من الفنانين انفسهم فى تقديم الجديد والعطاء المستمر ، لمواكبة الحركة الفنية العربية التى سبقت ، ومن ثم الوصول بها الى خارج الوطن العربى ، ففى قطر ـ مثل عواصم الوطن العربى ـ الاتجاهات الفنيةالمختلفة متواجـــدة والمحاولات الجادة لايجاد الشخصية الفنية المختلفة تاخذ مكانها بين الاخوة الفنانين ، مما لمسته قريبا ، ومنهم من اخذ اسلوبا خاصـا به عرفته من وقت مضى من خلال المشاركات فى المعارض العربيــة والدولية المشتركة . وكل ما ينقص اخوتى الفنانين فى قطر أن تكون لهم صالة عرض خاصة بهم ، فهذا سيزيد من نشاطاتهم ، وسيخلق روح التنافس الشريف والابداع المستمر فى الحركة الفنية التشكيلية القطرية .

إنه شيء جميل ان يتعود الجمهور المحب للفن التشكيلى على الزيارة وتكرارها فى صالة المعرض ، فالجمهور متذوق ومطلع ويجب ان تكتمل رؤيته وفهمه للعمل الفنى من خلال النقاش والسؤال عما يقدمه الفنان ، كما أن اهتمام المسؤولين عن التربية الفنية واتاحة الفرصة للطلبة والطالبات الدارسين لمادة الفن أن يطلعوا عن قرب على المعارض التى تقام بين فترة واخرى فى الدوحة ، سواء كان الفنان محليا أو عربيا أو دوليا ، كل ذلكوغيره سينمى التذوق الفنى تدريجيا لدى المواطن .

قلت له : سؤال اخير .. هل اصبحت للوحة العربية شخصيتها المميزة ؟

وقال : هذا من الصعب تحديده الآن ، لان كل المدارس الأوروبية لازالت فى أعماق الفنانين العرب ، فالدارسون كل خبرتهم فى الجو الغربى بكل معطياته وتقنياته الفنية واصلا هذه المدارس وروادها من الغرب هى التى يمارس من خلالها الفنان العربى فنه . ولذا فالاتجاهات فى الحركة الفنية العربية المعاصرة قليلة جدا ، وقد تاتى بعد هضم تلك التجارب وافراز ما هو جديد ، ولوعدنا إلى اعمال الواسطى ، سنجد ان لديه مدرسة خاصة به ، وهذا يدل على ان الفنان العربى ـ عندما كان مستقلا ومعتمداً على تراثه ـ كان مبتكراً ومبدعاً فى انتاجه الفنى !

حسن الملا



بقلم : الدكتور محمد البهي

العمل الصالح

● في القران الكريم ايات عديدة تتحدث عن : « العمل الصالح » وعن طبيعته او حقيقته . وفيما يتجلى من هذه الآيات ، يقصد بالعمل الصالح ، تطبيق مبادىء الايمان بالله وبرسالة الرسل ، وهى رسالة الاسلام دين الله : منذ ابراهيم الى محمد ابن عبد الله ، عليهما الصلاة والسلام : « ان الذين امنوا ، والذين هادوا ، والنصارى والصابئين : من امن بالله واليوم الآخر ، وعمل صالحا ، فلهم اجرهم عند ربهم . ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون» (البقرة : ٦٢) .

فهذه الآية وضعت جميع الطوائف على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، امام موقف واحد ، اذا ما طلبت اى منها : الاطمئنان على حياتها ، واللحاق بالمقربين الذين لم تفت عليهم فرصة النجاة . وهذه الطوائف هى : طائفة المؤمنين بالقران ، وطائفة اليهود ، وطائفة النصارى ، وطائفة الصابئة ، وهى تلك التى كانت تعبد النجوم والكواكب : فيما بين النهرين وما وراءهما . والموقف الواحد الذى وضعت امامه هذه الطوائف لتحقيق الهدف المرجو هو : الايمان بالله واليوم الآخر ، والعمل الصالح . وهو ذلك العمل الذى يكون وفقا لهذا الايمان وقائما عليه .

● وشرط اساسى اذن فى مفهوم العمل الصالح ـ كما جاء فى القران الكريم هنا ـ ان يكون مؤسسا على الايمان بالله وحده ، وباليوم الآخر ، فاذا كان هناك من يؤدى عمل المؤمنين فى استقامة ، دون ان يكون مؤمنا بالله وباليوم الآخر ، فلا يكون عمله عندئذ عملا صالحا . ولانطواء العمل الصالح على ضرورة الايمان بالله واليوم الآخر ، قد يكتفى القران فى بعض اياته عن ذكر لفظ : الايمان واليوم الآخر ، بذكر العمل الصالح وحده . كما جاء فى قول الله تعالى : « قل : انما انا بشر مثلكم ، يوحى الى : انما آلهكم آله واحد ، فمن كان يرجو لقاء ربه : فليعمل عملا صالحا ، ولا يشرك بعبادة ربه احدا » (الكهف : ١١٠) .. فذكرت الآية صراحة : العمل الصالح ، كامر يتطلب حتما : الايمان بالله ، وباليوم الآخر مسبقا ، ولم تذكر : الايمان صراحة ومباشرة ، وان كان يمكن ان يؤخذ الايمان بالله من قوله « ولا يشرك بعبادة ربه احدا » .. كما يمكن ان يؤخذ الايمان باليوم الآخر ، من قوله : (فمن كان يرجو لقاء ربه) . ولكن بطريق غير مباشر . والاكتفاء بذكر العمل الصالح عن الايمان : اعتمادا على : ان العمل الصالح يتطلب ضرورة تاسيسه على الايمان المزدوج : بالله وحده وباليوم الآخر .

واذا حكى القران نداء الله الى الرسل ، بقوله : « يا ايها الرسل : كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ، انى بما تعملون عليم» (المؤمنون : ٥١) فلم يذكر فى هذا النداء : طلب الايمان ، مع العمل الصالح : فلذلك ليس لأن من مهمة الرسل : الايمان بالله واليوم الآخر اولا ، وبالضرورة . ولكن مع ذلك ـ بالضرورة أيضا لأن العمل الصالح لا يكون صالحا ومقبولا عند الله إلا اذا ارتبط بالايمان ، وصار فى حركته طبقا لمبادىء هذا الايمان .

وقوله تعالى : « من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها » (فصلت : ٤٦) .. لا يقصد هنا بالعمل الصالح : العمل المستقيم فى ذاته . كما لا يقصد بالعمل السيىء : العمل السيىء فى ذاته . وانما الايمان ضرورة فى كيان العمل الصالح ، وان كان له طابع الاستقامة . وعدم الايمان ضرورة كذلك فى مسمى العمل السيىء .

● ان ضرورة الايمان بالله واليوم الآخر فى مفهوم العمل الصالح ، لأن من لم يؤمن بالله وباليوم الآخر ، مع العمل الصالح .. يستحيل ان يكون ما ياتى به من عمل ، على طول الزمن : لمصلحة الآخرين ، كما هو لمصلحته . اذ طبيعة عدم الايمان بالله كمركز للقيم العليا ـ وهى قيم يتقرب اليها المؤمنون وتحقق المصالح العامة للناس جميعا ـ قد تدفع الى الايمان بالذات ، وبالسعى فى سبيلها : اما وحدها ، أو مع قسط ضئيل جدا فى سبيل الآخرين معها لفترة ما . وهنا يتجه عمل المؤمن بذاته وبانانيته .. الى أن يكون عملا ذاتيا او انانيا . ومثل هذا العمل لا يكون صالحا . بل يكون عملا سيئا .

.. يستحيل على غير المؤمن بالله ان يكون غير مادى . ومن يكون ماديا يقوم عمله على المقابلة والمبادلة المادية وحدها ، وينكر كل علاقة بينه وبين الآخرين لا تقوم على هذه المبادلة ، حتى علاقته بالأسرة ، وبالوالدين فيها . ومن ينكر الروابط الانسانية فى العلاقات ، وينشد الجانب المادى وحده فيها ، ينكر : كل معنى انسانى وكل قيمة من القيم العليا . وادعاء : ان مثل هذا المنكر للروابط الانسانية : انه يسلك فى عمله ، طريق المصلحة العامة له وللآخرين معه ، انما هو كادعاء اجتماع النقيضين ، كالماء والنار فى مكان واحد وفى وقت واحد .

الايمان بالله هو تحول فى واقع الامر من الانانية الى الجماعية الانسانية .. وبقدر عمق الايمان بالله واليوم الآخر فى نفس المؤمن ، بقدر تمشي عمله مع الخط المستقيم لصالح الجماعة والامة .

والعمل الصالح اذن ، هو : تعبير مجسد عن هذا الايمان العميق فى نفس المؤمن . ولذا : اصحاب العمل الصالح : لا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون . ليس فى اخرتهم فحسب ، وانما مع ذلك فى دنياهم . اذ هم يعيشون لغيرهم قبل ان يعيشوا لذواتهم ..

من أجل البقاء والشفاء

مظلة واقية من الأمراض

د. عزالدين فراج

ماذا يفعل جسم الانسان إذا هاجمته « ميكروبات » الامراض ؟

عندما تهاجم الميكروبات جسم الانسان ، وتندفع الى داخله ، يصنع هذا الجسم « مواد مضادة » لهذه الجراثيم وسمومها ، اى ان هذه المواد المضادة تقاوم تاثير هذه الميكروبات .

لهذا يحدث صراع وعراك شديد بين ميكروبات الأمراض وتلك المواد المضادة التى كونها الجسم فى الدم .

فاذا ضعف الجسم ، وكان غير قادر على تكوين كمية كافية من هذه « المواد المضادة » تغلبت ميكروبات المرض ، ومرض الانسان .

وإذا استطاع الجسم ان يكون كمية كافية من هذه « المواد المضادة » تغلب على ميكروبات المرض وسلم من الاصابة . وهذه هى الطريقة الطبيعية التى يقاوم بها جسم الانسان ميكروبات الأمراض وهذه المقاومة الطبيعية تسمى الحصانة او المناعة الطبيعية .

وعلى ذلك يمكن تعريف الحصانة او المناعة بانها مقاومة الجسم لميكروبات الأمراض اذا هاجمته ، ومنعها من احداث المرض . ويمكن تعريفها بعبارة اخرى بانها قوة دفاع الجسم اذا غزته بعض الميكروبات .

وقد يكسب بعض الناس مناعة او حصانة طبيعية عقب اصابته ببعض الامراض المعدية وشفائه منها ، وتظل مثل هذه الحصانة التى تتولد بعد الاصابة بالأمراض بضع سنوات ، كما يحدث بعد الاصابة بالجدرى والحصبة والتيفود والنكاف والكوليرا والسعال الديكى .

واستخدم الانسان نفس الفكرة فى عمل حصانة او مناعة صناعية بحقن الجسم بكميات صغيرة من ميكروبات المرض ، بعد اضعافها وابطال قدرتها على احداث المرض من غير ان تموت وهذا ما نسميه باللقاح .

وعندما يطعم جسم الانسان او يحقن بهذا اللقاح ، يبدأ الجسم فى تكوين « المواد المضادة » لميكروبات المرض بقدر كبير كاف لأن تدخل فى عراك وصراع مع « ميكروبات » نفس المرض اذا هاجمت جسم الانسان بعد ذلك ، وبذلك تستطيع التغلب عليها فيسلم الجسم من المرض ، كما هى الحال فى لقاح الكوليرا ولقاح السعال الديكى .

ويمكن احداث مناعة صناعية اخرى بحقن بعض الحيوانات كالخيول بجرعات من الميكروبات المسببة لبعض الامراض كالدفتيريا او التيتانوس او بسمومها ، فيستجيب دم الحيوان بتكوين مواد مضادة لها تعمل على مقاومة تاثيرها . ثم يؤخذ دم الحيوان لفصل مابه من كريات حمراء وبيضاء عن السائل الدموى الذى يحتوى على مضادات السموم ، ثم يحقن جسم الانسان بجرعات من ذلك السائل الدموى او المصل ليعطى مناعة سريعة ضد المرض ولكن لفترة قصيرة . وتستعمل ضد مرض الدفتريا والتيتانوس .

واصبحنا الآن نستطيع ان نحدث مناعة صناعية باللقاحات والامصال .

ويمكنك ان تنظر إلى الجدول المنشور لترى اوجه الموازنة بين اللقاح الواقى والمصل ..

قصة مثيرة لهذا اللقاح

كان مرض الجدرى منذ اوائل القرن الماضي يعد من اخطر الأمراض التى تفتك بالبشرية ، فان نجا المريض من الموت فلن ينجو من التشويه الذى يدوم مدى الحياة . ولم تكن ضحايا هذا المرض قليلة ، بل كانت تعد بعشرات الالوف كل عام .

وفى يوم من الايام دخلت فتاة (ريفية) حانوتا ، وكان مرض الجدرى منتشرا وقتئذ انتشارا كبيرا ، فبعد ان اشترت هذه القروية ما ارادت من هذا الحانوت التفت اليها القائم على امره وقال :

كيف حالة المرض عندكم ؟!

فاجابته هذه القروية :

المرض منتشر بحال فاقت كل حال ، ولكن حلابات اللبن لا خوف عليهن من هذا المرض .

دار الحديث بين هذه الفتاة القروية وهذا الرجل ، دون ان يثير ذلك اهتمام الحاضرين ، غير شاب فى مقتبل العمر هو « ادوارد جنر » كان وقتئذ طالبا يتعلم الطب ولم ينته من تعليمه بعد .

فتح هذا الحوار امامه افاقا للتامل والتفكير وراح يردد عبارة هذه الفتاة الريفية مرة بعد مرة قائلا :

الحلابات لا يتعرضن لمرض الجدرى العادى لانهن يتعرضن لجدرى الابقار .

وعاد يتمتم ويقول :

ولم لا يكون هناك ارتباط بينهما ؟!

وصاح ثانية: التجربة خير برهان .

لكن من يقبل ان يجرب فيه ما يريد ؟ لا احد بالطبع . عندئذ لم يجد « ادوارد جنر » مفرا من ان يجرب فى ابنه الأكبر الوحيد بالرغم مما عرف عنه من قوة العاطفة ورقة القلب وحنان الابوة .

وقف بجوار ابنه مشتت الفكر حائرا بين عاطفة ، تابى عليه ان يضحى بولده ، وبين واجب يملى عليه ان يضحى بكل شىء من اجل البشرية والبشر اجمعين .

مرت دقائق تخيل فيها « ادوارد جنر » عشرات الالوف تموت وتتشوه كل عام ، فجمع امره وآثر ان يضحى بابوته وعاطفته رغبة منه فى انقاذ هذه الالوف .

واخيرا حمل ولده بين يديه ثم وضعه فوق ركبتيه ، واحدث بذراعه خدشا وضع عليه بعض القيح الذى اتى به من ضرع الابقار المريضة بالجدرى فظهر على ولده اعراض جدرى الابقار وشفى منه بعد قليل ولكن الأب لم يحجم عن تجربة اخطر من ذلك واجل شانا ، فنقل إلى ولده بعد ذلك مادة الجدرى البشرى من طفل مريض ليتحقق من فعل المادة التى كشفها فى الوقاية من خطر هذا الداء . وكان من حظ



ادوارد جنر يطعم ولده لاول مرة بلقاح الجدرى ، ولم يكن يدرى النتيجة وقتئذ .

ولده ومن حظ البشرية ان نجحت هذه التجربة .

ورحل « ادوارد جنر » إلى المنـــاطق الجبلية التى كان يكثر فيها المرض وقتئذ ، وطعم هناك ثلاثة وعشرين طفلا بطريقته الجديدة ، فلم يصابوا بالمرض ، فعاد الى بلده مطمئن الخاطر قرير العين .

درست الجمعية الطبية البريطانية هذا الموضوع ، فوجدت فيه أيات بينات ونتائج باهرات ، فمنحته المدالية الذهبية اعترافا بفضله .

واذا انتقلنا من تشجيع الهيئات العلمية الى الهيئات الحربية والبحرية وجدنا ان نابليون بونابرت قد امن بفكرته وامر بتطعيم جميع جنوده ضد مرض الجدرى .

وفعل ذلك فى الوقت عينه القائد الاعلى للجيش البريطانى .

هكذا وجه ادوارد جنر البحث العلمى ، الى طريق جديد منتج ، فكان موضع محاكاة الباحثين والمنقبين من بعده ، وكان ذلك فاتحة عهد علمى جديد عرفت فيه امصال ولقاحات اخرى واقية من الكوليرا والطاعون والتيفود .

هذا الميكروب العنيد

ورأى « باستير » ان مرض الكلب مصدر ذعر للناس . حقيقة ان ضحاياه لم تكن كثيرة كما هى الحالة فى التيفوئيد او الملاريا او غيرها من الامراض المعدية ، ولكنه كان اكثر خطورة منها لان المصاب يمضى بضعة اسابيع ثم يغادر العالم بعد آلام مبرحة .

واخذ باستير يفكر فى ترويض هـــذا الميكروب العنيد القوى . وبعد بحوث طويلة اهتدوا الى طريقة تضعف الميكروب الضارى ، اذ كانوا ينزعون جزءا من نخاع السلسلة الفقرية لارنب قتله مرض الكلب ثم يعلقونها لمدة اسبوعين فى قـــارورة لا ينفذ اى ميكروب الى داخلها . ومن هذا النخاع الجاف يحقنون الحيوانات السليمة فلا تموت .

فتساءل باستير :

هل اكتسبت هذه الكلاب مناعة ضد هذا المرض ؟!

ولكى يجيب ، باستير ، على هذا السؤال اجابة كاملة ، عزم على حقن جميع الحيوانات التى سبق ان لقحت بميكروباته الضعيفة بميكروبات المرض الحية النشطة القوية .

وبعد مدة وجد باستير نفسه امام نتيجة رائعة واضحة .. وجد ان الكلاب التى سبق ان لقحت بميكروبات ضعيفة لم يصبها سوء على عكس المجموعة الاخرى .

ونادى باستير مساعديه ليجربا الفكرة على الكلاب السليمة مع اخرى مسعورة تنهش اجسادها ثم حقنها بمواد اللقاح لمدة اسبوعين فكان النصر تاما . لان واحدا منها لم يصب بالمرض .

وطالب باستير الخبراء ان يفحصوا تجاربه ونتائجه فتالفت لجنة من خيرة العلماء وقررت ان لقاح باستير يحصن الكلاب ضد مرض الكلب فلا يصيبهـــا البته .

واشتدت بباستير الام الناس فكتب الى اصدقائه ينبئهم عن نيته وهى تجربة اللقاح على نفسه .

وفى يوم من الايام قدمت من الالزاس مدام « مايستر » حزينة يائسة باكية تقود طفلها جوزيف البالغ من العمر تسع سنوات والذى عضه كلب مسعور فى عدة مواضع من جسده الصغير الضعيف ، وراحت هذه الام الحزينة تبكى وتتوسل إليه وتقول :

انقذ لى ولدى .. جرب فيـــــه لقاحك يا باستير . وخضع باستير لتوسلات هذه الأم المسكينة وراح يجرب فى ولدها لقاحه الجديد .

وتلقى هذا الطفل جميع الحقن اللازمة من غير ان تظهر عليه علامة من علامات الخطر .. واخيرا عاد الى بلده يلهج بالشكر والتقدير والثناء بعد الشفاء

عز الدين فراج

وجه المقارنة	اللقاح الواقى	المصـــل
١ ـ تعريفه	سائل يحوى ميكروب المرض اما ميتا او حيا ضعيفا	سائل يحوى الاجسام المضـــادة جاهزة
٢ ـ اثره	يشجع الجسم البشرى على تكوين اجسام مضادة	الاجسام المضادة الجاهزة تكسب الجسم مناعة فى الحال .
٣ ـ مدة المناعة	يعطى مناعة طويلة لعدة شهور او سنين	يعطى مناعة لفترة قصيرة تصل الى بضعة اسابيع فقط
٤ ـ اهميته	يعطى للوقاية من الامراض فقط	يعطى للوقاية والعلاج السريـع لاحتوائه على مضادات السموم .
٥ ـ ظروف استخدامه	يستخدم قبل موسم انتشار الاوبئة بوقت كاف حتى يتاح للجسم تكوين الاجسام اللازمة بالمضادات لوقايته من المرض	يستخدم اثناء انتشار الاوبئـــة لاحتوائه على مضادات السموم جاهزة



رحلة صعبة .. رحلة جبلية

قصة حياة فدوى طوقان .. ترويها بقلمها

مذكرات صريحة لشاعرة عربية كبيرة

الحلقة السابعة



على الرغم من كون الثورة الفلسطينية التى امتدت ثلاث سنوات (١٩٣٦ - ١٩٣٩) كانت تستهدف قوات الانتداب البريطانى وتركز على مناهضة الانكليز ومقاومتهم . على الرغم من ذلك فان شراسة القوى الصهيونية لم تتوقف عن تسديد هجماتها على عرب فلسطين فى انحاء البلاد المختلفة . بلغت هذه الشراسة ذروتها فى تموز عام ١٩٣٨ حيث تصاعدت حوادث تفجير القنابل فى الأسواق العربية فى القدس ويافا وحيفا ، مما نتج عنه مقتل العشرات من المواطنين العرب .

فى ايار ١٩٣٩ صدر الكتاب الابيض مشتملا على تفسير معنى الوطن القومى اليهودى فجاء فيه : « ان بريطانيا لا تفهم من عبارة انشاء وطن قومى يهودى التى جاءت في وعد بلفور ونظام الانتداب تحويل فلسطين الى دولة يهودية » (١) .

ومن هنا بدات اعمال الارهاب الصهيونى تنصب على الانكليز والعرب معا .

كانت مصلحة الاذاعة الفلسطينية قد انتقلت حديثا الى مبناها الجديد فى حي المصرارة فى القدس . المبنى ضخم بطابقين نظمت اجزاؤه من الداخل تنظيما جديدا بحيث تكون صالحة لاحدث ما تقتضيه محطات الاذاعة .

التاريخ الآن ٢ اب (اغسطس) عام ١٩٣٩ ، والوقت عصر الاربعاء ، ابراهيم طوقان والمذيعان توفيق ابو شريف ومحمد بشناق ينتقلون من غرفة المهندسين الى الاستوديو ومن الاستوديو الى غرفة المهندس للتحقق من الاصوات الغنائية والموسيقية فهناك برنامج معقد يشترك فيه واحد وعشرون طفلا عربيا مع مدربهم ، وكلهم يتمرنون على البرنامج بمساعدة المهندس اديب منصور ، ولا احد من هؤلاء يعلم انه يمشي على ارض يكمن تحتها افظع انواع المواد المتفجرة .

ابراهيم ينزل الى غرفته فى الدور الاول لانجاز ما تاخر من اعماله . محمد بشناق مع الاطفال فى الاستوديو فى الطابق الثانى التمرين لا يزال جاريا ، الساعة تدق الخامسة ، مع دقاتها تفتتح الاذاعة المسائية ، كالمعتاد ، باللغات الثلاث : الانكليزية فالعربية فالعبرية .

ابراهيم فى غرفته ومعه المذيع توفيق ابو شريف . فى الساعة الخامسة والدقيقة الرابعة عشرة يسمعان صوت انفجار قوى لم يخطر لهما انه فى الاذاعة ، ذلك انه حدث فى احدى الغرف الصغيرة التى يذاع منها ، وهذه الغرف تكون محكمة الاغلاق ، ذات جدران مانعة لتردد الصدى لكنهما سرعان ما يسمعان الضجة فى « الليوان » .

يخرجان ليواجها محمد بشناق ممتقع اللون والاطفال حوله فى ذعر شديد .. محمد يقول : حريق .. حريق بسبب احتكاك كهربائى .. لحظات .. المهندس اديب منصور ومعاونه ينزلان من الدور الثانى حاملين المذيعة الانكليزية مسز وايزنبرغ .. المهندس ومعاوناه يعودان الى الدور الثانى .. الجريحة تنقل الى غرفة المدير ..

ابراهيم يبقى معها واحد المساعدين الانكليز .. هى تسال عن رجليها وابراهيم والرجل الآخر يهونان عليها الامر وينفضان عن وجهها الغبار والعفار ..الجريحة تشرف على الاغماء .. ابراهيم يهرع الى الخارج طالبا بعض الماء فيما هو ممسك الباب بيده منعا لدخول احد .. مع تناول ابراهيم لزجاجة الماء من الخادم يهتز مبنى الاذاعة بانفجار اخر .. السقف فوق راس ابراهيم يتمزق .. على قيد خطوات منه تهبط قطعة كبيرة من السقف على عدة (بدالة) التليفون فتحطمها .. ابراهيم ينظر حوله فيرى اولئك الاطفال يكاد يحيق بهم البلاء .. يدفعهم هو ومحمد بشناق الى خارج المبنى .. احـــد افراد حـــرس المبنى البريطانيين يحاول منعهم من مغادرة الساحة السماوية الى الطريق .. ابراهيم ومحمد يتغلبان عليه .. يفتحان الباب غصبا .. الحارس لا يزال يحلق عليهما يريد منعهما .. انفجار اخر .. يتبعه انفجار اخر .. الحارس يدرك الآن خطر الموقف .. ينشغل بخلاص نفسه .. انفجار اخر يطلق معه اديب منصور صرخة شديدة .. رجلاه تنسحقان من اعلى الفخذين .. سيارات الاسعاف تقبل مسرعة .. الاحتيـاطات السريعة للوقاية من الخطر .. لا احد يعلم ان كان قد انتهى ذلك البلاء ام ان هناك بقية تاتي .. ابراهيم يخطر على قلبه طفلاه جعفر وغريب .. يجد للحياة حلاوة .. يسرع الى بيته مبهورا ذاهلا ..

ـ ماذا عن اليهود العاملين فى القسم العبرى ؟!

ـ اتضح أن المبنى كان خاليا وقت الانفجارات من كل الموظفين اليهود !!

● ●

كانت اعماقي ترتعد فيما ابراهيم يقص علينا حكاية اللحظات الرهيبة . اما امي فكانت تقطع لحم الذبيحة لتوزع فيما بعد على فقراء « حي الياسمينة » فداء لابراهيم وكان وجهها المبهوت مخضلا بالـدمع .

عام ١٩٣٩ يودع الخريف ، وموسم الشتاء يعد بعطاء سخي .. وابراهيم يطل علينا فى عطلة اسبوعية قصيرة .

ـ كيف مسيرتك الجديدة مع معلمتك الجديدة ؟

ـ توقفت المسيرة قبل أن تبدأ ..

ـ لماذا ؟

ـ كما تعرف .. اوامر !

ـ هيئي نفسك للسفر معي غداً ..

ومضيت اعد حقيبة الملابس ، مبهورة الانفاس . ما كنت احلم بهذا ابداً .



جمال عبد الناصر



ابراهيم عبد الفتاح طوقان

كانت انعطافة جديدة فى حياتي لم يسبق لها مثيل منذ بدات رحلة الشعر . كانت نقطة انطلاق بدات فيها شخصيتي تمتد الى الخارج لأول مرة . ففى جانب التحاقي بمدرسة مسائية لتعليم اللغة الانكليزية فى جمعية الشبان المسيحية بالقدس ، رحت اشارك فى تقديم بعض الاحاديث الاذاعية والتمثيليات والانشاد مع فرقة الاناشيد فى الاذاعة ، كما نظمت عدة اناشيد لحنت واذيعت ضمن بعض البرامج حدثني ذات يوم الفنان محمد كريم ، عازف البزق ، عن لحن وضعه باسم « البنفسجة الذابلة » وسالني وضع كلمات لاغنية بهذا الاسم ، ففرحت فرحا عميقا ، وقدمت اليه بعد ايام كلمات الاغنية ، فكانت من اجمل اغانيه التى كانت تذاع من دار الاذاعة الفلسطينية بصوته بالذات :

ذوى شبابي وجف عـودي
والعمر ما زال في الربيـــع



بلفور

آهـا لعمري الغض الجـديد
اودت به حرقة الولـــوع
يا منية النفس ادن منــي
تعـد نضير الصبا إليَّا
تُعِد لروحي الحيـــاة إنــي
بلمسة من يديك احيـــا
مالت براسي
الام نفسي
اذ فات عمري
ومات عطرى

الخ ...

كنت فرحة بعالمي الجديد ، سعيدة ببعدي عن نظام الأسرة الصارم وعن الوجوه التى لم اكن احبها ولم تكن تحبني كان جناح ابراهيم ينبسط على أيامي دافئا حنونا .

الى جانب هذا كله كانت هناك المكتبات العامرة ، ودور السينما ، والحفلات الغنائية العامة التى كانت تقيمها الاذاعة فيتهافت على حضورها الجمهور العربي فى القدس . وكانت هناك سهرات الادب والفن الخاصة فى بيت ابراهيم او فى بيت يحيى اللبابيدي مدير القسم الموسيقى فى الاذاعة وذلك حين تستضيف الاذاعة اديبا او موسيقارا من احد البلدان العربية .

كان المجتمع المحيط بي مجتمعا متحررا تتمتع فيه المراة الحديثة بشخصية لم تضعفها صرامة الرجل وفظاظته ، يبدو ذلك واضحا فى لباسها ، وحديثها ، وسلوكها الطبيعي فى مجتمع رفع الحجاب الحاجز بين الجنسين واتاح للمراة الشابة قسطا اكبر من التعليم .

فى هذا الجو الفسيح ، جو الانطلاق الصحي ، شعرت بفوحان الحياة لأول مرة ،

وعرفت راحة النفس ، وهدوء البال ، وطعم الحياة التى غابت عنها الوجوه العابسة والنظرات المتعدية . ومما ساعد على ايجاد التناسق والتناغم فى عالمى الجديد كون زوجة اخي ابراهيم (سامية عبد الهادى) سيدة لينة الطبع ، هادئة . لم تكن « ام جعفر » بالمراة الغيور او المتسلطة . كانت سيدة جميلة ، واثقة من نفسها ، تتفهم تعلقي بابراهيم وتتقبل محبته لي بل لنا جميعا ، نحن امه واخواته واخوتــه . ما شعرت يوما انها تضيق باهتمامه بي ورعايته الخاصة لي . وهكذا فقد توفر لي في اثناء اقامتى فى القدس جو خلا فيه التعامل معي من أساليب التسلط ومحو الذات . لقد حفظ لي ذلك الجو المعافى وجودا شخصيا ، مستقلا ، لم يكن ليتاح لي لو لم تكن « ام جعفر » تتميز بتلك الصفات الجميلة والطباع الرضية .

فى الربع الأخير من عام ١٩٤٠ ، وفى اكتوبر بالذات اقيل ابراهيم من عمله فى الاذاعة . وكانت وراء هذه الاقالة عوامل عدة . فمنذ اضطلاعه بادارة القسم العربى فيها وقف له اليهود بالمرصاد . لم يكن يسعد الجهات الصهيونية اطلاقا وجود مثل ابراهيم فى مؤسسة ذات خطر كبير فى توجيه الراى العام العربى فى فلسطين . كان ابراهيم فى نظر تلك الجهات عنصرا محرضا ، يتخذ من مركزه الكبير فى الاذاعة اداة للعمل ضد المصلحة الصهيونية . كم وكم ثارت الصحافة العبرية ضده ، وكم وجهت اليه اصبع الاتهام بسبب الاحاديث التى كان يكتبها ويذيعها ، او الاحاديث التى كان يدرجها فى البرنامج العربى لادباء فلسطين ممن كانوا يساهمون فى تقــديم مختلف الموضــوعات الادبية والاجتماعية والدينية .

كان هناك دائما تفسير او تخريج سياسي لما يذاع من احاديث ، فكانت تلك الجهات اليهودية تشكل من القصة البسيطة شعوبا ودولا ، وحكومات وانتدابات . كما كانت ترى فى الأحاديث الاخلاقية تحريضا تحت قناع ديني . اما الدعاية فكانت فى رايها مبثوثة فى الموضوعات التاريخية . واما الأحاديث النبوية والامثال المشهورة ففيها الخطر كل الخطر ، حيث يطلب خلالها من الامهات ان ينشئن اطفالهن بعضلات قوية ، ومنشا الخطر على زعمها هو ان تلك التنشئة القوية انما يقصد من ورائها المقدرة على المقاومة فى المستقبل ! وهكذا كانت توضع فى الميزان معظم احاديث القسم العربى ، فيناقش ابراهيم فيها ويحاسب عليها (٢) . كان هذا يجرى

> ● .. وابتعدت عن الوجــوه التي لم تكن تحبــني ولم أكن أحبـــهـا

> ● في القــدس عرفــت راحة النفس وهدوء البـال وطعـــم الحيـــاة

مزامنا لمراسلات يتحدث فيها (وايزمن) الى وزير المستعمرات البريطاني عن وجود ٤٠ الف يهودى فى (الهجانا) كان قد تم تدريبهم (٣) .

اما الموضوعات التاريخية التى كان يقدمها ابراهيم فكانت فى راى الصحافة العبرية تهدف الى الدعاية ضد السامية . قالت صحفهم بهذا الصدد : « بلغت (حرية الكلام) فى فلسطين الى ان مصلحة الاذاعة الفلسطينية اذاعت امس حديثا ضد السامية ، وقد كان المحاضر ساميا ، وقد اذيع البغض لاسرائيل بلسان سامى أيضا . اما هذا السامى فليس رجلا عاديا ، فهو موظف من الدرجة الاولى واسمه ابراهيم طوقان ، المساعد لمدير البرامج فى مصلحة الاذاعــة « الفلسطينية » . ثم تطرقت الصحيفة الى موضوع الحديث وكان حول قصة السموال مع امرىء القيس من جهة وقصيدة الاعشى فى مدح شريح ابن السموال من جهة اخرى .

وفى اليوم الثانى تطرقت صحيفة اخرى الى الموضوع نفسه فقالت « ان التمويه المتعمد فى القصة العربية ، لأن شاعرا يهوديا مدح فيها ، هذا التمويه المتعمد ذو اهمية ، وهو مخيف حقا فى وضـــــعه (وبيانه) الحديث وهو اشد خطرا من قتل بضعة اشخاص بقنبلة خطيرة . ان هذا ليس قلبا للحقيقة التاريخية فحسب ، وانما هو دعاية لهذه القنبلة . ولم تكن الحادثة هذه فريدة فى بابها ، فابراهيم طوقان مدير القسم العربى فى مصلحة الاذاعة الفلسطينية قد سبق له اكثر من مرة ـ دون ان يخطر فى بال احد تتبع عمله بنظام فى مصلحة الاذاعة ـ ان قبض عليه متلبسا بحوادث دعاية ضد اليهود ، ويسبغ عليها ثوبا شفافا من القصص الشائعة ، ولنا ان نقول ان المراقبة الدقيقة تكشف خيانات اكثر قد ارتكبت فى هذه الاداة القديرة على نشر التعليم ، هذه الاداة تحمل حكومة فلسطين كامل مسؤوليتها . وبدلا من ان يكون راديو الحكومة لمثل السلام الأعلى ولاحاديث التهدية ، فقد وضح الآن انه ينشر البغضاء والتهييج بكلام عربى . فهل يدعى المدير العربى لمناقشته الحساب ، ام يظل سائرا فى أعماله بامان ؟ » .

حين دُعي ابراهيم من قبل الجهات الحكومية المسؤولة لمناقشة الحساب رد على ذلك بقوله : « ان السموال واحد من شخصيات عديدة فى الأدب العربى ، كانت ولا تزال ، موضع اخذ ورد فى الاوساط الأدبية ، لا بل ان هذا الدور من تاريخ الادب له من ينكره انكارا باتا ، ويعده من الاساطير التى لا تستند الى اساس ، والسبب فى ذلك كون تاريخ الادب فى ادواره الاولى ، والتى نحن بصددها ، ماخوذا من السنة الرواة ، يتناقلونه بزيادة ونقصان ، فيكون تحت تاثير عوامل شتى ، منها القوة على الحفظ وتفاوت درجاتها ، ومنها عصبية القبائل ، ومنها رواج سوق الرواية ، والتكسب بها عند الخلفاء والامراء ، مما يتطلب دوام المادة وتجديدها فشجع كثيرا من الرواة على الانتحال والاختراع فى القصص والشعر والاخبار . وعندما جاء دور التدوين تجمع فى كتبنا ركام من هذا التراث ، نجد فى تضاربه واختلاف مصادره باعثا ملحا على الاستقصاء العلمي ، وداعيا الى النشاط فى الكشف عن صحيحه وزائفه ، والتحقيق فى نصوصه والتعليق عليها .

وعلاقة السموال بتاريخ الأدب العربى وباعظم شاعر فى الجاهلية ، تخول كل متخصص بادبنا وتاريخه ان يتحدث عنه كما يتحدث عن اى شاعر او اديب بقطع النظر عن قوميته ودينه ، فلختيارى السموال ادبى وتاريخى ، وبحثى فيه علمى سبق لي مثله فى عدة ابحاث ابتدات بها فى عهد دراستى فى جامعة بيروت الامريكية . وكانت خطتي ان اتناول حياة الشاعر وما يتعلق بها من روايات مختلفة وانظر فى آثاره ، فاخرج له سيرة منظمة ، مبنية على نقد علمي خالص ، متبعا أساليب البحث الحديثة ، واذكر من هؤلاء الشعراء العباس بن الاحنف ، وديك الجن الحمصي ، ومحمد بن مناذر ، وسبط بن التعاويذى ، والسرى الرفاء ، وقد اذعت طرفا من حياتهم ونماذج من شعرهم .

والسموال من هؤلاء والبحث فى حياته لا يخرج فى طريقته عن الأبحاث فى الشعراء المذكورين .

لقد عنى بالسموال نقاد ثقاة . اذكر منهم الأب لويس شيخو اليسوعى ، وروحى بك الخالدى المتوفى سنة ١٩١٤ . وكان البحث فى مجلات محترمة كالمشرق والمنادى ، وكتب معروفة منها « شعراء النصرانية » .

ودار البحث حول يهودية السموال فاثبتها الخالدى وانكرها الأب شيخو . كما ان التحقيق اضعف شان الرواية المنقولة عن علاقة امرىء القيس بالسموال ووقف مترددا فى قبولها .

ان الصحف العبرية لم تكن منصفة باخذها (نتيجة البحث) دون البراهين التى ادت الى هذه النتيجة . ولو انها تجردت عن الغرض لرات اننى تناولت امرا القيس اعظم شعرائنا واخلصهم للعروبة ، بنقد صارم وقسوة لا رافة فيها . فبينت مواضع الضعف فى اخلاقه ، وذهبت الى انه تامر على امته فى قصده ملك الروم ، وقد اتهمته بالخيانة العظمى للجوئه اليه لينصره على بني قومه من العرب . اما الثقة الذى رجعت اليه فى التعليق على السموال فهو ابو الفرج الاصبهانى ، صاحب كتاب الاغانى ، وقد ورد ذكره فى الحديث المذاع » .

ثم كانت الحرب العالمية الثانية ، وكانت الرقابة . وقام بعض المشرفين عليها من منافسيه العرب بالتحريض عليه لدى السلطات البريطانية ، وقام الدس ، وكان دسا لئيما فاتهم بتسريب الدعاية فى برامجه ضد الحلفاء .

واقيل من مصلحة الاذاعة الفلسطينية لياخذ منافسه مكانه .

غادر ابراهيم الوطن مع عائلته ليعمل فى حقل التعليم فى العراق . وعدت الى نابلس حزينة لما الت الحال اليه ، شديدة القلق على ابراهيم ، هل ستحتمل صحته العليلة مناخ العراق القاسي ؟

بضعة شهور ، ومرض ، عاد الى نابلس ومات !

● ●

منــــذ الطفولة والخوف يرافق مسيرة حياتى . يد عمياء ، لا هبة ، تضرب يمينا وشمالا ، ولا احد يعينني . قد ينهار السقف فجاة ، قد يغرق هذا الجبل فى السهل بهزة مفاجئة ، قد تهوى على الراس مطرقة يحملها صوت ناع ينعى حبيبا من الاحباب .

● ●

ظل حبي لابراهيم مصدر كابة باطنية رافقت تعلقي به طيلة حياته القصيرة . كان شعورى بالسعادة لوجود هذا الاخ الحنون فى حياتى يهزنى احيانا بما يشبه الحزن ، وذلك من فرط خوفى عليه من موت مبكر . كان زلزال نابلس الفظيع عام ١٩٢٧ هو الذى زرع فى قلبي الطفل المتعلق بابراهيم الخوف عليه باستمرار من الموت . ففى ذلك اليوم الذى لا ينسى انهار سقف الغرفة التى كان يقيل فيها لحظة الزلزال . لكن الصدفة شاءت ان يكون سريره بعيدا عن الجزء المنهار ، فنجا من الموت ليمتد به العمر اربعة عشر عاما اخرى .

لا ازال احتفظ اليوم باشياء صغيرة كان يملكها ابراهيم او اخي نمر الذى اتجهت اليه مشاعر التعلق والحب بعد وفاة ابراهيم : جزدان جلدى صغير ، مفكرة جيب ، رباط عنق ، مشط صغير ، دفتر يشتمل على عناوين وارقام تلفونات ومواعيد لقاءات .

لا ازال احتفظ بهذه الاشياء وسواها ، المسها بحزن وحب ، وكانني احاول ابعاد الفناء والبلى عن الاحبة باحتفاظى باشيائهم الصغيرة والابقاء عليها حية فى خزانتي .

(للاحياء ارض ، وللامـــوات ارض ، ولا يصل بينهما الا الحب) ثورنتون وايلدر .

● دسائس المنافسيــن "العرب" تقصي "إبراهيــم طوقـــان" عن إذاعـــة القــــدس

● كنـــت جائعـــة إلى شيء غيــر موجـود .. ضائعـــة وحيـــدة !

فى ضجة السقوط مات والدى عام ١٩٤٨ !

الاف من اللاجئين يفيئون فى نزوحهم الى نابلس ، فتكتظ بهم الدور والمساجد والمدارس والكهوف فى جبلى عيبال وجرزيم .

مضت شهور طويلة على وقوع الفضيحة الاولى على الارض العربية قبل ان اعود الى كتابة الشعر ، ولكن وراء الصمت كانت هناك عملية ارهاص واختزان كامنة فى الاعماق ، الاعماق التى لم تعد الآن تكابد الفراغ والخواء .

وانفكت فى الاخير عقدة لسانى . رحت اكتب الشعر الوطني الذى طالما تمنى ابي لو يراني اتفرغ له فاملا مكان ابراهيم . لقد كتبت ذلك الشعر بصورة تلقائية وبدون اى الزام من الخارج .

بعد وفاة والدى لم يعد انفعـــالى بالسياسة معدوما ، ولكنه لم يكن حادا ، فلقد ظل يجتاحني على فترات متقطعة ويفتقر الى صفة الاستمرارية . يشتعل فى المناسبات المشتعلة ويخمد بخمودها .. يفور مع الفوران العام ويهمد بهموده ، فمع تجمد الاوضاع وتجمد القضية الفلسطينية بدا يتسرب الخدر الى الحس السياسى لدى

وخرجت الى الحياة اعب منها والمسها ، امسك باللحظات الهاربة فلا ادعها تفوتنى قبل ان استهلكها ثانية فثانية ودقيقة فدقيقة .

● ●

كان جوعي للحياة قاسيا . ان من هدرت سنوات طويلة من عمره فى صحراء الربع الخالي لا يعقل ان يهرب من الواحة الخضراء حين تفتح له ابوابها .

وخرجت بنت الحياة الى امها الحياة ، وكانت صادقة معها كل الصدق ، فطالعتها بوجه طبيعى اصيل هو الوجه الذى يصر المجتمع بقوانينه وتقاليده الصارمة على تزييفه ، واضفاء قناع كاذب عليه . ولم تكن بنت الحياة انانية ، اخذت واعطت ، وكان العطاء قانونها فى الحياة تعمل به ، فقد كان جزءا لا ينفصل عن طبيعتها . كانت من قبل ، حين تسرق مشوارها الى حقول القمح تكتئب وتحزن ، اذ ترى عطاء القمح دون ان تقدر هى على العطاء . ان القلب الممتلىء بالحب يختنق اذا لم يجد من يحب .

وحان الوقت لتتكلم بنت الحياة ، وحين تتكلم امراة صادقة فالحياة هى التى تتكلم .

لقد ظل مجتمعنا العربي الشرقي يظلم عاطفة الحب مثلما ظلم المرأة باستمرار . وبقيت هذه العاطفة الانسانية الجميلة التى لمست بكفها السحرية حتى قلوب الانبياء ، هذه العاطفة الانسانية الجميلة ظلت فى مجتمعنا العربى المصاب بانفصام الشخصية معنى محملا بالفضيحة والعار .

بالنسبة لي ظل الحب يحمل مفهوما اوسع نطاقا من كونه تاكيدا لانوثة المراة ، ظل بالنسبة لي تاكيدا لانسانيتي المسحوقة وانقاذا لها . ولقد بقيت طوال عمرى مشدودة الى الحب ، مدفوعة بعاطفة شعرية يصعب توضيحها فكما تستجيب الطيور بصورة غير ارادية لاتجاهات المجال المغنطيسي فى تحديد اتجاه طيرانها ، كذلك ظلت استجابتي للحب ، وبقي هو الشعلة الأكثر اجتذابا فى مجالات الحياة المختلفة .

ولست ابعد عن الحقيقة اذا قلت ان الحب كان عندى فكرة مجردة وعالما مطلقا هو الذى احببته . وظل (الآخر) بالنسبة لي تجسيدا لتلك الفكرة التى لم استطع ان اهجر افاقها ابدا ، حتى اصبحت حاسة من حواسي وغريزة من غرائزى، تحمل الحرارة والنبض باستمرار ، فاغطس معها فى حمام عاطفى ساخن يغسل اعماقى من الشوائب المرة . ولم يكن لتلك الفكرة المجردة شواطىء ولا مرافىء ارسو عندها . كانت بحرا واسعا تعلو امواجه احيانا حتى تستحيل الى دوامة تدور بي وتلفني حتى تفقدني احيانا احساسي بالعالم الخارجي من حولي .

قبل الخروج من « القمقم » كانت مراهقتى العاطفية حادة مشتعلة . نفس مكبوتة تتفتح لاول كلمة حب تاتيها على صفحة رسالة ، حب بالمراسلة .. كنت اقع فى هذا اللون من الحب الخيالى واغوص فيه وبيني وبين التجربة الواقعية جدران « القمقم » الاثرية ، فكانت المراسلة والخيال هما ميدانى الضيق والواسع فى ان . كنت جائعة الى شيء غير موجود ، ضائعة ، وحيدة ، لا املك شيئا سوى هذا الخيال المشتعل .

وكان الخروج ، حيث وجدت نفسي فى الاخر واهتديت اليها ببوصلة الواقع . ومنذ ذلك الحين ظل قلبي حديقة للحب لا تذبل اشجارها ابدا .

فى لحظات الحب يحس الانسان بانسانيته تتكشف . يخرج من القطب الجليدى المعزول ويرحل الى الوهج والاشراق . ويصبح الاخر كائنا هو الجسر الى كون التمت اجزاؤه المبعثرة واصبح كلا واحدا بلا انهيارات . كون هو الطريق الى العافية النفسية والروحية بكل ما فيه من حلاوات ومرارات وتناقضات ومفارقات كون جميل وقاس وحنون كالحياة نفسها . وهو بعد ذلك كله مفروض كالحياة والموت خاصة على ذوى الطبائع الشعرية ، ولا مفر لهم منه .

● القلب الممتلئ بالحب يختنق إذا لم يجد من يحب

● لا أحلى من الحب حين يلمس حتى توافه الأشياء

لا احلى منه حين يلمس حتى توافه الاشياء ، فيحيلها الى اشياء جميلة وذات قيمة : فاتورة حساب فى مطعم .. بطاقة دخول الى مسرح .. زهرة جافة .. قلم حبر ناشف او سائل ، كل هذه وامثالها من توافه الاشياء تصبح ثمينة نادرة حين يلمسها الحب .

كان الخيال المشتعل يصنع هالة سحرية تطوق الانسان المحبوب ، فيضفي عليه ما ليس فيه . كنت ارى النواقص ولكن لم تكن النواقص فى رأيي لتتعارض مع الحب ظل المثاليون فى نظرى يشكلون طبقة فاشلة من المحبين ، فمثاليتهم تجعلهم يعرضون الامر بشكل يسلخ عن الحب عنف اثارته . لقد امنت دائما ان الحب ثروة لا ندرك قيمتها الا بعد ان نكون قد انفقناها او خسرناها فى مضاربة .

وحين كان الزمن ـ وهو تلك القوة التدميرية الجبارة ـ يفعل فعله فى الاشياء والعلاقات ، لم اكن اطيل الوقوف عند الاطلال .. ولم اكن امينة على الماضى بعد ذهابه ، ولم اسمح لنفسي بان تتيح للماضي سرقة المستقبل فالماضى لص يسرق ولا يعطي .

لا غرابة فى ان يحب القلب الواحد اكثر من مرة ، فمن الشذوذ ان يتجمد قلب الانسان عند شخص معين طول الحياة . انها ظاهرة طبيعية ان تنشا فى القلب وتتكرر اكثر من علاقة ، وفى كل مرة تكون للعاطفة نفس القوة السابقة والصدق والفوحان ولا مكان هنا للاهواء العرضية والطيش والعربدة .

فى احيان كثيرة اجد ان الماضى لم يذهب فقط بمعناه المادي ، بل بمعناه النفسي ايضا ، فما كان فى الماضي يحمل قيمة معينة ، تكون نظرتى إليه فى الحاضر قد اختلفت تماما ففقد بالتالى معناه النفسي ، واحس اني ـ انا نفسي ـ شخصية اخرى لا تمت الى تلك القديمة بصلة ولا تكاد تتعرف عليها الا فى ساحة ذكرى .

عالم طفولتى فقط هو العالم الوحيد الذى لا يفقد معناه النفسى فى داخلى ، انه العالم الوحيد الذى اعود اليه بقلب حار قديم ، وما عدا ذلك فكل شيء فى نظرى ينال منه قانون التطور .

صادف خروجي من « القمقم الحريمى » مرحلة درامية كانت تمر بها الامة العربية فى عراكها مع الاستعمار الغربى الجديد . فمع سقوط فلسطين عام ١٩٤٨ تزعزع بنيان المجتمع العربى التقليدى سياسيا واجتماعيا وثقافيا ، ومع سقوط انظمة الحكم فى مصر وسوريا تنامت الحركات الشعبية فى مصر والعراق ، وبدا الفكر التقدمى يوغل فى ضمير الشعوب العربية موجها كفاح الانسان العربى ضد السيطرة الاستعمارية من جهة ، وضد مفاهيم المجتمع التقليدى من جهة اخرى .

مع هبوب رياح التغيير والثورات خرج الشعر من بروج الترف ليواكب مسيرة الجماهير العربية فاعلا ومتفاعلا مع تطلعاتها الى التحرر من القهر والاستغلال واصبحت قضية الشاعر جماعية وبعيدة عن الفردية .

وكان هناك السطوع الباهر لوجه جمال عبد الناصر ، ذلك القائد العربى الذى ملأ الدنيا وشغل الناس . فقد طلع هذا الانسان المخلص على امة ظلت تنتظر قدومه عدة اجيال ، ففجر فيها ، وهو يشرف بها على الامانى الجديدة فجر فيها ينابيع القوة ، فبدا عصب الحياة ينبض فيها من جديد رغما عن كل قوى الشر المحيطة المضادة .

احببت جمال عبد الناصر كما احبه الملايين من العرب ، عشت تاميم القنال وعشت العدوان الثلاثي على مصر بكل ما املك من عاطفة وانفعال .

فى هذه الفترة ، وبالذات بين عامى ١٩٥٦ ـ ١٩٥٧ ، كان هناك فى نـابلس (النادى الثقافى المختلط) الذى اسسه الدكتور وليد قمحاوى مع بعض الشباب الواعي ، لكي يسد فراغا ثقافيا واجتماعيا كان يهيمن على المدينة . وبالرغم من الأصوات المعترضة المعادية التى راحت ترتفع ضد النادى المختلط ، وبالرغم من العبارات الهجومية التى كانت تكتب على جدران المدينة ذات التقاليد الصارمة ، فقد استطاع هذا النادى ان يقوم بتحقيق بعض اهدافه الهادفة ، وذلك من حيث النشاطات الفكرية والادبية والاجتماعية . واقول حقق بعض اهدافه ، ذلك ان نظام الحكم القائم يومئذ لم يلبث ان اغلق ابواب النادى بسبب نشاطه السياسي الخفي .

كنت واحدة من أعضاء النادى ، وكانت اول مرة انخرط فيها مع الجماعة . وحين شبت نار العدوان الثلاثى على مصر اصبح جو النادى يتوهج بالانفعال . كانت قلوبنا متعلقة بشعرة ، تتارجح بين الامل والخوف من انكسار جديد .

كان قد ظهر قبل ذلك على صعيد السياسة الغربية مبدا (ايزنهاور ـ دالاس) القائل بتعبئة الفراغ الذى تركته بريطانيا . ومنذ ذلك الوقت بدات المتـاعب تحيق بالمناضلين .

● ●

شهر مايو فى منتصفه ، او قبله او بعده بقليل .. شمس العصر تلقى على غرفة النادى الغربية اشعة ضعيفة .. الغمائم العابرة تسرق الاشعة من جدران الغرفة بين الحين والآخر .. بعض الاعضـاء يتبادلون الحديث .. موضوعنا ـ كالعادة ـ يتناول الظروف السياسية السيئة فى البلاد .. على المقعد المقابل الصديقة المعلمة (س) .. عيناها تبرقان فى وجهي .. شيء ما فى عينيها السوداوين يقول لى إنها قلقة وفى حالة غياب .. وفجاة اراها تقفز الى جانبى .. يدنو راسها من راسى وتلامس شفتاها خصلة الشعر على اذنى .. تهمس بغمغمة : « هل لديك مكان امين لاحد الشرفاء المطاردين ؟ اننا فى مازق والعيون تحاصر منطقتنا .. يجب ان يغادر مكانه الحالي هذه الليلة قبل ان يصطادوه » ..

ذهني يتحرك بسرعة .. يدور حوار سريع بيني وبين صمتي المبهور ـ الدار فى هذه الايام خالية الجو .. الباقون من اسرة عمي فى الدار يعزلهم عنا خصـام قائم .. لا مجالس مشتركة بيننا ولا احاديث متبادلة .. العِلّية الغربية فى طابقنا العلوى معزولة ومناسبة .. امى واختى فتايا بجانبى دائما .. اخى رحمي سيرحب بالضيف بكل تاكيد ..

وهمست فى اذنها : ـ « نعم ! » وتم الاتفاق على ساعة التنفيذ ..

فى الثامنة والنصف مساء كان ثلاثتنا فى سـيارة اجـرة ، وهى بجـانب السائق الامين ، وعلى المقعد الخلفى يجلس الى جانبى رجل صامت لا اعرفه ، ملتفع الراس بكوفية بيضاء يمسكها عقال اسود .

السماء معنا !

امطار غزيرة غير متوقعة تهطل في شهر يحمل معه عادة روائح الصيف .. عبرت السيارة داخل السوق القديم .. الدكاكين مقفلة .. البلدة مقفرة الا من قطة تنكمش على نفسها فى زقاق مظلم ، وهناك عابر يركض هاربا من الامطار المباغتة ، متجنبا ما امكن مزاريب الاسطحة على الجانبين ، راسه غارقة فى كتفيه ويداه مدفونتان فى جيبي سترته .

السماء معنا !

وقفت السيارة عند باب دارنا ، ونزلنا لنرقى السلالم الكثيرة ، المستقيم منها والملتوى . واحتوتنا غرفة الاستقبال فى الطابق الثالث ، وتم التعارف : انه الدكتور (ع . ش) .

عاد اخى رحمي للبيت ليفاجا بالضيف العزيز ، وتلقاه بذراعين مفتوحتين .

قبع السياسي المطارد فى « العليـة » المعزولة بستائرها المرخاة على نوافذها الضيقة وبابها الزجاجى .

فى الصباح الباكر توجهت الى داره لاطمئن زوجته الصابرة وبناته الصغيرات الثلاث . كانت عائلته فى قلق كبير لا تعرف من امره شيئا . وبعدها رحلت العائلة الى دمشق .

خلال فترة اقامته كنت حريصة على ان تبدو الأمور فى البيت طبيعية ، لا تثير تساؤلات افراد اسرة عمى ، وحين كانت امي تهيىء وجبة الطعام على « صينية » صغيرة كنت اتحين اللحظات التى تخلو فيها ساحة الدار من اهلها ، فاركض « بصينية الطعام » الى العلية . كما انني تعمدت طوال تلك الأيام المواظبة على الذهاب الى النادى ، وحضور عرض الأفلام فى دور السينما كما لو كنت غير مسكونة بالقلق وانشغال البال . وكنت قبل مغادرة الدار اقفل بالمفتاح باب السلم المؤدى الى الطابق العلوى .

كنت سعيدة بالواجب الذى اضطلعت بالقيام به ، ولكن سعادتي كان يمازجها هم خفي . كنت احس برجفة اذا ساير رجل خطواتي فى الطريق خوفا من ان يكون احد المخبرين . ولا ادعى الشجاعة اذا قلت إن خـوفى الكـامن لم يكـن على نفسي . كان همي الوحيد هو الحرص على سلامة المطارد السياسي من جهة ، وسلامة اخي رحمي من جهة اخرى .

مر احد عشر يوما على القابع فى العلية المغلقة ، المسدلة الستائر ، قبل ان يتم تدبير الامر وتسريب المطارد الى دمشق ..

● ●

اشرب قهوة الصباح على قلق وانتظار .. جرس التليفون فى غرفتى ينتزعنى من مقعدى بقفزة ملهوف .

اتناول السماعة .. دمشق !

ـ .. احكوا مع دمشق ..

وتصافح اذنى كلمات زوجة الدكتـور (ع . ش) ناعمة شامية .

ـ .. هالو .. صباح الخير .. شكرا على الهدية .. وصلت امس في احسن حال .

ـ .. الحمد لله ، لا شكر على واجب .. كيف الصغيرات ؟ سلمى ..

اعدت السماعة ..

تنفست بعمق ، واسترحت !

بقيـة المذكرات
العـدد القـادم

هـوامـش

(١) لم يكن هذا التفسير الا ترجيعا لصدى التفسير الذى تضمنه الكتاب الابيض الصادر عام ١٩٢٢ وفيه توضيح للمعنى المقصود من عبارة الوطن القومي اليهودى ، والتوضيح ينفى ان هذه العبارة تعني فرض الجنسية اليهودية على العرب ، او حرمان سكان البلاد عملهم . كما اعلنت بريطانيا فيه ان وعد بلفور ليس الغاية منه جعل فلسطين يهودية . فحكومة « جلالة الملك » تنظر الى هذه الآمال على انها غير قابلة للتطبيق ، وانها تفكر فى وقت من الأوقات باخضاع او محو السكان العرب او قتل لغتهم وادابهم من فلسطين .

انظر « جذور القضية الفلسطينية » ص ١١٩
د . اميل توما .

(٢) (اخى ابراهيم) سلسلة الثقافة العامة .

(٣) « جذور القضية الفلسطينية » ص ٢٥٣ ـ د . اميل توما .

أخطاء لغوية معاصرة

الدكتور عبد الله العبادي
جامعة قطر

أطلق سراحه؟

نسمع في نشرة الاخبار ، ونقرأ في الصحف والمجلات جملة « وقد اطلق العدو سراح عدد من الفدائيين الاسرى » او « إن الطيار الأسير أطلق سراحه » . وهذا التركيب خطأ ، ذلك ان « سراح » مصدرٌ « فعله » سَرَّحَ عنه « يسرّح » إذا افرج عنه ، وهو يعني إطلاقه من قيده ، او من سجنه ، فكيف يستقيم المعنى اذن « اطلق طلاقه » ؟ فالتركيب الصحيح ان يقال « سَرَّحَ العدو عدداً من الفدائيين الأسرى » بمعنى اخرجهم من السجون ، او « اطلقوا الطيار الاسير » او « أُطلِقَ عنه » بمعنى خلوا سبيله (انظر لسان العرب مادة طلق) .

ومن معاني السراح : الطلاق ، او الفراق قال تعالى (وسرحوهن سراحا جميلا) سورة الاحزاب ٤٩ ومنه سَرَّحَ الماشية إذا اطلقها .

القى خطاباً

ويقولون « القى الرئيس خِطاباً رائعاً » والصواب « القى الرئيس خُطْبة رائعة » ذلك ان الخِطاب ، والمُخاطبة : مراجعة الكلام ، وخاطبه بالكلام مخاطبة ، وخطابا : واجهه بالكلام وهما يتخاطبان ، وجمع «الخُطبة» خُطَبٌ (انظر لسان العرب ٣٦١/١ مادة « خَطَبَ » و « خُطْبَة » بالضم هي « فُعْلة » بمعنى مَفْعُولَة نحو نُسْخة بمعنى مَنْسُوْخة ، وغُرْفَة من ماء بمعنى مَغْرُوْفَة (انظر المصباح المنير مادة خطب) اما « الخِطْبَة » بكسر الخاء ، فهي طلب الزواج من امراة ، وهو خاطب . ومن معاني الخُطْبة بضم الخاء مقدمة الكتاب ، وكذلك اللون الكدر المشرب بالحمرة .

الشَّبيبة :

ويقولون « وإنا لنفخر بهؤلاءِ الشَّبْبَة من ابناء امتنا » ويعنون بذلك الشباب ، او الشُّبان جمع « شاب » والصحيح ان الجمع ـ كما ذكرنا ـ شباب ، وشُبَّان ، لان « الشبيبة » مصدر ، تقول شَبَّ يَشِبُّ شبابا وشَبِيبة . وتاتي الشبيبة كذلك اسما خلاف الشَّيْب ، قال المتنبي :

اتى الزمان بنوه في شبيبته
فسرهم واتيناه على الهرم

ويقال للمراة : امراة « شابة » جمعها « شَوَّاب » ، وقال بعضهم يجمع على شبائب ، وقال الازهري هو جمع « شَبَّة » مثل « ضَرَّة » و « ضَرائِر » . وكذلك يجمع « شاب » على « شَبَبة » .وقد جاء في لسان العرب « لما برز عتبة وشيبة ، والوليد برز لهم « شَبَبَة » من الانصار اى شُبَّان،واحدهم شاب،ومنه حديث ابن عمر رضي الله عنهما: كنت انا وابن الزبير في « شَبَبَةٍ » معنا .

مائة :

ونسمع من بعض المذيعين والخطباء من ينطق « مِئَة » بالالف قبل الهمزة ، وفتح الميم ، معتمدين في ذلك على رسم الكلمة بالالف « مائة » والصواب نطقها « مِئَة » بكسر الميم ، وفتح الهمزة وبدون الف ، على وزن « فِئَةٍ » والجمع « مِئَاتٌ » على وزن « فِئاتٍ » وتجمع كذلك على « مئين » وتعرب إعراب الجمع المذكر السالم . ذلك انه لا يوجد ابدا في اللغة العربية اسم فيه الف قبله حرف صحيح مكسور ، لانه يصعب النطق به . فلذلك ترى من ينطق حاليا بالالف يفتح اولها ، مع ان الصواب كسر اولها قال تعالى (ولبثوا في كهفهم ثلثَ مائةٍ سنين وازدادوا تسعا) الكهف ٢٥ . اما عن رسمها بالالف فانهم ارادوا التفرقة بينها وبين (مِنْهُ) وذلك قبل ان يامر الحجاج بن يوسف نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر العدواني بنقط الحروف العربية قبل توزيع القرآن الكريم على الامصار .

وقد راى الكوفيون بعد ذلك حذف الالف برسمها هكذا (مِئَة) نظرا لسهولة التفرقة بينها وبين (مِنْهُ) بينما اصر البصريون على إبقائها . ولا تزال كذلك عند البعض في وقتنا الحاضر . وقد اجاز المجمع اللغوي بالقاهرة كتابة (مِئَة) ومركباتها بدون الف .

قال الجوهري : اصل (مِائة) مِئًى مثل : مِعًى ، والهاء عوض عن الياء ، وقال ابن بري اصلها « مِئْيٌ » (انظر لسان العرب ١٦٩/١٥) .

وعند الجماعة اصلها « مِئْيَةٌ » ساكنة العين ، فلما حذفت اللام تخفيفا جاورت العين تاء التانيث ، فانفتحت على العادة والعرف ، فقيل (مِائة) فاذا رددت اللام ، فمذهب سيبويه ان يقر العين بحالها متحركة ، وقد كانت قبل الرد مفتوحة فتقلب اللام الفا ، فيصير تقديرها : مِئا كمِعًى ، فاذا اضفت اليها ، ابدلت الالف واوا ، فقلت : مِئَوِيٌّ كمِعَوِيٌّ (انظر الخصائص لابن جني ١٠٦/٢) .

عبد الله العبادي



رثاء باريس

بقلم: الدكتور زكي مبارك

هذه المقالة البديعة كتبها الاديب العربى الكبير الدكتور زكى مبارك بعد سقوط باريس فى أيدى الألمان النازيين سنة ١٩٤٠ .. ورغم أن هذه المقالة الرائعة تتصل بحادث عالمى قديم إلا أنها فى كل سطر منها تكاد تنطبق على ما أصاب العرب ويصيبهم فى هذه الأيام ، وخاصة بالنسبة لمحنة لبنان وبيروت بالتحديد .

قضى الامر وسقطت باريس بين أيدى الالمان !

فمن كان يستبعد أن تميد الجبال فليعرف اليوم ان الوجود لا يعـــرف المستحيل . ومن كان يرتاب فى « يوم القيامة » يوم « الفزع الأكبر » فليتصور الساعة التاريخية التى اعترف فيها الجيش الفرنسى بان لا فائدة من الدفاع عن باريس .

ولكن أى جيش ؟

هو جيش صام عن النوم والطعام سبعة ايام الى ان لم يبق من قواه غير اشلاء ، وكان مع ذلك يحب أن يقاتل الى أن يبيد وهو يذود عن باريس ، ولكنه خاف على ذخائرها الغالية فقرر انها « مدينـــة مفتوحة » ومضى يقاتل قتال اليائس المستميت فى مواضع لاقلاع فيهـــا ولا حصون .

إذا حقت المخاوف وسقطت باريس ، باريس صاحبة الحق على جميع الشعوب بفضل ما علمت الناس اصول الثورة على الظلم والاضطهاد .

فان قال قائل إن باريس هى عاصـــمة فرنسا الاستعمارية . فليذكر انه لم يثر ثائر على الاستعمار فى مشرق او فى مغرب إلا وفى روحه جذوة من النار التى اوقدتها باريس للغضب على استعباد الشعوب .

اقول هذا وقد لامنى صديق على التوجع لمصير فرنسا فى مقال نشرته بجريدة الاهرام منذ اسابيع ، وكانت حجته ان فرنسا صنعت فى الشرق ما صنعت ، وانه لا يجوز الحزن على امة تحملها القوة على ان تبنى وتستطيل .

وهل كنت أجهـــل عيـــوب الامم الاستعمارية حتى يدلنى عليهـــا ذلك الصديق ؟

ان الأسد هو الصورة الفظيعة للبطش والفتك والافتراس ، ولكن هل يشمت الحر بالأسد حين يراه فى مدارج الضـــيم والاستذلال ؟

ذلك حالى فى التوجع لفرنسا الجريحة ، وقد حاربتها بقلمى مرات حتى صح لوزير الخارجية الفرنسية ان يعارض فى منحى وسام الاكاديمى سنة ١٩٣١ وهو سر لم اذعه قبل اليوم ، وما اذيعه الآن إلا ليعرف الصديق المتعتب أنى لا اهتم بغير المعانى وقد منحت ذلك الوسام بعد تلك الجفوة فى سنة ١٩٣٦ فلم ار فيه إلا تحية لرجل



يصادق فرنسا صداقة علمية لا سياسية .

ومن كان فى مثل وطنيتى فهو فوق الشبهات والظنون ، والصدق فى الوطنية من اشرف الارزاق .

إن الضعيف هو الذى يشمت بالقوى حين تزل قدماه ، فليعرف ذلك من يحس الشماتة بمدينة " النور " على عهودها الزواهر اطيب التحيات !

وهل املك إخفاء حسراتى على ما صارت إليه باريس ؟

وهل يستطيع اديب المانى ان يخفى لوعته على مصير تلك المدينة وهو عدو حتى يستطيع اديب مصرى ان يخفى لوعته وهو صديق ؟

حدثتنا البرقيات ان الجنود الالمان طافوا بشوارع باريس وهى خالية ، فاى اديب لا يتفطر قلبه حزنا حين يسمع ان شوارع باريس عرفت الهدوء لحظة من زمان ؟

هى لفتة من لفتات الدهر الغادر الذى يرى كسوف الشمس وخسوف القمر ضربا من ضروب المزاح .

وهى وثبة من وثبات القدر الذى يزلزل الوجود حين يشاء .

فمن كانت عنده بقية من الصبر على مكاره الايام فليتفضل على بكلمة عزاء لاتناسى اصدقائى فى باريس ، اصدقاء العهد الجميل يوم كنت طالبا فى السوربون - السوربون التى صارت اليوم قفرا يبابا لا يطوف باركانه غير الشامتين من غلف القلوب .

باسم القوة غزيت باريس ، وذلك جزاء وفاق ، فليس فى باريس مكان إلا وهو ندي الثرى بالدماء المسفوكة فى سبيل الحرية ، والحرية من اسماء القوة ، والرجل الحر لا يرضى الموت بغير السـيـف ، وكذلك تستشهد باريس . فان استطاع الالمان ان يخمدوا اللهب الذى يتوقد فـوق قـبر « الجندى المجهول » تحت « قوس النصر » فسيذكرون بعد حين ان تلك الجذوة ستنقلب إلى سعير يفتك بمجامع الاضغان ، ويرد الدنيا إلى عهدها القديم يوم كانت دار علوم واداب وفنون ، كما كانت لعهد باريس قبل ان يحولها الغزو إلى اشباح لا تملك الجواب بغير الصمت البليغ !

ان لبست باريس اثواب الحداد فى سنة ١٩٤٠ فقد لبست برلين اثواب الحداد فى سنة ١٩١٨ . والحروب قصاص ، وكـمـا بدين الفتى يدان . وهنيئا ان يحمل السيف فينتصر فى وقائع وينهزم فى وقائع ، فما الحياة الحق الا عراك ونضال وقتال .

ومن ظن ممن يلاقى الحــروب
بان لا يصــاب فقد ظن عجزا

وهل كفت باريس عن الدعوة الى الحرب حتى تنكر عواقب الحرب ؟

فى باريس مئات من التماثيل لعظماء الرجال الذين كافحوا فى مختلف الميادين ، وفى كل خطوة يخطوها زوار باريس اثر ينطق بان مدينة النور لا تعرف الحياة فى غير الصراع والصيال ، فمــا جزعك يا باريس وانت صيرت الحرب من شرائع الوجود ؟

ان قوة الالمان فيض من قوتك يا باريس ، فانت غرست الحقد فى صدورهم ، وانت قهرتهم على ان يتربصوا بك الدوائر عشرين سنة ليلقوك بافئدة موتورة لا يشفى غليلها غير الولوغ فى دماء الرجال .

فبفضلك استطال الالمان يا باريس ولولا خشيتهم مما تملكين من عظمة وجبروت لما وصلوا فى التسلح الى الحد الذى يسمح بان يقهروك على إلقاء المقاليد .

وانهزامك يا باريس سيكون درسا لأبناء الجيل الجديد ، وبه يعرفون ان لا قيمة للاعتماد على التاريخ ، وان لا قيمة للتمدح بالفضائل الانسانية ، فما زال ابناء حواء يخضعون لفطرتهم القديمة يوم كانوا من جيوش الغريزة قبل ان يصيروا من رجال الوجدان .

الم اشهد العجائب فى الأعوام التى قضيتها فى السوربون ؟

كان شبان فرنسا فى ذلك العهد يرون الحرب من بقايا الوحشية ، ويتواصون بان يكونوا انصاراً للسلام مهما تغلبت الظروف ثم سمعت بعد ان فارقت باريس ان اقطاب فرنسا يختلفون حول فكرة التسلح وان فيهم من يرى ان ترصد جميع اموال الدولة للمنشات العمرانية والمدنية .

وذلك ذنبك يا باريس ، فانت وثقت باعتدال الموازين قبل ان تستعد فطرة الانسان الحيوانية للترحيب باعتدال الموازين .

ولو كانت باريس غير باريس لعرف اهلها فى الدنيا خلائق تعيش بغرائز موروثة عن العهود التى سبقت التاريخ .

ان الورد يعتصم بالشوك ، فكيف فات باريس ان تعتصم بالسلاح ؟

تلك هفوة سيكفر عنها ابناء الجيل الجديد فى باريس يوم تنجلى الغمة بعد ان تضع الحرب اوزارها الثقال .

ولكن متى ؟

ان انتظار السلام قد يطول !

• •

فى اى المحامد والمحاسن والمناقب يفكر الرجل حين يجزع لبلواك يا باريس ؟

ايذكر ان مطابعك كانت تخرج نحو سبعين كتابا فى اليوم الواحد ؟

ايذكر ان مكاتبك مرجع لجميع ما ابدعت العقول الانسانية فى القديم والحديث ؟

ايذكر انك صورة الانسانية ، الصورة المجسمة التى تمثل ما تملك الانسانية من اراء واهواء ، وحقائق واباطيل ؟

ايذكر انك ارحب ميدان للصراع بين الحلم والجهل والشك واليقين ؟

ايذكر ان معاهدك العلمية والادبية والفنية كانت النبراس لأهل العقول والافكار والاذواق فى اكثر بقاع الارض ، وان برلين نفسها لم تنج من الافتتان بسحرك القهار ؟

ايذكر ان النشوة الروحية لا تقع إلا لمن يفتح عينيه على نورك الوهاج اول مرة ؟

وما اسعد من يراك يا باريس اول مرة قبل ان يألف مناظر الفردوس ! وهل تحق السلوة لمن يطول عهده بجمالك الفتان ؟

قد ينسى الناس محامدك يا باريس ، إلا محمدة واحدة ستبقى فى ذاكرة الخلود .

فاعداؤك يا باريس لم يكونوا يجدون الأمن والعافية إلا فى ربوعك الضواحك ، وما استطاعت المطابع فى اى ارض ان تذيع الطعن فى فرنسا كما استطاعت مطابع باريس ؟ وما شتمت فرنسا فى اى بلد كما شتمت فى باريس !

لم تكن باريس وطنا خالصا للفرنسيين ، وإنما كانت اوطانا لطوائف من المفكرين والثائرين يفدون اليها من كل فج ويطعنون اهلها ان ارادوا بلا رقيب ولا حسيب .

كانت باريس هى الملعب الذى تراض فيه عضلات الافكار على المرونة والعنف .

كانت باريس حربا على اهلها بفضل تلك الحرية . ولكنها كانت تشعر بالابوة الرحيمة لكل من يلجأ إليها ، ولو كان من دعاة الهدم والتخريب .

كانت باريس تعرف أن نشر المعاد من الأفكار الموروثة لا يحتاج إلى حماية ، ففى مقدور كل مخلوق ان يذيع الآراء التقليدية حيث شاء ، وكذلك رات باريس أن تكون حامية الفكر المحرر من جميع القيود ، وفى رحابها ترعرعت المبادىء الجوامح التى صارت عدة اعدائها من الروس والالمان والطليان .

فكيف صرت اليوم يا باريس ؟ وكيف تصيرين بعد اليوم ؟

انا اعرف ان جراحك لن تندمل فى يوم او يومين ، واللحظة الواحدة من الام الاحرار تقدر باعوام طوال ، فماذا تنوين وقد قهرك بغي الأعداء على اعتناق مبدأ الحقد الاسود ؟

فى رحابك اليوم شيوخ واطفـــال لا يفتحون عيونهم إلا على ظلمات من فوقها ظلمات ، فهل تختفى البشاشة الروحيـة والوجدانية من ادبك الرفيع ؟ وهل يحل النفاق محل الصراحة بعد ان دفعت الاثمان الغالية فى عقوبة الترحيب بالراى الصريح ؟

وهل تصيرين مثل موسكو وروما وبرلين فى خضوع الأفكار والمذاهب للسلطة العسكرية ؟

انا لا اخاف أن تموت باريس ، وإنما اخاف على باريس عادية الجمود .

ان ابناء باريس حاولوا تخريبها مرات كثيرة بسبب العداوات الحزبية ، ولم يفلحوا ، فكيف يفلح فى تخريبها الاعداء ؟ وهل خلقت باريس للموت ، وهى اسطع جذوات الخلود ؟

احب ان اعرف مصير الحرية الفكرية فى هذا الوجود الموبوء بانفاس المرائين والمخادعين ؟

لم اتفجع على باريس لقرابة او جوار ، وإنما اتفجع على باريس لما بيننا وبينها من انساب علمية وروحية ، فاليها يرجع الفضل فى تخريج من عرفنا من كبار الادباء والزعماء ، وتلك وشائج لا ينساها إلا من ابتلاه الله برذيلة الجحود .

سيعض قوم بنان الندم على الشماتة بمدينة النور ، يوم يعرفون ان لم يبق فى الدنيا مكان تذاع فيه اراء الاحرار بلا تهيب ولا اشفاق بعد خمود باريس .

لابد للفكر من مدينة فى مثل صراحة باريس وسماحة باريس ، فالى اين يذهب الفكر وقد ضرب الحرج على باريس ؟

إن الفكر هو اثمن ما غنمت الانسانية ، وبفضل الفكر الحر عرف الانسان قيمة الوجود .

لابد للعالم المفكر من باريس ولو رفعت فوق ذراها راية الصليب المعقوف !

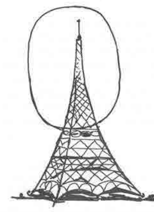
وهل اطفئت انوار بغداد الفكرية بعد ان غلبها التتار المجرمون ؟ .

وهل استطاع الذين حاربوا القاهرة مئات السنين ان يحجبوا أنوارها عن الشرق ؟

المدن الفكرية لا تموت ، وكيف يموت الفكر وهو اطول عمرا من الزمان ؟

● ●

اما بعد ، فهذه كلمة فاض بها قلب يتوجع لاحزان باريس ، وطن اساتذتى الاماجد من امثال مورنيه وتونلا وشامار وميشو وديبويه ومرسيه وديمومبين ولالاند وماسينيون ، وطن المكاتب التى كنت اقضى فيها سهراتى بالمجان حين كان يعوزنى المال لقضاء السهرات فى مراتع اللهـو والفتون .



هذه كلمة فى التفجع لمصير المدينة التى قضيت فيها اطيب الاعوام من شبابى المدينة التى اوحت الى قلمى كتاب «ذكريات باريس» .

فان ترجـع الأيام بعد الذى مضى
بدى الأثل صيفا مثل صيفى ومربعى
شددت باعناق النوى بعد هـذه
مرائر ان جاذبتهـــا لم تقطـع

وستلتقى يا باريس ولو بعد حين وقد طب الزمان لجراحك الداميات !

كيف الحال فى بوليش يا باريس ؟
وكيف الحال فى الشانزليزيه ؟
وكيف الحال فى فرساي وقد قيل فيـــه ما قيل ؟

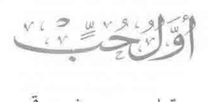
وكيف الحال فى دار المكتبة الأهلية ؟
وكيف حال السامرين على شواطىء السين ، ان بقي للسمر مجال على شواطىء السين ؟
وكيف حال اللاهين واللاعبين بين القصر الكبير والقصر الصغير فى الطريق الى ميدن الأنفليد ؟
واين مواعيد الصبابة والوجد فى ساحاتك الفيحاء ؟

واين استقبال الغاديات والرائحات فى الضحى والأصيل حول مخازن السماريتين؟
واين صبح الاحد فى متحف اللوفر وعصر الاحد فى حديقة النبات ؟

واين الصـــــوت !
ليرجع العشاق الى مخادعهم بعد العبث بأزهار البساتين ؟
واين ؟ واين ؟ واين ؟
هى دنيا تذوقين من باسائها بعض ماذقت بعد فراقك الأليم .

فيا مرجع روحى بعد القاهرة وبغداد وسنتريس ، ويا صاحبة الفضل على اكثر ما نظمت من قصائد وما نشرت من مؤلفات ، ويا وطن الجنرال بوتال الذى كانت داره ملاذ عزيمتى ، ويا وطن الكولليج دى فرانس ومدرسة اللغات الشرقية والسوربون ، ويا وطن الصديق الحميم دى كومنين اقدم إليك اصدق التحيات وانا واثق بنصيبك الاعظم من الخلود .

زكى مبارك — ١٩٤٠



أول حب

بقلم: حسين شوقي

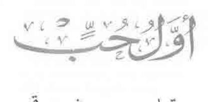
حسين شوقى هو ابن امير الشعراء احمد شوقى ، وقد عاش فى اسبانيا مع والده العظيم حين نفاه الانجليز بعد بداية الحرب العالمية الأولى من مصر ، وبقي هناك خمس سنوات (١٩١٥ ـ ١٩١٩) ، وحسين شوقى شاعر رقيق وكاتب فنان ، وإن كان اسمه قد عاش فى الظل بسبب الهالة الكبيرة التى تحيط باسم والده ، وفى هذه الصورة التى يرسمها حسين شوقى عن حياته العاطفية فى صباه ، وفى المنفى الاسباني ، لمحة جميلة من فنه الرقيق .

كان اول حب لي فى سنة ١٩١٨ اثناء المنفى فى اسبانيا .. كنا نقضي صيف ذلك العام بغرناطة فى الغابة الجميلة التى تحيط بقصر الحمراء الشاهق ، حيث كانت ثريا حظية الملك ابن الأحمر المنعمة المدللة تمرح بين النرجس والياسمنت . وكنا نقيم فى فندق شيد فى الغابة نفسها حيث يستطيع الزائر أن ينعم بالراحة والسكون مع بقائه بالقرب من ذلك القصر العربى المجيد ، وكانت هذه الغابة التى غرست فوق رابية ، تطل على مدينة غرناطة بمنظرها الرائع وضواحيها الفاتنة .. وكنا فى اوائل فصل الصيف ، فلم يحضر إلا القليل من السياح ، فلم يكن بالفندق غير اسرة احد كبار الضباط الاسبان واسرتنا ، فما لبثت الاسرتان ان تعارفتا بعدزمن قليل .. كان اهلى يقضون اوقات طويلة مع الضابط وزوجه يتحدثون عن جمال الطبيعة فى هذا المكان : سكون الغابة ، صفاء المياه التى تترقرق فى الجداول الآتية من جبل « الشيرا » الذى يشرف هو كذلك على الحمراء وقد جلل الثلج راسه صيف شتاء ..

اما ابى فقد وجد فى الضابط سميرا انيسا ، لان الرجل كان برغم تربيته الحربية واسع الاطلاع على الادب والتاريخ .. كما كان يشارك والدى فى توجعه على تلك المدنية العربية الاندلسية العظيمة التى اضاءت العالم الغربى حقبة من الزمن ، حين كان يتخبط فى دياجير الجهل والهمجية ، ثم ما لبثت ان اختفت فجاة فى فوضي الوجود .

وكان هذا الضابط اسمر البشرة الى حد يلفت النظر ، وقد قال له ابى مرة إنه لابد ان يكون من اصل عربى ، فامن الضابط على قوله ذاكرا فى شيء من الزهو أنه عربى من بنى امية الامجاد كما تثبت ذلك شجرة نسب اسرته ، إذ كان من النبلاء ..

اما انا ، وكان عمرى إذ ذاك ثلاثة عشر عاما ، فما كنت احفل ببني امية ولا بغيرهم بل كنت اقضى الوقت فى الغابة ابحث عن فراشة جميلة اضمها الى مجموعتى .



أول حب

بقلم : حسين شوقي

حسين شوقى هو ابن امير الشعراء احمد شوقى ، وقد عاش فى اسبانيا مع والده العظيم حين نفاه الانجليز بعد بداية الحرب العالمية الاولى من مصر ، وبقي هناك خمس سنوات (١٩١٥ ـ ١٩١٩) ، وحسين شوقى شاعر رقيق وكاتب فنان ، وإن كان اسمه قد عاش فى الظل بسبب الهالة الكبيرة التى تحيط باسم والده ، وفى هذه الصورة التى يرسمها حسين شوقى عن حياته العاطفية فى صباه ، وفى المنفى الاسباني ، لمحة جميلة من فنه الرقيق .

كان اول حب لي فى سنة ١٩١٨ اثناء المنفى فى اسبانيا .. كنا نقضي صيف ذلك العام بغرناطة فى الغابة الجميلة التى تحيط بقصر الحمراء الشاهق ، حيث كانت ثريا حظية الملك ابن الأحمر المنعمة المدللة تمرح بين النرجس والياسنت . وكنا نقيم فى فندق شيد فى الغابة نفسها حيث يستطيع الزائر أن ينعم بالراحة والسكون مع بقائه بالقرب من ذلك القصر العربى المجيد ، وكانت هذه الغابة التى غرست فوق رابية ، تطل على مدينة غرناطة بمنظرها الرائع وضواحيها الفاتنة .. وكنا فى اوائل فصل الصيف ، فلم يحضر إلا القليل من السياح ، فلم يكن بالفندق غير اسرة احد كبار الضباط الاسبان واسرتنا ، فما لبثت الاسرتان ان تعارفتا بعدزمن قليل .. كان اهلى يقضون اوقات طويلة مع الضابط وزوجه يتحدثون عن جمال الطبيعة فى هذا المكان : سكون الغابة ، صفاء المياه التى تترقرق فى الجداول الآتية من جبل « الشيرا » الذى يشرف هو كذلك على الحمراء وقد جلل الثلج راسه صيف شتاء ..

اما ابى فقد وجد فى الضابط سميرا انيساً ، لان الرجل كان برغم تربيته الحربية واسع الاطلاع على الادب والتاريخ .. كما كان يشارك والدى فى توجعه على تلك المدنية العربية الاندلسية العظيمة التى اضاءت العالم الغربى حقبة من الزمن ، حين كان يتخبط فى دياجير الجهل والهمجية ، ثم ما لبثت ان اختفت فجاة فى فوضي الوجود .

وكان هذا الضابط اسمر البشرة الى حد يلفت النظر ، وقد قال له ابى مرة إنه لابد ان يكون من اصل عربى ، فامن الضابط على قوله ذاكرا فى شيء من الزهو أنه عربى من بنى امية الامجاد كما تثبت ذلك شجرة نسب اسرته ، إذ كان من النبلاء ..

اما انا ، وكان عمرى إذ ذاك ثلاثة عشر عاما ، فما كنت احفل ببني امية ولا بغيرهم بل كنت اقضى الوقت فى الغابة ابحث عن فراشة جميلة اضمها الى مجموعتى .



احمد شوقى اثناء منفاه فى اسبانيا (١٩١٥ – ١٩١٩) مع ولديه حسين شوقى (على يساره) وعلى شوقى (على يمينه)

كانت تعاوننى فى مهمتى هذه بنت الضابط الصغرى ، اذ كان له بنتان : إحداهما فى العاشرة وكانت مع الأسف دميمة ، ومع ذلك كنت اصطحبها فى جولاتى خلال الغابة لافتقارى إلى رفيق .. اما اختها الكبرى فكانت فى مقتبل العمر ، وهى اية فى الحسن ، ببضاضتها ولونها الخمرى ، وعينيها السوداوين الصغيرتين الحادتين ، ووجهها الذى يبسم دائما كانه ايام الربيع ..

وكانت هذه الفتاة الرشيقة التى تسمى خوانا ، وكان اهلها يدعونها خوانيتـــا (تصغير خوانا) – تدليلا ومحبة – تتكرم احيانا بمصاحبتنا فى رحلاتنا .. عندئذ كنت احس بسعادة عظيمة تغمر قلبى ووجدانى ، لابد انى كنت احب خوانيتا حبا جما إذ ذاك ، فقد فقدت يوما شالها الحريرى الصغير الذى كانت تلف به عنقها فى احدى هذه الرحلات ، فاخذنا نبحث عنه – نحن الثلاثة – حتى عثرت عليه انا معلقا على جذع شجرة ، ولكنى بدلا من ارده اليها الفيت نفسى اقبله ، ثم وضعته خلسة فى جيبى لاحتفظ به ، كم كان طيبا عبيق هذا الشال ! وكيف لا يكون وقد احاط بجيد محبوبتى خوانيتا ، وتنسم عبيق غدائرها الساحرة ؟ وكنت فى الليل حينما ارجع الى مخدعى وتتراءى لى صورة خوانيتا فتطرد عنى النوم اضم الى صدرى هذا الشال فيهدىء وجوده اعصابى ويجلب الى النوم والراحة .

اردت مرة ان اقدم اليها هدية مدفوعا فى ذلك بحب الصبا الجنونى ، ولكن ما الذى كنت استطيع ان اقدمه اليها ونفقة جيبى ضئيلة لا تزيد فى الشهر على ثلاثين فرنكا اسبانيا ؟ عندئذ قمت بهذه التضحية : اعطيتها مجموعة الفراش التى عانيت المشاق فى جمعها !

اما خوانيتا فلم تكن مع الأسف تشاركنى هذا الحب .. كم كنت احمق حين ظننت أن فتاة كخوانيتا فى العشرين من عمرها تبادل صبيا فى مثل سني الحب ؟ على أن خوانيتا كانت تجد تسلية كبيرة فى التظاهر بحبى ، فتلعب معى ادوراً مؤلمة .. فمن ذلك انها كانت تحتفظ بيدى فى يدها – اثناء الرحلات – فكنت اذا ما عدت الى الفندق لا اغسل تلك اليد طول النهار ، حتى احتفظ برائحة خوانيتا فيها ، كما كنت اشمها واقبلها خلسة من وقت الى اخر ..

وكانت خوانيتا ترسل الى احيانا بعض تلك النظرات التى لا يقوى على مواجهتها قديسو اسبانيا جميعا ! وصار اهلها الذين علموا هذه الخديعة منها ينظرون الى بعين ملؤها العطف ، بل كانوا يضطرونها احيانا الى مرافقتى فى الغابة مع اختها ..

وا اسفاه ! لم اعرف الكوميديا التى كانت تلعبها خوانيتا إلا قبل رحيلنا من غرناطة بايام قليلة ! ايها القدر القاسى لماذا لم تترك لصبى مثلى لـــذته الموهومـــة وسعادته المزعومة ؟ لماذا لم نرحل قبـــل اطلاعى على الحقيقة المرة ؟ واليك كيف عرفت الخديعة :

كان احد باعة الحلوى المتجولين يمر امام الفندق من حين الى حين .. فنزلت ذات يوم اشترى منه شيئا من الشكولاتة لخوانيتا واختها ، كما كنت افعل مراراً ، فلما عدت الى الفندق وصعدت الى الحجرة التى كانت تجلس فيها الشقيقتان ، وجدت بابها مفتوحا وسمعت خوانيتا تضحك مع شاب غريب (هو ابن عمها كما علمت ذلك فيما بعد) وإذا بها تخبره بقصتى بصوت جهير ولهجة ساخرة ، وتذكر له كيف كانت تلعب بعواطفى .. عندئذ سقطت الشكولاتة من يدى المضطربة ، واحسست نفسى تذوب كما يذوب تمثال من الثلج تحت اشعة الشمس الحادة !

كرمة ابن هانى

حسين شوقى — ١٩٣٤



احمد شوقى اثناء منفاه فى اسبانيا (١٩١٥ ـ ١٩١٩) مع ولديه حسين شوقى (على يساره) وعلى شوقى (على يمينه)

كانت تعاوننى فى مهمتى هذه بنت الضابط الصغرى ، اذ كان له بنتان : إحداهما فى العاشرة وكانت مع الأسف دميمة ، ومع ذلك كنت اصطحبها فى جولاتى خلال الغابة لافتقارى إلى رفيق .. اما اختها الكبرى فكانت فى مقتبل العمر ، وهى اية فى الحسن ، ببضاضتها ولونها الخمرى ، وعينيها السوداوين الصغيرتين الحادتين ، ووجهها الذى يبسم دائما كانه ايام الربيع ..

وكانت هذه الفتاة الرشيقة التى تسمى خوانا ، وكان اهلها يدعونها خوانيتـــا (تصغير خوانا) ـ تدليلا ومحبة ـ تتكرم احيانا بمصاحبتنا فى رحلاتنا .. عندئذ كنت احس بسعادة عظيمة تغمر قلبى ووجدانى ، لابد انى كنت احب خوانيتا حبا جما إذ ذاك ، فقد فقدت يوما شالها الحريرى الصغير الذى كانت تلف به عنقها فى احدى هذه الرحلات ، فاخذنا نبحث عنه ـ نحن الثلاثة ـ حتى عثرت عليه انا معلقا على جذع شجرة ، ولكنى بدلا من ارده اليها الفيت نفسى اقبله ، ثم وضعته خلسة فى جيبى لاحتفظ به . كم كان طيبا عبيق هذا الشال ! وكيف لا يكون وقد احاط بجيد محبوبتى خوانيتا ، وتنسم عبيق غدائرها الساحرة ؟ وكنت فى الليل حينما ارجع الى مخدعى وتتراءى لى صورة خوانيتا فتطرد عنى النوم اضم الى صدرى هذا الشال فيهدىء وجوده اعصابى ويجلب الى النوم والراحة .

اردت مرة ان اقدم اليها هدية مدفوعا فى ذلك بحب الصبا الجنونى ، ولكن ما الذى كنت استطيع ان اقدمه اليها ونفقة جيبى ضئيلة لا تزيد فى الشهر على ثلاثين فرنكا اسبانيا ؟ عندئذ قمت بهذه التضحية : اعطيتها مجموعة الفراش التى عانيت المشاق فى جمعها !

اما خوانيتا فلم تكن مع الأسف تشاركنى هذا الحب .. كم كنت احمق حين ظننت أن فتاة كخوانيتا فى العشرين من عمرها تبادل صبيا فى مثل سني الحب ؟ على ان خوانيتا كانت تجد تسلية كبيرة فى التظاهر بحبى ، فتلعب معى ادورا مؤلمة .. فمن ذلك انها كانت تحتفظ بيدى فى يدها ـ اثناء الرحلات ـ فكنت اذا ما عدت الى الفندق لا اغسل تلك اليد طول النهار ، حتى احتفظ برائحة خوانيتا فيها ، كما كنت اشمها واقبلها خلسة من وقت الى اخر ..

وكانت خوانيتا ترسل الى احيانا بعض تلك النظرات التى لا يقوى على مواجهتها قديسو اسبانيا جميعا ! وصار اهلها الذين علموا هذه الخديعة منها ينظرون الى بعين ملؤها العطف ، بل كانوا يضطرونها احيانا الى مرافقتى فى الغابة مع اختها ..

وا اسفاه ! لم اعرف الكوميديا التى كانت تلعبها خوانيتا إلا قبل رحيلنا من غرناطة بايام قليلة ! ايها القدر القاسى لماذا لم تترك لصبى مثلى لـــذته الموهومـــة وسعادته المزعومة ؟ لماذا لم نرحل قبـــل اطلاعى على الحقيقة المرة ؟ واليك كيف عرفت الخديعة :

كان احد باعة الحلوى المتجولين يمر امام الفندق من حين الى حين .. فنزلت ذات يوم اشترى منه شيئا من الشكولاتة لخوانيتا واختها ، كما كنت افعل مرارا ، فلما عدت الى الفندق وصعدت الى الحجرة التى كانت تجلس فيها الشقيقتان ، وجدت بابها مفتوحا وسمعت خوانيتا تضحك مع شاب غريب (هو ابن عمها كما علمت ذلك فيما بعد) وإذا بها تخبره بقصتى بصوت جهير ولهجة ساخرة ، وتذكر له كيف كانت تلعب بعواطفى .. عندئذ سقطت الشكولاتة من يدى المضطربة ، واحسست نفسى تذوب كما يذوب تمثال من الثلج تحت اشعة الشمس الحادة !

كرمة ابن هانى

حسين شوقى ــ ١٩٣٤

تقديم : لبنى الريدي

أول جراحة في قلب جنين

اجرى فريق من الجراحين الفرنسيين اول عملية فى قلب جنين داخل رحم امه ، الا ان هذه الجراحة الجريئة اجريت حتى الآن للخراف فقط .

ففى احد معامل الجراحة التجريبية فى باريس يتمتع عشرات الحملان محل التجربة بصحة جيدة . وكان الاطباء قد تمكنوا من قبل من التدخل جراحيا لعلاج بعض انواع التشوهات فى الأجنة الآدمية مثل الاستسقاء فى الدماغ وتعطل عمل الجهاز البولى . وكان نجاح هذه العمليات الدقيقة دافعا للاطباء لتحقيق خطوة اكثر طموحا وهى معالجة تشوهات الجنين قبل ولادته .

وفى سبيل جعل هذا الحلم حقيقة قرر فريق الجراحة الفرنسى احداث تشوهات قلبية بسيطة على اجنة الخراف ثم محاولة اصلاحها بعد ذلك . وقاموا بالفعل بتضييق الشريان الرئوى بوضع رباط حوله وذلك خلال الثلث الثانى من حياة الجنين ؛ ففتحوا رحم الأم وصدر الجنين ثم اعادوا كل شيء على ما كان عليه . وبعد شهر ونصف من هذه الجراحة تم فتح الرحم مرة اخرى وصدر الجنين وذلك قبل الولادة بايام قليلة ، فازالوا الرباط ، واعادوا للشريان حجمه الطبيعي بجراحة دقيقة .

وبعد ايام تمت الولادة بشكل طبيعى ، ولا يحمل الحمل الوليد اى آثار للتشوه وبذلك امكن تفادى خلل خطير لعضلة القلب غير قابل للعلاج وفى اغلب الاحيان يودي بحياة الأجنة .

وتتميز الجراحة فى رحم الأم عنها بعد الولادة بان الجنين يستفيد من تدفق الدم طبيعيا الى جسمه من خلال دم امه وهى بمثابة دورة دموية طبيعية وان كانت خارج جسم الجنين فى حين يتعين بعد الولادة توصيله بجهاز لضخ الدم اثناء اجراء جراحة فتح القلب .

ويعتقد الاطباء ان نجاح هذه العملية على الحيوان يعطى املا فى امكانيـة نجاحها على الانسان قريبا .





لقطتان : الاولى لفتح صدر الجنين ، ثم الأم ووليدها فى صحة جيدة بعد الجراحة

البالون الجراحي

بفضل هذا البالون المعقم يستطيع الجراح العمل خارج غرفة العمليات . وتم تصميم هذا البالون الجراحى على نفس الأساس العلمى المستخدم فى صنع البالون الواقى للمواليد المصابين بخلل خطير فى جهاز المناعة ولا يستطيعون العيش الا فى جو معقم .

ويتصل بالبالون نظام من الصناديق المعقمة لادخال كل المعدات والمواد التى يحتاجها الجراح اثناء العملية . وبفضل القفازات المعقمة المتضمنة فى البالون يعمل الجراح بحرية تامة . واذا تمزق القفاز فلا خطر من تلوث هواء البالون لان الضغط داخله مكيف بحيث يخرج منه الهواء ولا يدخل اليه .

ويعلق البالون على منصة خاصة بحيث يتم انزاله دون لمسه ليلتصق على جلد المريض فى المنطقة التى ستجرى فيها العملية .. وتكون هذه المنطقة قد سبق تعقيمها ، ثم ينفخ البالون بواسطة جهاز لضخ هواء معقم ، ولا يبقى امام الطبيب سوى ادخال يديه فى القفاز ليقـوم بالجراحة بشكل تقليدى تماما . ويستطيع الطبيب اذا اراد اجراء العملية بملابسه العادية ، لانه لا يوجد اتصال مباشر مع الجرح .

ويتمتع هذا البالون بمزايا عديدة : فهو يتيح اجراء العمليات الجراحية فى اماكن غير مجهزة ، اى خارج نطاق المستشفيات ومن المتوقع ان يحقق استخدامه نتائج افضل فى عمليات زرع الاعضاء اذ يستطيع الجراح استئصال العضو من المتبرع ونقله الى المريض دون ان يتعرض لاى تلوث خارجى . كما يتميز هذا البالون بنسبة تلوث منخفضة اثناء الجراحة اقل من ١٪ .

إلا انه لا يمكن اجراء عمليتين متتاليتين تحت نفس البالون لانه يتعين تنظيفه وتعقيمه اثر كل عملية .. ويستغرق ذلك ساعة ونصف .

ومن فكرة البالون الجراحى تولدت فكرة البالون الضمادة الذى سيحل محل الضمـادة التقليدية بعد العمليات الجراحية . فهو يساعد على التئام الجرح بسرعة ، تصل فى بعض الاحيان الى نصف الوقت ، كما يسمح بمراقبة حالة الجرح فى اية لحظة ، ولقد تم استخدامه بنجاح فى حالات الحروق الخطيرة التى تتطلب عمليات زرع لطبقات من البشرة . ومن المتوقع استخدامه عقب كل العمليـات الجراحية .



الجراحة تحت البالون

الساعة - الكمبيوتر

بعد ابتكار الساعة الراديو والساعة التلفزيون جاء دور الساعة الكمبيوتر ، وهو ابتكار ياباني بالطبع . وتستطيع هذه الساعة القيام بوظائف متعددة ، فيمكنها اختزان الفي حرف او رقم في ذاكرتها في حين يتسع زجاجها الذي يقوم بدور شاشة الكمبيوتر لاربعة سطور حجم كل منها عشرة حروف ، كما يمكن رسم رسوم بيانية عليها .

وتقوم هذه الساعة بمعالجة النصوص واخراج المعلومات والبيانات مطبوعة ، كما تستطيع الاتصال باجهزة كمبيوتر اخرى بالاضافة طبعاً الى تحديد الوقت .

الا ان الساعة نفسها والتي تبدو كساعة عادية لا تقوم إلا بجزء من هذه المهام ، فبتوصيلها بلوحة مفاتيح في حجم دفتر الشيكات يتم ادخال المعلومات الى ذاكرتها . وتستخدم الشركة اليابانية طريقة مبتكرة لنقل البيانات من لوحة المفاتيح الى ذاكرة الساعة ، تعتمد على الحث الكهرومغناطيسي . كما يمكن توصيل الساعة بجهاز صغير يضم طباعة حرارية تطبع سطوراً عرضها عشرين حرفاً . ولكن الساعة العجيبة ليست متوفرة حالياً الا في اليابان .

الكمبيوتر الساعة ولوحة المفاتيح التى تستخدم لادخال المعلومات فقط

الكتابة بأطراف الأصابع

يقدم اليابانيون الة حاسبة من نوع جديد فهي لا تضم ازراراً للحروف او الارقام او الرموز الرياضية المختلفة كما في جميع الآلات الحاسبة التي نعرفها ، ولكنها تستطيع التعرف على الرموز التي يخطها المستخدم على شاشتها باحد اطراف اصابعه .

ويجعل هذا النظام الالكتروني المتطور للتعرف على رسم الاصابع ، استخدام الآلات الحاسبة اسهل واسرع فلا حاجة للبحث عن الحرف او الرقم لضربه . كما يساهم هذا النظام في تصغير حجم الآلة الحاسبة التي يبلغ طولها خمس بوصات وعرضها بوصتين ونصف ، اما سمكها فلا يزيد عن ٤ر٠ من البوصة .

وهي تقوم بعدة وظائف بالاضافة الى العمليات الحسابية ،اذ تستطيع اختزان خمسين اسما ورقم هاتف ، كما تعمل اجندة اتوماتيكية لهذا الدليل الالكتروني بحيث يستطيع المستخدم الحصول على المعلومة المطلوبة بكتابة اسم الشخص على الشاشة او طلب الاسماء كلها التى تبدا بحرف معين . وتختزن ذاكرة هذه الآلة الحاسبة جداول للمواعيد وجداول اعمال لاسترجاعها حين الحاجة اليها .

الطفلة ترسم باصابعها على اللوحة الالكترونية لتظهر الرسوم على شاشة الكمبيوتر

وتتعرف هذه الآلة الذكية على الارقام والحروف والرموز بمقارنة الشكل الذى يرسمه المستخدم باطراف اصابعه بالاشكال المختزنة في ذاكرتها. ومن ناحية اخرى ابتكرت احدى شركات الكمبيوتر جهازاً مزوداً بلوحة ملساء يكتب عليها بالاصابع او بقلم الكتروني لتظهر على الفور الحروف على الشاشة . كما يمكنك - مثل هذه الطفلة التى تبدو فى الصورة - رسم كل ما يحلو لك ، فهى لوحة الكترونية .

وفى الطريق الى المستهلك كمبيوتر اكثر تطوراً اذ تعمل شاشته عمل اللوحة الالكترونية بحيث يمكن الكتابة بالاصابع على الشاشة مباشرة .



بقلم رءوف توفيق

سعاد حسني التي شاركت المخرجين الشبان في عدد كبير من أفلامهم، وتعلمت منهم كيف تختار أفلامها بعناية، وتناقش كل تفاصيل العمل حتى تعيش في الشخصية المرسومة لها في الفيلم

٢٥ عاماً على إنشاء معهد السينما بالقاهرة





هل السينما حرفة من الممكن التقاطها مع الوقت والتدريب .. ام انها علم له اصوله وقواعده ؟

واذا كان من المتفق عليه تماما ان فنان السينما الحقيقى ، لابد ان يكون موهوبا وعاشقا مخلصا لهذا الفن .. فهل نستطيع ان نقول ، ان الموهبة تستغنى عن العلم ..؟

وهل من المنطقى فى عصر يحركه العلم ، ويدفعه الى آفاق جديدة ، ان يظل فن السينما معتمداً على الاجتهادات الشخصية ؟!

اسئلة قديمة .. طرحت كثيراً .. وتباينت الاجابات عليها .. تذكرنا بالجو النفسى الذى استقبل منذ ربع قرن مفاجاة الفنان الدكتور ثروت عكاشة عندما كان وزيراً للثقافة فى الحكومة المصرية ، واصـــدر قرارات بانشاء عدد من المعاهد الفنية ، من بينها المعهد العالى للسينما ..

يومها .. وما بين الدهشة والسخرية .. انطلق عدد من « عتاولة » السينما المصرية وصغارها .. يطلقون ضحكاتهم المستهزئة بهذا الحدث .. ولا يكفون عن التشنيع بالمعهد الذى سيخرج فنانين « بشهادة حكومية » !!

وحتى عندما بدا هؤلاء الخريجون فى العمل ، لا حقتهم التشنيعات الساخرة ، والتى تتصيد كل اخطائهم ، ليبرهنوا ان السينما لا تصنعها المناهج والمحاضرات ، بل ان هذه المناهج هى التى افسدت عقول هولاء الشبان الحالمين ، فتصوروا انهم عباقرة ينافسون مخرجى اوربا وامريكا ، فانصرف عنهم الجمهور وسقطت افلامهم !

ومضت الاعوام

والآن .. وبعد تجارب النجاح والفشل .. والاكتشافات المثيرة والقاسية فى عالم السينما والجمهور ، نجد انفسنا امام حقيقة لا تقبل الجدل .. إن اكثر من ثلاثة أرباع الذين تقوم عليهم صناعة السينما فى مصر تخرجوا من المعهد العالى للسينما بالقاهرة .. مخرجون وكتاب ســـيناريو ومصورون ومنتجون ، وفنانو ديكور ومونتاج وصوت .

نور الشريف فى لقطة من فيلم « آخر الرجال المحترمين » .. الفيلم من اخراج سمير سيف احد ابناء معهد السينما ، وهو من بين الذين لمعوا فى السنوات الاخيرة

احمد زكى ونبيلة عبيد . فى احدث افلام المخرج عاطف الطيب « التخشيبة » الذى يؤكد موهبته بعد نجاح فيلم « سواق الاتوبيس »

سينما



ولا يمكن إنكار ان عددا كبيرا من الذين يقوم عليهم فن السينما والتليفزيون فى بعض البلاد العربية ، من خريجى المعهد العالى للسينما فى القاهرة .

ومعنى هذا .. ان ذلك المعهد الذى يحتفل هذ العام بمرور ٢٥ عاما على انشائه ، فانه يحتفل بانتصار العلم والدراسة .. يحتفل باستمراره وصموده رغم كل العقبات !

ذكريات أول عميد للمعهد

واغرب العقبات .. كانت عقبـــات البداية ..

وافضل من يحدثنا عن هذه الفترة ، فنان السينما المصرية الخالد المخرج محمد كريم الذى اختير ليكون أول عميد لمعهد السينما .. وايضا ليقوم باعداد هذا المعهد لاستقبال الطلبة ووضع برامج التدريس وفروعها .. وكانت تجربة بالغة الاثارة .. خصوصـــا عندما نقرؤها الآن .. بعد رحيل محمد كريم .. وبعد ان اصبح معهد السينما هو المعهد الوحيد من نوعه فى الشرق الأوسط .

التجربة فى صفحات كتاب « مذكرات محمد كريم » التى سجلها عنه واعدها للنشر الكاتب الصحفى محمود علي وصدرت فى جزئين عام ١٩٧٢ ..

يحكى المخرج محمد كريم فى مذكراته ، انه فى صباح يوم ٢ فبراير ١٩٥٩ استدعى لمقابلة الوزير ثروت عكاشة الذى ابلغـــه بترشيحه عميداً لمعهد السينما .. ويقول محمد كريم : « دهشت جداً لهذا الترشيح .. ودهشت جـــداً ان اكون انا المخـــرج السينمائى « ناظر مدرسة » .. فانا لا اصلح الا ان اكون مخرجاً سينمائياً ولا شىء غير ذلك .. ورفضت هذا المنصب .. وفى هذا الجو المضطرب وفى حالة العصبية التى كنت فيها .. لمحت ابتسامة الوزير ثروت عكاشة وترحيبه وكلماته الرقيقة .. كمـــا يلمح الانسان الصورة المهزوزة .. اخذ الوزير يشجعنى ويذكرنى بواجبى نحو الجيل الجديد ، وانه لا يليق بنا ان نبحث من الخارج عن عميد لمعهد السينما ، وعندنا خير من يقوم بهذا العمل .. واستمر الوزير فى بيانه البليغ حتى خجلت من نفسى لتكرار الاعتذار والعرق يتصبب من جبينى .. ولم يسعنى الا القبول .. !

وتسلم محمد كريم خطاب التعيين فى « فبراير ١٩٥٩ ، اى قبل تجهيز المعهد وافتتاحه بثمانية اشهر .. كان عليه فى تلك الفترة ان يضع هيكل الدراسة فى المعهد ، وأن يخطط لكل شىء ، ولهذا اقترح ان يسافر الى روما والمانيا الغربية والشرقية وباريس ، للاطلاع على نظم المعـــاهد السينمائية هناك ، للاستفادة منها فى وضع « تصور » لما يكون عليه معهد السينما بالقاهرة » .

وحددت له وزارة الثقافة مبلغ ثمانمائة جنيه كمصاريف لتلك الرحلة التى تزيد عن شهرين (!!) ولكن وزارة الاقتصاد اعترضت على « ضخامة » هذا المبلغ وقررت تخفيضه الى خمسمائة جنيه فقط !!

وفى هذا الجزء من المذكرات .. يحكى محمد كريم عن مشاهداته فى معاهد السينما بروما والمانيا بشطريها والتى يتوقف عندها حيث تبخرت كل النقود التى معه وقرر العودة الى مصر دون زيارة باريس ..

مفاجاة .. يوم الافتتاح

ويصل محمد كريم الى المفاجاة المذهلة ذات صباح ، حينما اتصل به مكتب الوزير ليبلغه ان معهـــد الســـينما ومعهد الكونسرفتوار تقرر افتتاحهما مع اعياد الثورة .. اى بعد ايام قليلة ! .

ويسجل محمد كريم كل دهشة قائلا .. « إن مبانى المعهد مازالت « طوب احمر » فكيف يتقرر افتتاحه بهذه السرعة ولكن الامر كان قد انتهى » . واعلنت الوزارة فى الصحف عن يوم الافتتاح .. وكان على ان



عادل ادهم ، فى فيلم المدمن ، للمخرج يوسف فرنسيس ، الذى تخرج من الدفعات الاولى ..

فريد شوقي وليلى طاهر في فيلم «حكمت المحكمة» للمخرج احمد يحيى .. ثم عزت العلايلى وسعاد حسني ولقطة من فيلم «اهل القمة» للمخرج علي بدرخان

افعل كل شىء ابتداء من الاشراف على الانتهاء من المبنى وتركيب البلاط .. الى اختيار المواد والمدرسين . !

« وفى اليوم المحدد جاءت الصحافة ووزعت الابتسامات . والتهنئات .. وانا اكاد اقع من طولى .. كنت اشبه بالعريس الذى فوجىء بليلة زفافه فى ٢٤ ساعة .. وكانت ليلة » !

« المهم انتهى العام الدراسى الاول .. واصبح شغلى الشاغل اتمام بناء المعهد لاستقبال الطلبة المنقولين للسنة الثانية .. كنا فى حاجة الى غرف كثيرة وادوات والات سينمائية » .

« كانت متاعبى فى المعهد تتلخص فى عملية الانشاء والخلق .. وفى عملية (نط الحواجز) التى يصنعها الروتين .. اما الانشاء والخلق فهى مهنتى الاساسية كمخرج .. ولكن نط الحواجز مسالة لم يكن فى مقدورى احتمالها .. فقد وصلت تعقيدات الروتين الى وقف صرف مرتبات السعاة والفراشين .. ثم تاخير صرف مستحقات الاساتذة عن شهرين . !!

ملحوظة : كان اجر الاستاذ عن المحاضرة جنيهين اثنين فقط » .

وتوالت طلبات الاستقالة من محمد كريم احتجاجا على الروتين .. ولكن فى كل مرة كانوا يطلبون منه بالحاح ان يستمر فى عمادة المعهد .. حتى توفيت زوجته التى كان يحبها كثيرا .. فقرر الابتعاد عن كل الناس ..

وما يسجله التاريخ لهذه الفترة .. ان الفنان محمد كريم كان هو باعث الروح فى هذا المعهد .. وان كل جهوده الشاقة والمخلصة هى التى جعلت من هذا البناء ينمو ويزدهر ويصبح له هذا التاثير فى الحياة الفنية الآن ..

الطلبة .. اصبحوا اساتذة

وتوالى على عمادة المعهد عدد من المخرجين والباحثين الدارسين لفن السينما .. حتى وصل اخيراً احد خريجى المعهد الى منصب العمادة .. وهو الدكتور مصطفى محمد علي استاذ مادة التصوير .

وتوالى في هيئة التدريس عدد كبير من المخرجين منهم : احمد كامل مرسى وصلاح ابو سيف ويوسف شاهين وشـــادى عبد السلام ومحمد بسيونى وجمال مدكور وسعد نديم ومحمود مرسي وغيرهم ..

وكبر تلاميذ المعهد .. واصبح الآن بعضهم يقوم بالتدريس فيه .

ورغم مرور ٢٥ عاماً على انشاء المعهد .. الا انه لا يمكن القول ان المعهد وصل الى درجة الكمال فى المعدات والامكانات .. بل انه مازال يعانى من نفس الروتين الذى كان يشكو منه المرحوم محمد كريم مع بداية انشاء المعهد ..

ولكن يبدو ان هذا النقص فى الامكانيات هو الذى خلق روح التحدى فى طلبتـــه وخريجيه ، وخلق ما يمكن تســـميته بعبقرية التصرف فى الأزمات !

فمع واقع الحياة فى الاستوديوهات والمعامل المصرية .. استطاع هؤلاء الشبان ان يقدموا انفسهم للجمهور ، باقصى قدر ممكن من ترويض الظروف الصعبة .. فقد تعودوا وتدربوا اثناء الدراسة بالمعهد ، على التعامل مع الامكانات الناقصة . !

وقد يستهلك هذا التعامل الصعب ، مزيداً من الجهد والوقت والاعصاب .. ولكنه اصبح كانه ضريبة يومية للعمل !



احمد زكى وتيسير فهمى ، بطلا فيلم « العوامة ٧٠ » للمخرج خيرى بشارة احد خريجى المعهد العالى للسينما والذى قضى سنوات طويلة فى السينما التسجيلية .

نور الشريف ومديحة كامل فى لقطة من فيلم « اللعنة » للمخرج حسين الوكيل ، والفيلم من أول أعماله السينمائية رغم تخرجه من المعهد منذ اكثر من عشر سنوات .

سينما

النكتة التي أصبحت حقيقة في السينما المصرية

سنوات الازدهار الفنى

ولنعد الى الوراء قليلا .. الى سنوات الستينات فى مصر ..

تخرجت الدفعات الاولى من معهد السينما ، لتجد نفسها داخل بحر زاخر بالاجتهادات الفنية البارزة والمؤثرة .. فى فن الرواية .. والمسرح .. والنقد .. والمناقشات الأدبية الممتلئة بالحيوية والتميز .. بالاضافة الى وجود القطاع العام فى السينما ومحاولته لاحتضان ورعاية الشبان الجدد فى الاخراج واعطائهم فرص العمل والتجريب ..

كان ذلك فى نفس الوقت الذى شهدت فيه القاهرة ، بداية نشاط نادى السينما وعروض افلامه التى كانت تتميز بفتح النوافذ على احدث الاتجاهات الفنية فى العالم ، وحيث كان عشاق السينما تتاح لهم لاول مرة فرصة مشاهدة افلام ذات صبغة فنية خالصة غير تجارية ، وحيث كانت المناقشات حول هذه الافلام مليئة بالفضول لمعرفة المزيد .

وفى نفس الوقت .. الذى كانت فيه « جمعية الفيلم » تواصل تقديم عروضها السينمائية المختارة بعناية ، وتنظم لاعضائها الندوات والنشرات الفنية وايضا تسهل لهم صنع افلام سينمائية للهواة .. وفى نفس الوقت الذى انشىء فيه « المركز الفنى للصور المرئية » بهدف اعداد الدراسات العلمية والفنية عن السينما ، واجراء الاحصاءات والبحوث ، وتوفير مكتبة سينمائية مفتوحة لكل مهتم بهذا الفن .

كان الجو الثقافى والفنى .. متوهجا بالحماس والتجارب ، وردود الفعل المباشرة من الجمهور والنقاد .. حتى جاءت هزيمة ١٩٦٧ العسكرية فاحدثت هذا الشرخ النفسى الهائل .

ولكن سرعان ماستجمع شباب الفن انفسهم وجهودهم .. فتكونت « جماعة السينما الجديدة » عام ١٩٦٩ .. ثم جماعة السينمائيين التسجيليين عام ١٩٧٢ بهدف المشاركة فى تقديم سينما بديلة عن السينما التجارية السائدة .

وساند شباب السينما فى احلامهم ومشاريعهم .. المخرجون الاساتذة : صلاح أبو سيف ويوسف شاهين وتوفيق صالح وكمال الشيخ .. والناقد المؤرخ احمد كامل مرسى الذى كان قد قرر اعتزال الاخراج السينمائى .. والاكتفاء بالمتابعة والتحليل ورعايته لابنائه من طلبة السينما وعشاقها .

ثمار الدفعات الاولى

فى هذه الفترة المليئة بالاحداث والمتغيرات .. تذبذب انتاج شباب معهد السينما ، ما بين محاولة تقليد الاتجاهات الأوربية الحديثة ، وبالذات الموجة الفرنسية الجديدة والتى كانت باهرة فى بداياتها بتجاربها ونجومها .. الى محاولة التعبير عن النفس وهموم الشباب والمجتمع المصرى بعد هزيمة ١٩٦٧ .

وكان اهم ما اثمرت عنه هذه الفترة ، هو انفراج الستار عن بعض المخرجين الشبان من خريجى معهد السينما .. هؤلاء هم :

على عبد الخالق وفيلم « اغنية على الممر » ـ اشرف فهمى وفيلم « ليل وقضبان » ـ ممدوح شكرى وفيلم « زائر الفجر » ـ محمد راضى وفيلم « ابناء الصمت » ـ يوسف فرنسيس وفيلم « زهور برية » ـ مدكور ثابت وفيلم « صور ممنوعة » الذى اشترك فى اخراجها مع محمد عبد العزيز واشرف فهمى ـ مدحت بكير وفيلم « دعوة للحياة » ـ والمخرج الفلسطينى غالب شعث وفيلمه « ظلال على الجانب الاخر » .

ومن كتاب السيناريو : رافت الميهى ـ ومصطفى محرم .

وقدمت السينما التسجيلية عددا كبيرا من اسماء خريجي معهد السينما والذين وهبوا حياتهم للفيلم التسجيلي ..

من هؤلاء : المخرجون احمد راشد - هاشم النحاس - محمد قناوى - سمير عوف - عطيات الابنودى - نبيهة لطفى - منى مجاهد ..

وانطلق من السينما التسجيلية الى عالم السينما الروائية في السنوات الاخيرة المخرجون خيرى بشارة « العوامة ٧٠ » - عاطف الطيب « سواق الاتوبيس » - داود عبد السيد « الصعاليك » .

ومن السينما التسجيلية تخرج المصورون : سعيد شيمي ومحمود عبد السميع ورمسيس مرزوق وسمير فرج وعصام فريد والذين اصبحوا الآن من المع مصورى السينما في مصر ..

وفي فن المونتاج نجد احمد متولى وعادل منير ونادية شكرى .. وفي الصوت مجدى كامل ..

لقد كان حصاد معهد السينما في سنواته الأولى .. مفاجأة للذين توقعوا فشل الدراسة .. وانهيار المعهد واغلاق أبوابه !

الاختيار الصعب

ومن منتصف السبعينات .. تغيرت الصورة تماما .. اصبح خريجو معهد السينما ينتشرون في اغلب فروع صناعة السينما المصرية .. ولكن في ظروف اقتصادية واجتماعية مختلفة .

تغيرت نوعية الجمهور .. وتغيرت نوعية الذين يمولون الافلام .. وساد الجو الفنى مزاج التجار وأصحاب الدخول الطفيلية وفرضوا ذوقهم في الفن الذى يشاهدونه .. حتى لم يعد الفن فنا .. بل نوعا من التسالى والاوهام الكاذبة المخدرة !

وواجه شباب السينما موقفا صعبا ، فالمجالات كثيرة امامهم للعمل والانتشار والكسب السريع .. ولكن فرصة تحقيق الذات تضاءلت .. بعكس الموقف في سنوات الستينات .

ومن هنا .. يمكن القول ان حظ الدفعات الأولى من معهد السينما كان افضل من حظ الدفعات الأخيرة .

على الاقل .. كانت امام الدفعات الأولى .. فرصة التجريب والمغامرة .. ولكن الآن عليهم ان يلعبوا دائما على المضمون ..

بعض هؤلاء الشبان .. القوا دراستهم جانبا .. وتخلصوا من ارهاق احلام الفن .. واستسلموا للتيار .. يقدمون الافلام كما هي مطلوبة منهم ..

والبعض الآخر .. خاض معارك طويلة مع نفسه ، حتى لا يقع في بحر لزج من العسل الاسود !



تساؤلات بمناسبة الاحتفال

وفي العامين الاخيرين .. من يتامل خريطة السينما المصرية .. سيكتشف بسهولة ان الذين اصروا على تحيزهم للفن ولم يستسلموا لتيار التجار .. هم الذين يصنعون الآن السينما الواعية في مصر .. وينالون الاعجاب والتقدير من الجمهور والنقاد ..

ولعل معهد السينما وهو يحتفل في اكتوبر القادم بمرور ٢٥ عاما على انشائه .. ان يفرد جزءا من احتفالاته لتقييم تجربة ابنائه من الخريجين ومشوارهم العملى في ساحة الفن ..

مثلا لماذا اصبح المخرج محمد عبد العزيز من اكثر المخرجين انتشارا وله في كل عام ما بين فيلمين واربعة افلام .. بينما لم يقدم المخرج « علي بدرخان » فيلما منذ ثلاث سنوات بعد فيلم « اهل القمة » .

وماذا يقول اشرف فهمى عن رحلته في السينما من فيلم « ليل وقضبان » وحتى فيلم « المجهول » مرورا بفيلم « شوق » الذى لعبت بطولته نادية الجندى ؟

وما هي عوامل نجاح فيلم « سواق الاتوبيس » للمخرج عاطف الطيب والذى اكتسح اغلب جوائز السينما في العام الماضي ؟ .

والى اين انتهت احلام جماعة السينما الجديدة التى كان يراسها المخرج « محمد راضي » ؟

وكيف يرى المخرج « هشام ابو النصر » الفرق بين تدريس الاخراج في معهد السينما . وممارسة الاخراج عمليا بعد تجربة فيلميه « الاقمر » و « قهوة المواردى » ؟

إن مثل هذه التساؤلات .. والمواجهات الصادقة مع النفس تعطى لهذا الاحتفال باليوبيل الفضى ، مذاقا خاصا .

وياليت يتجمع لدى ادارة المعهد - بمناسبة هذا الاحتفال - تجارب الخريجين من ابناء البلاد العربية والذى وصل عددهم حتى دفعة العام الماضى الى ثمانين خريجا من مختلف التخصصات .. جاءوا الى القاهرة من السودان وفلسطين وسوريا والعراق .

ان هذه التجارب .. اثراء حقيقى وتدعيم لدور ورسالة المعهد في السنوات المقبلة .. وحيث تؤكد كل التوقعات انها ستشهد انتصارا للفن الجيد .. فالزمن لا يعود أبدا الى الوراء . !



رءوف توفيق



ماجدة الخطيب في فيلم « زائر الفجر » للمخرج الشاب الراحل ممدوح شكرى ، الذى كان من خريجي أول دفعة من معهد السينما



جميل راتب في فيلم « اللعنة » للمخرج حسين الوكيل



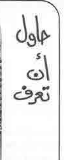


اشراف :
سنان المسلماني



مسابقة الدوحة

يرجى من الاصدقاء الذين يكتبون إلى « دوحة القراء » أن يذكروا على غلاف الرسالة عبارة « دوحة القراء » كما يرجى كتابة اسم المسابقة وكتابة الاسماء والعناوين بوضوح حتى يمكن ارسال المكافآت .





الصورة الأولى : ميناء هام فى شرق البحر الأبيض المتوسط ، وفى دولة اشتهرت بحضارتها العريقة التى اثرت فى الفكر الانسانى .. هذا الميناء فى مدينة صناعية هامة .. هل يمكنك التعرف على اسم الميناء ؟





الصورة الثانية : هذه اللوحة لأديب فرنسى عاش فى الفترة ما بين ١٨٦٩ ـ ١٩٥١ ، وكان والده استاذا فى القانون . واستطاعت رواياته أن تحقق شهرة عالمية وخاصة : الباب الضيق ، وسيمفونيتان ، وأسفار فى الكونغو .. وقد نال جائزة نوبل عام ١٩٤٧ .. ما اسم هذا الأديب ؟

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ٩٨





الصورة الأولى : مدينة تونس
- الفائز : محمد مصطفى أزغيمات ـ المغرب
- مريمى فؤاد ـ الجزائر

الصور الثانية : أرنست همنجواى
- الفائز : رمضان البكورى ـ ليبيا
- الفائز : خليل حجاب ـ مصر

أخطاء شائعة



هذه هى بعض اخطائنا الشائعة فى اللغة العربية :

خطا	صواب
كبرياء جريحة	كبرياء جريح
جمادي الأول	جمادي الأولى
جمادي الثانية	جمادي الآخرة
خان يونس	خان يونس
جنوبى غزة	جنوب غزة
محمد جلود (صابر)	محمد جليد أو جلد
جهد جهيد	جهد جاهد
اختلى به	خلا به ـ اليه
خول اليه	خوله التصرف
الغير جديد	غير جديد

اكرم محمد الزميلي ـ الأردن



لقطة الشهر



وجبة من الزهور

فازت بالجائزة : مائة ريال قطرى القارئة: ميرفت محمد ابراهيم ـ القاهرة ـ عابدين

الاستراتيجية والتكتيك

الاستراتيجية هى فن القيادة العامة فى الحرب بأجمعها ، واشتقت من كلمة « ستراتيجوس » اليونانية بمعنى قائد .. والتكتيك هو فن القيادة فى ميدان المعركة واشتقت من كلمة « تاسين » اليونانية وهى فعل معناه يهيىء للحـــرب . والاستراتيجية فى الأعمال الحربية هى الخطة العامة التى توضع لاحراز هدف . ويعرفها بعض العسكريين بأنها علم القيادة ، وآخرون بأنها فن القيادة . أما التكتيك فهو تعميم خطة معركة واحدة ، وقد تطور مفهوم الاستراتيجية واصبح معناه أن الحرب استمرار العـــلاقة السياسية . وقد اعتبر احد ضباط نابليون أن معنى الاستراتيجية هو فى جلب القوات العسكرية الى جبهة القتال ، أما التكتيك فهو إدارة تلك القوات فى المعركة !

سعاد عبد الرحمن ـ قطر

المفـــاجـــأة



قال المحامى فى معرض الدفاع عن موكله المتهم بالسرقة : إن موكلى لم يرتكب جريمة ما ، وكل ما هناك انه كان مارا بتلك الشرفة المطلة على الطريق فامتدت يده اليمنى الى الصندوق الذى كان بها واخذه، ولاشك فى انكم توافقوننى على أن الـيد ليست سوى عضو من الأعضاء الكثيرة فى الجسم ، فمن العدالة الا تؤخذ الاعضاء كلها بجريمة عضو واحد منها !

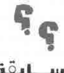
فقال له رئيس المحكمة : إن حجتك منطقيه جدا ، ولذلك قضت المحكمة بحبس يد المتهم اليمنى التى سرقت الصندوق سنة مع الشغل وهو حر فى أن يصحبها أو لا يصحبها الى السجن !

وشد ما كانت دهشة القضاة اذ رأوا المتهم يخلع ذراعه الصناعية ثم يتركها على منصة المحكمة ويخرج من القاعة !

منتصر على الداروتى ـ القاهرة







مسابقة الدوحة

ترسل الاجابات على العنوان التالى :
مجلة الدوحة
ص . ب : ٢٣٢٤
الدوحة ـ قطر

مَن ؟

شاعر خليجي كبير ولد عام ١٩٠٨ م ، التحق بعد ان اتم الدراسة الثانوية بمعارف البحرين عام ١٩٢٧ ـ ١٩٣٢ م ثم اسس المدرسة الاهلية وظلت قائمة لغاية ١٩٣٥ م . وله كثير من الدواوين الشعرية والدراسات التحليلية والنقدية . اسمه مكون من شقين ومن ١٣ حرفا .

٥ ، ١٣ ، ٧ بمعنى طحن الطعام .

٢ ، ١٠ ، ١٢ ، ٣ اسم حيوان

أين ؟

ولد هذا الاديب الكبير فى مدينة شهيرة ، وظل بها حتى اتم الدراسة الثانوية عام ١٩٢٦ م .

وهذه المدينة هي عاصمة لاحدى الدول الآسيوية . ويتكون اسم هذه المدينة من مقطع واحد وستة حروف .

الحروف ٤ ، ٢ ، ٣ بمعنى طائر ليلي .

ما ؟

من اشهر اعماله ملحمة شعرية عن ماساة فلسطين . اسمها مكون من مقطعين و ١٠ احرف .

٦ ، ٩ ، ٧ ، ٨ بمعنى راى .

٣ ، ١ ، ٢ بمعنى غير نافع .



الإجابة الصحيحة

١ ـ دلمون تعني الجنة باللغة السومرية ، وهى اسم قديم لاحدى الدول العربية .
فما اسم هذه الدولة ؟

٢ ـ دار السلام هي عاصمة تنزانيا فاين تقع دار الحرب ؟

٣ ـ من هو اول رئيس لهيئة الامم المتحدة ؟

٤ ـ إن (رواية الشراع والعاصفة) ورواية (الثلج ياتي من النافذة) ورواية (الباطر) . كلها روايات لروائى عربى كبير تميز باسلوبه الواقعي ، ولقد قال عن نفسه : (انا كاتب الكفاح والفرح الانسانيين) .
فمن هو ؟

٥ ـ الطيب صالح : اديب عربى كبير ، هل يمكنك التعرف على ثلاثة من اعماله الروائية ؟

(٦) هل هذه العبارة صحيحه علميا .
خسوف الشمس ـ وكسوف القمر .

٧ ـ دخلت القوات البريطانية فلسطين فى نهاية الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٨ وخرجت سنة ...

٨ ـ واضع علم النحو هو ابو الاسود الدؤلى فمن الذى كلفه بذلك ؟

٩ ـ يضاف الملح الى الثلج عند صنع المثلجات .. لماذا ؟!

١٠ ـ اكمل هذا البيت فى الشعر وانسبه الى قائله : « فان اكلوا لحمى وفرت لحومهم » .

حل مسابقة العدد ٩٨

من : مصطفى المنفلوطى .
اين : منفلوط .
مـا : النظرات

الاجوبة الصحيحة

١ ـ عجمان ـ الفجيرة ـ ام القيوين .

٢ ـ بحيرة ناصر، خلف السد العالى باسوان .

٣ ـ لا يرقد النسر على بيضه .

٤ ـ ١٩٦١ .

٥ ـ ١٧٣ كيلومتر .

٦ ـ المملكة العربية السعودية . حيث مدون على علمها عبارة لا إله إلا الله ..

٧ ـ العالم العربى ابن النفيس اكتشف الدورة الدموية الصغرى ، والكبرى اكتشفها : وليم هارفى .

٨ ـ فلقد علمت بان عفوك اعظم ـ ابو نواس .

٩ ـ راس هورن .

١٠ ـ الفيلسوف الفرنسى (ديكارت) .

أسماء الفائزين في مسابقة

١ ـ اصل وصورة : خطوط الجبهة ـ الحاجبان ـ العيون ـ الانف ـ سوالف الشعر ـ الاذن ـ الشفتان .
الفائزون : (١) مرح ضيف الله محمد ـ الكويت . (٢) فتحي احمد عبد الحفيظ ـ مصر

٢ ـ لوحة لم تتم لامير الشعراء احمد شوقى .
الفائزون : (١) مصعب الجهمان ـ سوريا (٢) محمد محفوظ صالح ـ اليمن

٣ ـ لاقوياء الملاحظة : إبريق شاى ـ سمكة ـ بطة ـ دجاجة ـ عصفور ـ حمامة .
الفائزون : (١) مامون خميس العلوى ـ سلطنة عمان . (٢) عبد الشكور يونس عباس ـ السعودية .

أول طبيبة في أوروبا

هل تعلم ان أول طبيبة فى أمريكا وانجلترا ، رفضوا الحاقها بكلية الطب عندما حاولت ان تتخصص فى هذا المجال ؟ .. ان الطبيبة الأولى « اليزابث بلاكويل » صمدت امام هذا الرفض ، وسافرت الى مدينة « تشار لستون » فى كارولينا الجنوبية لتدرس فى مدرسة داخلية وتتدرب على يد طبيب مشهور ساعدها فى طموحها وتوجيه دراستها الطبية ، واستطاعت بعد جمع مبلغ من المال أن تلتحق بمعهد الطب بكلية جنيف بعد أن رفض أوراقها ٢٩ معهـدا طبيـا فى الولايات المتحدة الامريكية ، وتخرجت من هذا المعهد فى عام ١٨٤٩ بدرجة امتياز ، ولم تكتف بشهادتها بل اتجهت الى التدريب العملى على ممارسـة الطب فى المستشفيات الشهيرة ، واستطاعت عقب ذلك أن تحصل على مركز طبيب داخلى فى مستشفى انجليزى ولكن القدر كان لها بالمرصاد فبعـد تسلمها الوظيفة بأربعة أشهر أصيبت عينها اليسرى من رش مصل أدى الى فقدان تلك العين لنعمة البصر . ولم تستسلم للكارثة فقد أصرت على التقدم فى عملها من أجل أن تحقق حلمها فى أن تكون الجراحة الأولى فى العالم ، وعادت الى وطنها لتؤسس عيادة خاصة لها رغم معارضة كافة الأطباء ، ولم يزرها أى مريض ، ولكنها استطاعت أن تبنى شهرتها عن طريق القاء سلسلة من المحاضرات استطاعت عن طريقها أن تصبح من أهم طبيبات أوربا ، وان يفد على عيادتها المرضى بأعداد كبيرة !

حسين خلف موسى — دمشق

من أقوال العقاد

● إنه خير لنا أن يكون منا مجازفون متهوسون من أن لا يكون بيننا مجازفون على الاطلاق فيقتلنا حب السلامة وتحسبنا ناجين وادعين ، ونحن فى الحقيقة نعرض أنفسنا لأرذل الأخطار ، وأى خطر أرذل من استكانة النفس وتقلصها من قشورها .

● أعتقد اعتقادا جازما أن القمة الروحية التى ارتقى إليها نساك الشرق وفلاسفته لم يبلغها غربى ممن نعرفهم ونقرا كتاباتهم ، وأن هذا التقصير عيب كمين فيهم ، ويكفى أن أوروبا لم تدبت نبيا ، وانها عالة على الشرق فيما تدين به .

● الحاكم القدير هو الذى يتقبل المشاركة فى أموره ولا يتقبل المشاركة فى تبعاته وتكاليفه .

● خير الحكومات التى يرضى بها الخاصة ويستطيعون أن يرضوا بها العامة .

● أصدق ما تمتحن به مقاييس الحياة فى الأمم أن تعرف الفضائل التى يزنون بها الرجال ، ماذا يبتغون منهم وفى أى هيئة يحبون أن ينظرون إليهم ؟

● لا يهز الاعصار الجارف ماء الحوض الصغير ، ولكنه يقيم الخصم الواسع ويقعده .

احمد محمد حمادة ج.م.ع . اسوان

أسماء الفائزين

١ — فاز بالجائزة الأولى، وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى .
القارئة : امال حسين بغدادى — مصر .

٢ — فاز بالجائزة الثانية، وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى .
القارىء : محمد علي ابو لبه — الاردن .

٣ — فاز بالجائزة الثالثة، وقدرها ١٠٠ ريال قطرى .
القارىء : حيدر محمد خالد — السودان .

الفائزون باشتراك لمدة ستة شهور

١ — ظبيه محمد حسن	قطر
٢ — ابراهيم عبد الله يحيي	سلطنة عمان
٣ — شعيبي عبد الآله	المغرب
٤ — عزام زكريا حزورى	سوريا
٥ — سحر محمد رشيد	السعودية
٦ — هاشم عيسي حسنين	السودان
٧ — عبد المجيد ازر على	الامارات العربية
٨ — توفيق محسن مكاوى	اليمن الشعبية
٩ — رمضان عمر	الجزائر
١٠ — ناصر محمد جميل	العراق

استراحة الدوحة العدد ٩٨

٤ — دورى الكاريكاتير اللاعب رقم ٩ .
الفائزون : (١) جاسم سلمان يعقوب — البحرين - (٢) عبد الرحمن زينل الملا — قطر .

٥ — لعبة الظلال رقم ١ .
الفائزون : (١) محمد عبد الله صالح — السودان ، (٢) عبد الله احمـد العـلى — السعودية .

٦ — يخلق من الشبه اربعين رقم ٢ .
الفائزون : (١) تيلولت كمال — الجزائر (٢) سوسن جاسم الباكر — قطر .

٧ — المثل يقول : ضرب الحبيب مثل اكل الزبيب .
الفائزون : (١) صلاح عبد الظاهر — مصر ، (٢) وحيد محمد محمود — الاردن .

استراحة الدوحة



مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

رووف

الجائزة لكل فائز فى هذه المسابقة ستون ريالا قطريا

أصل وصورة





من منا لا يعرف الممثل والمخرج والمؤلف الانجليزى شارلى شابلن ، الذى حصل على الدكتوراه الفخرية فى الآداب من جامعة اكسفورد فى عام ١٩٦٢ ؟ .. لهذا فالمطلوب منك ان تتعرف على سبع اختلافات طفيفة بين أصل وصورة الفنان لتحصل على جائزة .

المثل يقول



قل أن تجد كتابا فى الأدب إلا وفيه من المثل العربى والى جانبه من المثل الشعبى .. ولهذا فان هذا الرسم الكاريكاتيرى يعبر عن مثل شعبى معروف ، إذا استطعت التعرف عليه ستكون فى انتظارك جائزة .

لأقوياء الملاحظة فقط!



كل الكتب التى صدرت عن طرق النجاح فى الحياة تؤكد أن قوة الملاحظة مطلوبة فى الانسان الذى تتوفر فيه شروط النجاح .. ولذا عليك أن تتدرب علىهذا العنصر الهام وتتعرف على السبعة أشياء المتداخلة فى هذا الرسم ، وتحصل على جائزة .

هات أجمل تعليق :



هل تستطيع ان تجد تعليقا خفيف الظل على هـــذا الرســم الكاريكاتيرى ؟ .. اذا وجدت التعليق ارسله لنا لتحصل على جائزة

لعبة الظلال



وسط حيرة شديدة حاول هذا اللاعب ان يعثر على ظله الحقيقى ولكن كل محاولاته باءت بالفشل .. ولهذا فالفرصة متاحة امامك لتساعد اللاعب فى العثور على ظله ولتفوز بجائزة .

دورى الكاريكاتير



من بين اللاعبين الذين امامك ، اقتحم احد اللاعبين ارض الملعب كالصاروخ وسجل هدفا قويا فى مرمى الخصم .. حاول ان تحدد من هو صاحب هذا الهدف ورقم فانلته حتى تحصل على جائزة .

يخلق من الشبه أربعين

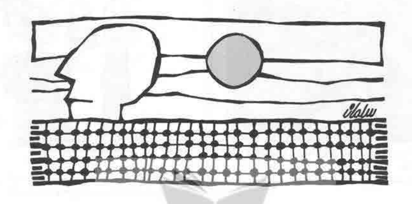


فى اللوحات الست المنشورة امامك ، حاول ان تتعرف على اللوحة التى تشبه الاديب الفيلسوف الفرنسى جان بول سارتر تمام الشبه . والمعروف ان هذا الاديب منح جائزة نوبل فى الادب (١٩٦٤) ورفضها ، ومن اشهر مسرحياته : الذباب ، والايدى القذرة .

عن اغتيال الفارس

(الى شهيد فى الأرض المحتلة ..)

شعر : نصار عبد الله



السكوت على الظلم ظلم أشد !
لم يكن لي يد فى اغتيال حبيبى
لم يكن لي يد
واقفا كنت ، كان الجنود يجرونه
ثم يلقونه لظلام الأبد
وأنا واقف ارتعد

• • •

من ترى ينشر الآن عطر المكان
يا حبيبي الذى كان فى كل آن
وردة فى جبين الزمـــان ؟
من ترى ؟
سألتني وناحت عليك الورود الحسان
سألتني وفاحت عليك الورود
سألتني الصبايا اللواتي كسرن المرايا
وخضبن بالأرض لون الخــدود
من ترى ؟
.. قلت إن الجنــود
حملوا فى الظلام الفتى ..
قلت إن الفتى لن يعود !

• • •

من ترى يسرج الآن ظهـــر الخيول
حين يدعو الى العــدل والحق دق الطبول
سألتني الخيول التى حينما أدركت ما أقول
صهلت هجاة فى ذهول !

• • •

من ترى
من ترى
من ترى ؟
الدروب التى سرت فيها ،
و هذى البلاد التى كنت من عاشقيها ،
و هذا الفؤاد الذى ما زلت فيــه
راح يسألني كيف لا يستميت أخ ،
دون قلب أخيــه ،
كيف ـ ذاك المساء الكريه ـ
كيف لم تعترض قاتليه ؟
السكوت على الموت موت !
الليالى تمر وقد توجتني بعار السكوت
يا حبيبي الذى رفعته البنادق للملكوت
أنت مت شهيداً وفارقتني ،
وأنا كل يوم أموت .